

الأفراج

استغاثة النصارى

في كتابات العصرين في ضوء الإسلام

دار الإحياء



الغارقة في الانحلال الغافلة عن الخطر الأكبر المحيط بالأمة الإسلامية كلها والذي يتطلع إلى اليوم الذي يكون فيه قادراً على صهرها في بوتقه بعد مرحلة احتوائها التي نمر بها الآن .

١ - ولقد استطاع اللورد كرومر أن ينشئ في مصر عام (١٨٨٣ - ١٩٠٧) تلك القاعدة التغريبية التي توالدت وأنشأت هذه الأجيال المتعددة من العلمانية منذ ذلك الوقت تحمل لواء الاحتقار للإسلام وللوطنية وتوعو إلى التبعية للغرب وتعجب ببطولاته وتحمل لواء الدعوة إلى أن الإسلام دين عبادى متخلف صحراوى ، منكورة ربانية الإسلام وعالميته ، وتكامله الجامع بين الدين والسياسة ، وكان أخطر ما تدعو إليه حركة التغريب هو : (أ) القضاء على الوحدة الإسلامية وإحلال مفهوم الإقليمية والقوميات الضيقة القائمة على الدماء والعناصر .

(ب) القضاء على الشريعة الإسلامية والنظام الاقتصادى الإسلامى وإحلال قانون نابليون والنظام الاقتصادى الربوى .

(ج) القضاء على التربية الإسلامية وإحلال نظام التعليم الغربى العلمانى المفرغ من العقيدة والأخلاق .

وهكذا أوتيت هذه الأمة من مقتلين : من مقتل التعليم ، ومن مقتل الصحافة ، فقد حطمت قوائم التربية الإسلامية وأقيم نظام تعليمى علمانى قاصر يقوم على خلق طبقة من الكتبة والموظفين ، المهورين بالغرب ، القابلين بالتعاون مع الاستعمار ، ثم جاءت الصحافة التي تولاهما المسارون ففتحت الأبواب أمام سموم الفكر الغربى ، والمساسونية والعاميات ، والقصص الإباحى واحتقار القيم والأخلاق ، ولعل نظرة واحدة إلى مخطط اللورد كرومر فى هدم قوائم الإسلام وركائز القيم الإسلامية فى مصر ليقدم الدليل الأكيد على أن ما نراه حتى اليوم من مخططات ودعوات إنما تستمد وجودها من هذه الهجمة الشرسة التي قام بها زعيم التغريب الأكبر .

فقد عمد كرومر إلى عمليتين خطيرتين : زعزعة العقيدة الدينية إلى جانب اقتلاع مقومات الوطن والوطنية ، وجعل الحضارة الأوربية هى النموذج الأعلى للمصريين ليأخذوا به .

وتدل (١) كتابات كرومر على إدراكه التام لموقف الإسلام في الشرق
(فالمصريون يتمسكون تمسكاً تاماً بالإسلام الذي هو أحد الكلمات المرادفة
للوطنية في الشرق والإنجليز لا يهدفون إلى نشر المسيحية ولكنهم يريدون
نشر حضارة تقوم على أساس مسيحي) . ومن ثم عمد رجال الاحتلال إلى
العمل على زيادة عدد المصريين الآخذين بنصيب من الحضارة الأوروبية
(أمثال لطفى السيد ، وسعد زغلول) وجعلوا لبعضهم مقاماً كبيراً في الدور
السياسي الذي تمر به مصر منذ الاحتلال ، وإذا استمر المضي في هذا الطريق
أصبح المصري الآخذ بحضارة أوربا أقل مصرية وأكثر ميلاً لأوربا إذ يصبح
المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلاماً ، وهم في
نفس الوقت لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية ، هذا
بالنص ما يورده كرومر في تقاريره ، وكما يصفهم في عبارة قصيرة (بأنهم
مسلمون وليست فيهم خواص إسلامية ، وأوروبيون وليست فيهم خواص
أوروبية) .

ويرى كرومر أنه في إدخال المدنية الأوروبية في مصر (يجب ألا يغيب
عن ذهننا أنه لا يمكن إدخال أى تجديد في الإسلام وبعبارة أخرى أن الإسلام
المحدد ليس إسلاماً ، أنه شيء آخر لا يمكن أن يصفه ، لذلك فعلينا ألا نتوقع
مساعدة كبرى من المسلمين المتمسكين بدينهم ، فهم يزدادون تمسكاً بالدين
كلما ازدادت المدنية الأوروبية في مصر ، أما السوريون والأرمن فليسوا
أجانب ، والأقباط إلى جانب أنهم مسيحيون - فهم في عام ١٨٨٢ لا يمتازون
عن المسلمين من ناحية التعلم - كذلك فإن المصري المتحضر بالحضارة
الأوروبية أصبح هو العامل الأساسي في إدارة البلاد إلى جانب الأوروبيين
والواقع أن القسم الأكبر من المصريين مسلم ، وينظر إلينا (نحن الإنجليز)
باعتبارنا لا نعرف شيئاً خارج المادة (روحياً) ولكن توجد بينه وبين
عالم الأزهر في الوقت نفسه هوة لا تقل اتساعاً عن الهوة التي تفصل بين العالم
الأزهرى وبين الأوربي ، وهكذا فإن الشباب المسلم الدائر في تيار الحضارة

(١) ل / الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي للدكتور سامى عزيز .

الأوربية يفقد إسلامه أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته وفي الوقت نفسه نادراً ما يتجه هذا الشخص إلى المسيحية .

ويعترف كرومر بفضل القارة الأوربية على الشرق من الناحية المادية « أما من الناحية المعنوية فإن التأثير على الأخلاق غير واضح ، فالحضارة الأوربية تقضى على دين دون أن تستبدل به غيره ، فالمصري الذي قد تطلق عليه (صاحب التفكير الحر) يجد نفسه في خضم هائل دون مرشد و هاد ، أنه لا يجد في تاريخه الماضي ولا من ظروفه الحاضرة سنداً أخلاقياً يعتمد عليه ، أنه يرى دينه راعباً في التجديد ، أما الدين الذي يقتل الإصلاح والتجديد فهو دين آخر ، لذلك فإنه يتجه إلى ترك الدين جانباً ، وهكذا فإنه بحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعاً أخلاقياً ، وفي الوقت نفسه يحاول تقليد الأوربي ، ولا يترك هذا المصري عقيدته خلف ظهره فحسب بل أنه يرفع عنها ويزدريها ، وهكذا يندفع مغمض العينين بين أحضان الحضارة الأوربية غير مدرك للحقيقة هامة ، هي أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجي لتلك الحضارة ، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتتحكم في حركاته ، ويصعب على مقلد الحضارة الأوربية أن يحصل عليها » ولكن هل يحيا المصريون هكذا دون عقيدة معينة ؟

ويوضح كرومر أنه (بمرور الوقت سيخلق المسلمون ديناً لا يقوم على الإسلام الأول ، أنه سيقوم على مبادئ جديدة ، وهكذا فإن المصري المتحضر بالحضارة الأوربية هو الحجر الأول وليس الأخير في المجتمع المتطور) .

وينصح كرومر رجال السياسة الأوربيين بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعد تحقيراً للعقيدة الإسلامية ولندع هؤلاء الذين يقودون دفة الدولة على حذر يدكون في مكر الصرح الدولي للمجتمع الإسلامي فإن ازدياد العقيدة الدينية للشعب بأسره أمر على جانب كبير من الخطورة سياسياً واجتماعياً) ؛ وهكذا رسم المعتمد البريطاني الطريق للوقوف في وجه الإسلام ،

كعقيدة إلى حد أن (أقبل فريق من المسلمين المتأثرين بالحضارة الغربية على كل غربي وتركوا ماضيهم وتاريخهم وأصبحوا لا يكثرثون لشئون دينهم الذي ولدوا فيه ولا يهابون التصريح بالإلحاد ، وقد اعتزم الأحرار المسلمون اتخاذ القواعد التي جرى عليها الغرب في تقدمه ورقه واتخاذها أساساً لما أنشأوه من إصلاحات) .

وهكذا نرى كيف خطط التغريب منذ أكثر من مائة عام لتفريق وجهة الفكر الإسلامي بإدخال تلك التيارات المدمرة ، ولكن مهلاً فإن حركة اليقظة الإسلامية لم تلبث أن بزغ فجرها فواجهت هذا الخطر مواجهة حاسمة وكشفت زيف المخطط ودحضت تلك القضايا المسمومة التي أثرت .

لقد اعتمد المخطط التغريبي في هذه المرحلة - وإلى اليوم على الصحافة ، فظهرت المقتطف واللال واللطائف (صروف . نمر . مكاريوس . جرجي زيدان) يدعون كل في ميدانه إلى (نظرية دارون) - الماسونية - الانحلال . ولقد وقف جمال الدين الأفغاني إزاء نظرية دارون ، وكتب محمد عبده في الرد على داركور وفرح وأنطون وكتب فريد وجدى في الرد على شبلى شميل ، وكتب على يوسف في الرد على تغليب اللغة الإنجليزية على العربية ورد طلعت حرب وفريد وجدى على تحرير المرأة ، وهاجم مصطفى صادق الرافعي وعلى يوسف دعوة لطفي السيد كما هوجم عبد العزيز فهمي في دعوته إلى الحروف اللاتينية ، وهاجم رشيد رضا دعوات على عبد الرازق وطه حسين ومحمود عزمى وريتان .

وقد توالى المراحل حيث أخذ الفكر الصهيوني يتدسس من خلال الدراسات الجامعية في الأدب والاقتصاد والاجتماع والنفس والأخلاق وعلا شأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي قادها دور كايم ، وليني بريل والتي تستمد مفاهيمها من الماركسية أساساً والتي جندت عشرات من شباننا الذين ذهبوا إلى الغرب أمثال طه حسين ، وزكى مبارك ، ومحمود عزمى وغيرهم وكان من أخطر أعمالها الدعوة إلى :

١ - نظرية فرويد في الجنس :

٢ - نظرية دوركايم في الاجتماع .

٣ - نظرية تين وبرودنير في الأدب .

ومن ثم بدأت كتابات ملفقة حول الإسلام ترمى إلى إنكار المعجزات وتدعو إلى بشرية القرآن من كتاب متغريبين أخذوا يكتبون عن الإسلام (طه حسين - هيكمل - العقاد) فكانت لهم أخطاء بارزة لأنهم بدأوا عملهم من خلال المنهج العلماني الذي تشكلت فيه ثقافتهم أساساً ومن ثم لم يستطيعوا أن يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع .

كانت هذه هي مرحلة الفكر الليبرالي الديمقراطي الرأسمالي الغربي . ثم جاءت المرحلة الثالثة : مرحلة الماركسية ودعوتها إلى التفسير المادي للتاريخ وصراع الطبقات .

وهكذا واجه الفكر الإسلامي خلال هذه السنوات ثلاث تيارات متضاربة ومتعارضة ، وقد سارت روافدها جميعها في طريق واحد لاحتواء الفكر الإسلامي ، وقد ألفت بثقلها في أفق الفكر الإسلامي بهدف تهديم مقوماته وزلزلة قواعده وتدمير قيمه الأساسية وإن كان ذلك في الحقيقة ما زاده إلا قوة وصموداً ، فقد كان الفكر الإسلامي قادراً على هذه المواجهة وكانت جذوره الثابتة في أعماق التربية الإسلامية مما تعجز أشد القوى عن اقتلعه ، وكانت هذه المحاولة أشبه بمحاولة سابقة جرت للفكر الإسلامي في القرن الثالث عند ترجمة الفكر اليوناني والفارسي وغيره من ثمرات الفكر الوثني وقد واجهها علماء أقرم أمثال ابن حنبل والشافعي وابن تيمية والغزالي ، وقد استطاع علماء المسلمين احتوائها وتجاوزها والكشف عن زيفها وإعلان وجهة الإسلام بمفهوم أهل السنة والجماعة .

٢ - لقد كانت الصحافة هي المدخل إلى التغريب وقد تولاهما المارون فاقنحوها بمفاهيمهم وتعصبهم وحقدهم على الإسلام والدولة العثمانية وبولائهم للاستعمار ولكل دعوات التغريب فرأيناهم منبئين في أنحاء العالم الإسلامي والغربي : أديب إسحاق ، وسليم النقاش ، وسليم عنحوري ، وفرح وأنطون ، وخليل غانم ، وصروف ، ونمر ، ومكاريوس ، وتكلا وجرجي زيدان ، وجورج طنوس ، وخليل ثابت ، وكان على رأسهم جميعاً يعقوب صنوع اليهودي فكانوا عملاء الماسونية والاستعمار ودعاة اللغة

العامة والرجل والكلمات الفرنسية العامة وكان صنوع يهودى فرنسى
الجنسية يدعى يعقوب روفائيل ويطلق على نفسه اسم نجويدا ساتوا وكانت
صحفه التى أصدرها فى مصر وباريس بعد أن طرد دعوات مثيرة للولاء
الفرنسى وكان يطلق على الخديو شيخ الحارة ، وكان شبلى شميل أخطر دعائهم
الذى حمل لواء نشر مذهب دارون حين ترجمه عن أشد الدعاة له تعصباً
وهو (بنحتر) وكانوا يحملون فى هجوم عاصف على السلطان عبد الحميد
وخاصة (سليم سرركيس) لأن اليهود كانوا يعدون الرأى العام لخلعه أو قتله
بعد أن رفض مطلبهم فى دخول فلسطين ، وكان هناك من يهاجم التراث
الإسلامى ويدعو إلى الماسونية وكان يوسف الخازن يدعو الطراباسيين إلى
قبول حكم إيطاليا ، وكان خصوم السلطان عبد الحميد (رزق الله حسون
ولويس صابونجى ، وجبرائيل دلال ، وأمين الشميل) يدعون إلى إعادة
الخلافة إلى العرب لهدم الخلافة القائمة ، وكان بطرس البستاني واليازجى يدعون
إلى انفصال العرب عن الدولة العثمانية .

وقد مضى خط الصحافة يحمل سموم التغريب كله (فهو أقرب إلى
الجاهل وأقذر من الكتاب فى غرس هذه السموم) ومن ثم أصبحت الصحافة
العربية هى منطلق تيار التغريب ، فقد نملت لواء الدعوات المسمومة :
العامة ، الفرعونية ، الجنس ، العالمية ، الفرويدية ، ثم الماركسية أخيراً .

وكانت التبعية للمناهج الغربية واضحة فى هذه القضايا ، فقد كان
طه حسين يؤمن بمذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية فى التصور المادى
الذى يقوم على الجبرية ، وكان العقاد يقيم فكره على التصور الفلسفى والمذهب
النفسى ويجرى وراء مفاهيم الغربيين فى البطولة ، بل فى الألوهية من أن
الإنسانية لم تعرف التوحيد إلا فى الأديان الأخيرة مع أن البشرية كانت موحدة
منذ أبها آدم ، وقد تأثرت العقريات بمذهب غربى فى تحليل الشخصيات
وتأثر (الفتنة الكبرى) بمذهب التفسير المادى للتاريخ ، وكان حرص
أمين الخولى على إقليمية الأدب والدعوة إلى ما يسمى بالأدب المصرى ،
وكان سلامة موسى يدعو إلى العامة والفرعونية والماركسية والتفسير المادى

للتاريخ ، وكانت دعوة طه حسين إلى الأدب المكشوف والفرعونية ، والمتوسطة وبشرية القرآن ، ودعا توفيق الحكيم إلى الإقليمية وكرهية العرب وقبول القبعة ، ودعا إلى الفن للفن ، كما دعا عبد العزيز فهمي إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ودعا على عبد الرازق إلى أن الإسلام دين رוחي وليس دين ودولة ، وكل ما كتب عن السيرة النبوية (هيكمل والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم) عليه تحفظات وفيه ثغرات كبيرة وتبعية للمناهج العربية في دراسة الأعلام ، وامتدت هذه الخيوط جيلا بعد جيل فرأينا من دعاة الفرعونية كمال الملاخ الذي أحال الأهرام إلى يومية للأصنام والمقابر ، ورأينا دعوة يوسف إدريس إلى إحراق التراث الإسلامي ، ورأينا لويس عوض داعياً إلى الفرعونية والعامية ، ورأينا يوسف السباعي وصلاح عبد الصبور وإحسان عبد القدوس يدعون إلى الإباحية في الشعر والقصة ورأينا أنيس منصور من دعاة الوجودية والجنس ، وجاء صلاح جاهين ليحمل لواء العاميات والشعر الحر والكاريكاتير النازل والمهاجم للوجه الإسلامي من الحياة المعاصرة .

ولقد كان الأهرام في يوم من الأيام وكرأ لدعاة التغريب وعلمانية المستشرقين (توفيق الحكيم ولويس عوض ونحسين فوزي وأحمد بهاء) ومن الأسف أن ينهار (الأهرام) هذا الانهيار الخطير حين يسيطر عليه هؤلاء الذين لم يكونوا يكتبون قبل سنوات قليلة ، فتبدو الكتابات السياسية والفكرية ساذجة ضعيفة منهارة يبدو فيها الولاء الفكري الوافد والتبعية الفريدة لكل مفاهيم الشعبوية والعلمانية رغبة في إحيائها وإعادة بثها ، سذاجة في الأسلوب وتبسط في العرض مما يشعر القارئ لأنه لا يوجد وراء ذلك أي تجربة صحفية أو فكرية أو معرفة بالتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تنبعث منه كتابات ضحلة ، تافهة ، ولا توجد أي خبرة عميقة ولا قراءة واسعة ، أين هذا من كتاب خبراء لا يستطيعون الكتابة في الأهرام أو في الصحف الكبرى ، لأنهم ليسوا أولياء الثقافة الغربية أو العلمانية ، ونجد أن السيطرة هي لأنيس منصور وموسى صبرى ، وبعض من لا خبرة لهم والذين وصلوا إلى مكانهم عن طرق غير طرق الأصالة ، وما تزال

الصحف الكبرى عشاً لأعداء الإسلام والعلمانيين والشعوبيين الذين يكرهون الإسلام ويسخرون من كل القيم العربية والإسلامية .

بل إننا نرى هؤلاء الصحفيين الذين وصلوا سن السبعين وعدوها وهم لا يزالون يكتبون في الجنس أمثال زكى عبد القادر ، ومصطفى أمين ، لماذا يسرفون في كتابة هذه الصور من الجنس التي لا يكتبها إلا المراهقون ، والظاهرة الواضحة إن كل كتاب اليوميات الآن قوم سدج ، تجربتهم قليلة ، أعلامهم خائية ، محصلهم قليل وخاصة النساء منهم ، فهم أشد ضعفاً ، والمحصول والكتابة توحى كلها بالسذاجة والبساطة والضعف ، هل هذا هو ما يراد من إنزال الثقافة العربية الإسلامية إلى هذا المستوى من التفاهة جرياً وراء ما يذاع في أجهزة التسلية (الإذاعة والتلفزيون) أم أنه يراد حجب الأقلام القادرة عن الكتابة ، أم لا يراد دفع القراء إلى ثقافة عالية القدر .

وإن أى مراجعة للصحافة العربية فإنها تكشف عن التبعية ، وعن أن القائمين عليها ليسوا على قدر من الثقافة التاريخية العربية الإسلامية التي تمكنهم من رؤية الأحداث والمواقف ، ولكنهم يعتمدون دائماً على صحف غربية أمثال نيوزويك ، والتايم ، يقرأونها أسبوعياً ويترجون منها كل ما ينشرون ، ويتبعون الخط الإقليمي السياسى من خلال النشرات التي تصدرها مصلحة الاستعلامات لتأييد وجهة نظر معينة ، أما الخلفيات الحقيقية التي يجب أن يحصل عليها الصحفي في فهم العالم الإسلامى والبلاد العربية ونياراتها الحالية التي تموج بها والتي ترجع إلى عصر الحروب الصليبية والاستعمارية والصهيونية ، فإن ذلك كله غير موجود فعلاً ، ولذلك فإن هذه الكتابات تبدو تافهة فاترة لا تستطيع أن تملأ نفس القارئ بالثقافة العميقة ، أو الفهم الواسع لمجريات الأمور السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامى والبلاد العربية .

٣ - أما الأدب فقد استطاع أن يحصل على مكان أكبر من حجمه الحقيقى ، بينما لم يستطع (الفكر) وهو جماع العناصر المختلفة ومنها الأدب أن يحرز هذه المكانة ، ووجدت الشخصيات الأدبية الاهتمام الكبير بينما لم تجد الشخصيات الفكرية مثل هذا الاهتمام ، ولنضرب مثلاً بالمنفلوطى

وفريد وجدى . وكاتب الشهرة عاملاً يستطيع أن يضفى على بعض الشخصيات القليلة الأثر مكاناً لا يضيفه العمل الفكرى نفسه . فقد كانت السياسية والحزبية والصحافة من العوامل التى تخلق الشهرة لأقل الناس إجاداً ومكانة ما دام له قلم جارح . ولقد كان فى استطاعة أى ناعق أن يطلق عبارة مثيرة معارضة للدين أو للتقاليد والعرف العام ، فتدوى باسمه أياماً طويلة فيصل إلى قدر من الشهرة لا يستطيع أن يبلغه من أمضى أربعين عاماً فى الكتابة الرصينة ، ومنهم من خدعه اليهود ، فأسرف فى الحديث عن قضية الإسلام دين ودولة ، على النحو الذى يكتب به البعض ، موالة لمفهوم باطل ، وهناك موالة أخرى لجميع أولئك الزنادقة والصعاليك فى مفهوم جديد للشعر تحت زعامة صلاح عبد الصبور ، إنهم جميعاً يخدعون تحت تأثير مطامع وأوهام بالمال والشهرة ليخرجوا عن مفهوم أمتهم وعن تراث أهلهم وعن عقيدة الحق اليقين نتيجة قصور أساسى فى التربية والتكلم شهد به صلاح عبد الصور فى تأريخه لحياته وشهد به الأفاق الذى طوف على الجمعيات من ماسونية ، ودينية ، ووثنية ، هذه هى ثمرة هذا الجليل الذى تكون فى ظل مفاهيم المسئولية الوافدة التى اعتصمت بإحدى الأحزاب الكبرى فترة الأربعينات فأنتجت أحمد بهاء الدين ، ومحمود أمين العالم ، وكان إحسان عبد القدوس ، ونجيب محفوظ ، ويوسف السباعى قد سبقوا فى مجال الإباحيات والكشف فى القصة ، تلاميذ لليهود المسلمين تحت أسماء المستشرقين ومتابعين دعوة طه حسين وسلامة موسى .

وقد كان كتاب الصهيونية هم أول من بث الأفكار الهدامة ونظريات الانحلال عن طريق الصحافة والترويج للصور المغرية بالانحراف المثيرة الغرائز والشهوات ، وأنت إذا قرأت الصحافة العربية بأقلام كتابها التغريبيين والشعوبيين تحس وكأن المسلمين يستسلمون للغزو الغربى وينصهرون فى العالمية والأهمية ، ومنهم يتنازلون عن شخصيتهم رويداً رويداً ، ولكن ذلك من أعمال الكذب الإعلالى لخداع الشباب المسلم ودعوتهم إلى التسليم للتبعية الغربية .

وهناك سموم المسرح والفن والرقص والغناء ومفاهيم مضللة حول

الفلكور والدراما والمساة وغيرها من مفاهيم وافدة نسطر كأنها حقائق
وتقدم للناس كأنها علوم .

وهناك خطة حول ما تبرره الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية من
الصور الفاضحة والعارية والكلمة المسمومة والقصة الجنسية ، والمقال
المجوى ضد الإسلام ودعائه ، هذه الصحف تدخل كل بيت ، وقد تخصص
كثير من هذه المجلات في نشر أدب الفراش وقضايا النجوم الفنية ومنها
ما تخصص في سرد أخبار النجوم والكواكب وأخرى تتسمى ببنات جنسها
وتزعم أنها تقدم قصة حواء وتجارب تعاليم الإسلام فيما يتعلق بالطلاق
وتعدد الزوجات والحجاب . وترد لنا من لبنان الشبكة والموعد وما شابهها
التي تقدم صوراً فاضحة وأوضاعاً صارخة ، وما بين دفتيها يחדش الحياء
وتهدم الأخلاق .

وعندما تطالع الصحف العربية تحس أنه لا هم لها إلا إحياء ذكرى
المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات ، هناك ألبوم كامل يفتح يومياً
على هذه الذكرى أو تلك ، هم الفنانون فقط الذين تحتفل بهم الصحف ،
أما أعلام الفكر والأدب والصحافة فلا يذكرون ، بل لقد ذهب مخرجوا
السينما إلى إعادة إحياء ذلك الجانب الأسود المظلم في تاريخ مصر بإعادة كتابة
حياة الراقصين والمغنيين والإباحيين حتى لا ينشأ فيلم كامل عن حارة
الدعارة التي كانت بمصر أيام النفوذ الاستعماري ، وحينها تنظر تجد
(ريا وسكينة) و (شفيقة القبضية) و (وداد الغازية) ماذا يراد بهذا ،
هل هذا هو تاريخ مصر ؟ هل هذا هو ما يريدون أن يقدمونه إلى الشباب
المسلم ، حياة الغوازي والمراقص والبغاء التي كانت سبة في عصر
الاحتلال ، لماذا تعاد هذه الحيوانات السوداء وتطرح من جديد على جيل
جديد مفرغ من أى مفاهيم وطنية أو دينية ؟ ، وما هذا الاهتمام بالفرعونية ؟
ماذا يراد به ؟ هل هذه هي حقيقة الانتماء المصرى ؟ الحقيقة أن الانتماء
المصرى (عربى إسلامى) ، أما الفرعونية فهي مرحلة تاريخية ، وذلك
عهد قد انقطعت الروابط به ، فقد جاء الإسلام وهو عهد لا تاريخ له ،
ولا ثقافة ، ولا لغة ، لقد مات ، مات ، ولن تستطيعوا إحياءه مهما فعلتم
أيها الشعوبيون ؟

ولماذا هذه السخرية بالتاريخ حين يحاول نجيب محفوظ السخرية
بابن بطوطة فيكتب ما أسماه رحلة ابن فطومة ، وما هذه الكلمات المدسوسة
في للرحلة الرامية إلى الإباحية وإلى الحديث عن الخمر في قوله : (أتصدق
حقاً أن إهلك يهمة أن تشرب خمرأ أو لا تشربها) !

٤ - وهناك تيار الماركسية المسموم ودعائه الذين يحرفون الكلم ،
أصحاب التفسير المادى للتاريخ ، كتابات الحسين ثائراً ، والحسين شبيداً
لعبد الرحمن الشرقاوى ، وسليمان الحلبي لا لفريد فرج ، ومأساة الحلاج
لصلاح عبد الصبور ، وصلاح الدين للشرقاوى .

لقد خضعت الصحافة لهذا التيار سنوات طويلة ، وما تزال آثارهم باقية ،
خضعت الصحافة المصرية (أسبوعية ويومية للتيار الماركسى) وتولى أمرها
بالإضافة إلى الصحف التى أصدرها الشيوعيون كالطلبة والكتاب المصرى ،
ففى يولية عام ١٩٦٤ تولى أحمد بهاء دار الهلال وعمل معه كامل زهيرى ،
ومحمود أمين العالم ، وإبراهيم عامر ، والهلال مر بمرحلة الماركسية والأدب
الجنسى والوجودية (يوسف إدريس ورجاء النقاش) وكلفوا النساء
بدراسات جارحة عن الجنس أو عن البغاء (سهر القلماوى فى مصر ،
وخديجة المدالى فى المغرب) . واستغل الماركسيون رفاة الطهطاوى ،
كما استغله الليبراليون لأنه تأثر بالفكر الغربى فى الدعوة إلى الوطنية بديلاً
للعقيدة والمصرية فى مواجهة الخلافة العثمانية . والإعجاب بمظاهر الحضارة
الغربية وخاصة الرقص الغربى . وجاء دعاة النزعة العقلية على مفهوم الفلسفات
المادية ، نديم البيطار ، وجلال صادق العظم ، هذان الذين ظهرا بعد النكسة
مباشرة عام ١٩٦٧ للدعوة إلى ما سميها علمية الذات العربية وإخراج الجيل
الجديد من إطارات الدين .

وتوسع التيار العلمانى ذى اللون الماركسى بعد أصحاب اللون الليبرالى ،
وهو تيار قائم على كراهية الوحدة الإسلامية . وإعلاء شأن القوميات واعتبار
القومية أعظم من الإسلام ، وتفسير التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ إقليمية
(جابر الأنصارى ومحمد عمارة) وأن الحروب الصليبية كانت حروباً عربية ،

تتعلق بأقاليم كالشام ومصر مع كراهية معلنة للدولة العثمانية ، حامية الإسلام أربع قرون ، وذلك لتمزيق مفهوم الجامعة الإسلامية .

ولقد كانت فكرة القومية العربية تهدف أن تكون مناقضة ومعارضة للإسلام ومناهضة للوحدة الإسلامية ، مناهضة سرية تحت ستار العروبة وهى أشبه بالفينيقية والفرعونية ، فهى عندهم دعوة لإقليمية تولى شأن الجنس وترى فى القومية عقيدة . ولقد كانت جميع الأحزاب القومية التى نشأت فى بلادنا قد جعلت همها الدعوة إلى العثمانية ومحاربة الإسلام ، فجعلوا العلاقات بين الدول العربية تقوم على رابطة العرق وحده ، المجردة من كل صلة بالعقيدة وجعلوا علاقاتهم بالدول الإسلامية كعلاقاتهم بالكونغو والمكسيك والأرجنتين ، وقد نشأت فكرة القومية المغلقة ، وجعلوها موازية لفكرة الألوهية للتخلف من الإسلام ، وقد بدأت نظم الأحزاب سياسية وانتهت ماركسية .

٥ - لقد كانت المحاولة تهدف إلى قطع الفكر الإسلامى المعاصر عن الفكر الإسلامى فى مسيرته خلال أربعة عشر قرناً ولذلك أسماه الفكر المصرى أو الفكر العربى ، وكذلك قطع الأدب العربى المعاصر عن الأدب العربى منذ أوائل الإسلام ، وهى محاولة جرى عليها طه حسين ، والعقاد ، وهيكلى والمازنى ، وكانت دراساتهم لابن الرومى والمغربى والمتنبى وغيرهم مرتبطة بفاهيم النقد الغربى التى قامت على أساس استعلاء العنصر كالقول : بأن عظمة ابن الرومى إنما جاءت من أصله الرومانى .

لقد سقطت مؤامرة الشعر الحر بموت صلاح عبد الصبور وكان لويس عوض هو أول من أهدى عبد الصبور إمارة الشعر الحر الذى رد له الجميل بطبع كتابه المسموم (مدخل إلى تاريخ اللغة العربية) بعد أن تولى مسئولية هيئة الكتاب .

أما كتاب القصة فى عصرنا فلم يخرجوا عن أن يكونوا تابعين للمذهب فرويد فى الجنس أو مذهب ماركس فى التفسير المادى والاقتصادى للعلاقات بين الأفراد فى المجتمع وكلاهما باطل وفاسد ومحتوى وجارياً وراء

الأهواء . كان يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ، ويوسف إدريس ،
ونجيب محفوظ بعد شيخهم توفيق الحكيم غلماناً للمستشرقين واتباعاً للمناهج
الوافدة . لقد كان كتابنا الكبار قناطر للفكر الغربي :

دعاه طه حسين إلى فصل اللغة العربية والأدب عن الفكر الإسلامي .

دعاه ساطع الحصري إلى فصل العروبة عن الإسلام .

دعاه علي عبد الرازق إلى فصل الدين عن المجتمع .

روج سلامة موسى لمفاهيم فرويد ونظرية الجنس .

روج عبد الرحمن بدوي لنظرية الوجودية وامتداده في سهيل إدريس ،
وأنيس منصور .

روج طه حسين لنظرية الشك الفلسفي وبشرية القرآن .

روج سلامة موسى ، وإسماعيل مظهر لنظرية دارون .

روج طه حسين ، ومحمود عزمي لحضارة البحر المتوسط .

أعلن طه حسين في مصر ، وأحمد أغايف في تركيا للتبعية للحضارة الغربية
وتبني فكرة تومجي المسمومة من أن المدنية الأوروبية كل لا يتجزأ ، تؤخذ
بمادياتها وفكرها ، أي أن أساسها هو الفكر المسيحي مع أن الإسلام عقيدة
ونظام إجتماعي كامل وحضارة ، بينما المسيحية ليست كذلك .

وتبدو فكرة الاحتواء التلمودي واضحة في مسائل الفن والأدب والدعوة
إلى وحدة الأديان :

إن ما يكتبه هؤلاء هو وجهة نظر مستمدة من ثقافة مختلطة واحدة وتجربة
قليلة ولا يمكن أن يمثل منهجاً عاماً ، خاصة أن هؤلاء الكتاب من ثمار
المدرسة العلمانية الغربية وأنهم مع الأسف لم يطلعوا على وجهة النظر الإسلامية
في مختلف أمور الاجتماع والفكر ، وأن على القارئ المسلم الذي يقرأ لهم
ألا ينخدع بما يقدموه ، لأنه ناقص ، وعليه أن يقرأ إلى جانب ذلك وجهة
النظر الإسلامية ، لدى كتاب (المدرسة الإسلامية) وهم يمثلون اليوم في
مجموعة من كتاب أبرار الرصانة والاعتدال وعمق الإيمان بمسؤوليات
الأجيال .

٧ - من المؤتمرات التي تسوقها حركة التغريب والشعوبية والغزو الثقافي
(فتنة الانتقاء من التراث) التي يثيرها زكى نجيب محمود ونفر من التغريبين .

من الذي يحكم على التراث ، وما هي أدواته في القياس ؟ . . . لقد علمتهم
الدعوة المسرفة إلى العصر وإلى أنهم أساتذة أنفسهم إلى إطلاق الرأى في جرأة
الذى لم يبلغ الرشد أو يعرف قدر الكنوز التي بين يديه فهو يبددها في سفه
الوارث الجاهل .

إن التراث الإسلامى لا يتجزأ ، ومقياس التفسير المادى للتاريخ
لا يصلح ، إن إيجابيات التراث وسلبياته ضرورة لنا لمراجعة ماضينا ورسم
مستقبلنا ، إنهم لا يملكون الإيمان والحافز والغيرة على تاريخ هذه الأمة
وميراثها الربانى ، حيث لا يقاس تاريخ الإسلام ولا تراثه على تراث الغرب
وتراثه للفارق البعيد والعميق ، نحن نؤمن بأن التراث ليس شيئاً مقدساً ،
التراث كالتاريخ ، فيه الإيجابيات والسلبيات ، ولكن العقيدة (الميراث)
هى الشئ الوحيد الذى هو فوق النقد لأنه الحقيقة الخالدة الباقية .

٨ - إن البصر النافذ إلى تيارات الفكر الوافد تكشف عن أن هناك
حرباً معلنة على الأصالة وعلى اليقظة وعلى الصحف الإسلامية تصطنع كل
الوسائل والأساليب والخطط وتنتظم جميع المحاللات ، بهدف توهين هذه
الخطوة الجبارة التي قطعها المسلمون بالإسلام على رأس القرن الخامس
عشر الهجرى :

فى مجال التأليف والأدب نجد تلك الصورة الغامضة ، العائدة من
السربون وهى دكتورة فى الإخراج المسرحى تعلمت من المخرجين الفرنسيين
الذين تعلمت على أيديهم وقد أمضت أربع سنوات فى باريس من أجل
الدراسة !

ونجد هؤلاء المؤلفون الذين لا يكتبون عن إفريقيا إلا عن الموسيقى والرقص
والغناء الذى يرتبط بالسكر والتطبيب ، وهذا الباحث فى الأندلس لا يدرس
إلا الخيال والشعر فى نصوص الأندلس ، كأنما لم يعد هناك شئ يدرس
إلا ابن عربى وغزلياته الروحية وديوان ترحمان الأشواق ، وهذه المفاهيم
لمنحرفة عن وحدة الوجود والحلول .

أما الظاهرة الخطيرة حقاً ، فهي ظاهرة الكتابة عن السحر والعفاريت وشغل الناس بالجن ، في فترة من أدق فترات حياتهم وحياة مجتمعاتهم .

وكان قد وجه مصطفى أمين إليها أنيس منصور منذ سنوات عندما أدخل إلى مصر قصة السلة التي كافأه عليها بأن جعله رئيساً لتحرير مجلة (الجيل) التي لم تلبث أن سقطت واليوم نرى هذه الظاهرة تتسع في صورة مقالات أسبوعية في جريدة الأخبار وفي صورة كتب تصدر ، أما إسماعيل يونس فقد خاض هذه الأوجال والأقذار وجاء عبد العاطي حامد ليكمل مشوار صاحبه وتحمل جريدة الأخبار لواء هذه المؤامرة ، ونرى المرأة وهي تكتب اليوم هذا الأدب المكشوف الإباحي حتى يوصف ما تكتبه (فلانة) بأنه ثورة على كثير من تقاليد المجتمع ، هذا المسافر في دمه لن يكون إلا السرطان الخطير الذي يتحرك في أفق الكتابات النسوية حاملاً مفاهيم الإباحية والجنس والحياة الزوجية والذي يجد من يشجعه ويدفعه ويحميه ليصب هذا الاثم كله في كتب تقرأها الفتيات فتتلوث فطرتها وتفسد طبيعتها وتظن أن الحياة ليست إلا ماخور كبير .

٩- ويجرى كل هذا ، وأغرب منه حوار توفيق الحكيم مع الله (جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً) وإذا أريد لفت النظر قالوا : إنها (حرية الفكر) هذه الكلمة التي أصبحت كالسيف المصلت في يد جماعة يريدون الترويج لمفاهيم لا يرضاها الإسلام ، إنهم إن آمنوا بما يعتقدون فذلك لهم ولكن الترويج لذلك بين الناس وإثارة الشبهات في الصدور ، واللهو بعواطف الناس ومشاعرهم فهذا ما لا يرضى عنه أحد . ولقد أعجبتني كلمة الشيخ الشعراوي في هذا حيث يقول :

(إن حرية الفكر للإنسان هي أن يكون حر الفكر فيما يختاره من دين ، فإذا ما انتهى بقواعد فكره إلى دين ، يجب أن يلتزم بقضية الدين ، ولا يحتج علينا بأنه : « لا إكراه في الدين » .

فالمقصود هو أنه لا إكراه في اعتناق الدين ، أما حين يتدين فيجب أن يحترم اختيار عقله ، ويلتزم بأحكام دينه .

حرية الفكر لا يأخذ بها الناس إلا في أمر أباح الشارع الحكم فيه ،
أما حين يأتي الشارع بنص يحتمل فكري وفكري فهذا اجتهاد ، ولذلك كان
لدى المجتهدين رضوان الله عليهم دقة في الأداء ، كانوا يقولون رأى صواب
يحتمل الخطأ ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب .

١٠ - وبعد فقد تجد التيارات الوافدة فرصتها الكاملة للتعبير عن وجهة
نظرها بينما لا يجد التيار الإسلامي مثل هذه الفرصة لإحقاق الحق فيما يثار
مع أن التيار الإسلامي هو التيار الأصيل : تيار الأمة منذ أربعة عشر قرناً ،
ذلك لأن العلمانيين والماركسيين قد تداولوا السيطرة على الصحافة العربية
ومن ثم فإن هناك تجاهل تام للتيار الإسلامي ، حيث لا تتاح له الفرصة
لتصحيح المفاهيم الزائفة ، فهم يبرزون مفاهيمهم على أنها تسود المنطقة
مع أنها مرفوضة ، وإذا عرضوا للتيار الإسلامي عرضوا له في مخزية وإقلال
ونقد ، ذلك لأنهم يجدون منابر مفتوحة واسعة لكلماتهم سواء في الصحافة
القومية أو في الصحافة الحزبية ، ما لا يجده التيار الإسلامي الذي عاش دائماً
وأبدأ على بصيص ضئيل من النور ، فالكامل يحاول انتقاظه وانتقاظه وعدم
الاعتراف به وتجاهله وحجبه وهناك مؤامرة صمت بالغة نحو مفاهيمه وهناك
التعتمد المتعمد على أخبار العالم الإسلامي وقضاياه في عديد من المواطن التي
تواجه التحديات من القوى الأجنبية والشيوعية على السواء .

ومن أجل هذا كله كان لابد من (إعادة النظر في كتابات العصرين)
اللهم اجعلنا مسلماً لأوليائك ، حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونبغض
ببغضك من خالفك . هذا وبالله التوفيق .

الباب الأول

قضايا مثارة فى ضوء الإسلام

- الفصل الأول : الشريعة الإسلامية .
- الفصل الثانى : الإسلام : عقيدة ومنهج حياة .
- الفصل الثالث : مفهوم الإسلام للفن وقضاياها .
- الفصل الرابع : الموازنة على الخلافة والدولة العثمانية .
- الفصل الخامس : كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- الفصل السادس : الذاتية الإسلام ومعرفة المحافظة عليها .
- الفصل السابع : مصر عربية إسلامية .
- الفصل الثامن : استعلاء موجة الجنس .
- الفصل التاسع : حقيقة القمم والشوامخ .
- الفصل العاشر : خلفاء طه حسين .
- الفصل الحادى عشر : سقوط مذهب الوجودية .
- الفصل الثانى عشر : الفصحى لغة القرآن .

الفصل الأول

الشرعية الإسلامية

(فتحي غانم - روز اليوسف)

محاولات مستميتة لتشويه الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

لقد سقط نظام الموائمة منذ وقت بعيد .

الشورى ليست الديمقراطية ولن تكون

عملية الاقتباس من الغرب للأساليب وليست للمناهج .

إن عقلية قانون نابليون يجب أن تذهب .

كان السؤال المثار والذي حظى بالاهتمام هو : موقف تلك الطائفة من المعطلة التي برزت في الفترة الأخيرة ، تحاول الوقوف في وجه الخطوات النامية التي تستهدف تطبيق الشريعة الإسلامية وهي وجوه ماركسية تحت أقبعة علمانية ترفع شعارات التقدم ، وهم من المشبطين الحاقدين الذين يقفون في وجه المد الإسلامي ، بأسلوب لبخادع يدعى الغيرة على الشريعة الإسلامية والخوف من أن يؤدي تطبيقها إلى فشل يلحق بالفكر الإسلامي ، وبزعزع روح الإيمان بالإسلام ، وهم خادعون في هذه الدعوى ، وإنما هم يريدون بكل ما يطرحونه أن يقفوا أمام هذه الموجة العارمة ، وأن يشبطوا الحمم ويبعثوا في النفوس اليأس . ومن ذلك الوقوف أمام تلك الصيحة التي أعلنها الدكتور مصطفى أبو زيد فهمي في كتابه (فن الحكم في الإسلام) والانزعاج من أن يقول أنه أحسن بزلزال هزيمة سنة ١٩٦٧ فسأل نفسه ذلك السؤال الذي لا بد أنه أقلقنا جميعاً ، أما من علاج لكل ما حل بنا ؟ أما من طريق إلى إعادة بناء الود والمادة بناء المجتمع ، ثم يقول أنه بتفكيره العميق انتهى إلى ضرورة العودة إلى الإسلام ، وإلى كتاب الله لتطبيق تعاليم الإسلام في كل حياتنا العامة والخاصة ، ومن هنا يدعو الدكتور مصطفى أبو زيد فهمي إلى إعلان الحكم الإسلامي وقيام المجتمع الإسلامي فوراً ، ويلج في أن تعود الأمة إلى رحاب الله فوراً ، وهو يرى أننا حين نفعل ذلك فإننا نكون قادرين على إنزال الهزيمة الساحقة بالدولتين العظميين في عالم اليوم ويرفض الدكتور

أبو زيد فهمي المواهمة بين أفكار ومبادئ معاصرة في أنظمة الحكم ، وبين الإسلام ويقول إننا لا نستطيع أن نكون مسلمين جزئياً على الإطلاق .

ومع أن الدكتور مصطفى أبو زيد يقدم هذا العمل إلى قادة الأنظمة السياسية ورؤسائها فإن القوى المعادية للفكرة الإسلامية تندفع في عصبية شديدة لتقول أن هذا العمل خطير وأنه قد يحدث آثاراً بعيدة المدى وأن هذا من شأنه أن يجد المسلمون أنفسهم متورطون في حرب ضد حكومة إسلامية أخرى ، وهي أوهايم يسوقها خصوم الشريعة الإسلامية ليقاوموا أى صوت يرتفع في هذا المجال على النحو الذي قام به فتحي غانم في مجلة روز اليوسف على مدى أربع أسابيع متوالية .

وهذه طريقة أعداء الشريعة الإسلامية ، الذين يدخلون إلى البحث وكأنهم أولياء للفكرة — مع أن أمثال فتحي غانم من المعروفين بالتاريخ الطويل في الماركسية والعلمانية — وهم الأعداء الطبيعيون لكل وجهة إسلامية خالصة كما يتبين من تلك السموم التي طرحها الكاتب ، مهما حاول اتخاذ الأسلوب العلمي الهادئ الخادع لكسب القراء إلى صفهم فهم لا يلبثون أن يقلعوا السموم لهم جرعة بعد جرعة .

أولاً : هم يعرضون دائماً لما يسمونه صور الخلاف والفتن في تاريخ الإسلام بين السنة والشيعة ، وبين المعتزلة والفقهاء ، وهي في الحقيقة خلافات فكرية داخل إطار لا إله إلا الله وهي في ذاتها أمر طبيعي ، فاختلاف الأمة رحمة ولا اعتبار عليه ما دام لا يتصل بأصل من أصول الإسلام وإنما يتصل بالتطبيق الذي يقوم به المسلمون .

ثانياً : محاولة معاملة الإسلام والشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية من حيث التحدث عن الإسلام بكلمة (دين) الذي لا تستطيع أن تمثل مفهوم الإسلام اليوم بعد أن فهمت هذه الكلمة على النحر المعروف في الغرب وهي النواحي العبادية واللاهوتية وليس الإسلام ديناً بهذا المفهوم ولكنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع .

وإن هؤلاء الكتاب الماركسيون والعلمانيون ينطلقون من منطلقات غريبة أساساً ، لا تفهم الإسلام على حقيقته ولكنها تفهمه كما يفهمه ، المستشرقون ، في ضوء الفهم الغربي للدين ، وليس كذلك الإسلام ، وأنه

لمن أكبر الخطأ معاملة الشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية والأيدولوجيات من حيث الكلام عن تطورها وعن تغيرها ، ومن ناحية إخضاعها للمجتمعات نفسها وهو ما لا يتفق مع (ربانية) الشريعة الإسلامية و (بشرية) المناهج الوضعية ، والإسلام في أصوله وغاياته لا يناقش من حيث الصلاحيات أو جزئية التطبيق ، وإنما هو منهج كامل بجامع ، وأن أى مناقشة لا تكون حول الأصول والغايات وإنما تكون في الوسائل ، وليس للعقل أى دخل في تطبيق الشريعة أو تفسيرها وإنما يقبلها المسلم كما أنزلت ، والعقل له مجال آخر ، وميدانه العمل في العمران والسعى في الأرض ، وليس في استطاعة العقل البشرى القاصر إبداء الرأى في الشريعة ، وإنما يقرر الإسلام أن العقل جهاز يهتدى بنور الوحي .

ثالثاً : هناك محاولات دائبة للتشكيك في تطبيق الشريعة الإسلامية وحديث عن التجارب التي قامت لإقامة الحكم الإسلامى . والواقع أنه ليست هناك عقبات حقيقية في الداخل وإنما هذه العقبات مما تصطنعه القوى الخارجية التي لا تريد تطبيق الشريعة الإسلامية والتي تسلط أعوانها في الداخل لتعويق هذه الخطوة ووضع العراقيل ، ومن الطبيعي أن النفوذ الغربى المتسلط من خلال أنظمة المصارف والمعاملات التجارية الناهب لثروات الأمم الإسلامية ، يعارض وبشدة ويبدل كل ما في وسعه للخلوأة دون قيام نظام الحكم الإسلامى الذى يرى أنه سيقطع يده ويد أعوانه عن نهب ثروات الأمم .

رابعاً : أن هناك جبهة بين مفكرى الغرب ممن لا صلة لهم بدوائر الاستشراق والسياسة يصمدون عن يقين واقتناع بأن الشريعة الإسلامية من أصلح الأنظمة العالمية ، وهم أصدق من جماعة من قومنا يعارضون هذه الشريعة ويتمحلون بالأسباب التافهة والعبارات البراقة لتعويق تطبيقها .

إن دراساتهم مستمرة منذ أكثر من مائة عام ، والباحثون منهم اليوم أكثر اقتناعاً وإيماناً بقدرة الإسلام على العطاء وعلى بناء المجتمعات الصالحة بل إن بعضهم يدعو إلى تطبيق الإسلام في الغرب ويؤمنون بأنه قادر على إصلاح المجتمعات الغربية المنهارة ، وأن هناك علماء يدرسون الآثار السياسية والاجتماعية التي لابد أن تؤثر في سياسة العالم نتيجة تزايد المسلمين ، ومن

هؤلاء صاحب كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) .

أولاً : سقوط نظام المواطنة :

وبحلول أعداء الفكر الإسلامى خلق (معوقات) تحت أسماء لامعة ومنها فكرة المواطنة ، هذه التى يروج لها زكى نجيب محمود وبعض رجال القانون الذين يحاولون الجمع بين الشورى والديمقراطية أو العدل الإجماعى والأشتراكية .

ولكن فكرة المواطنة ليست فكرة سليمة ولا صحيحة ولا متفقة مع مفهوم ذاتية الإسلام الخاصة الخالصة ، التى لا تقبل الامتزاج أو التجزئة .

إن فكرة (المواطنة) قد سقطت منذ اليوم الأول فى الفكر الإسلامى والترويج لها لا يمثل الواقع التاريخى الصحيح ، والمعروف يقيناً أن هذه المحاولة صدرت منذ اليوم الأول ، وأن مفكرى الإسلام رفضوها ، وأن دعاة المواطنة قد عزلوا وأطلق عليهم اسم المشائين المسلمين باعتبارهم حلقة من المشائين اليونان .

وكل ما يتصل بالمعزلة والمواطنة بين فلسفة أرسطو والإسلام الذى قام به (ابن سينا والغارابى) كان عملاً مرفوضاً ، ومن قبل كان عملاً مضللاً ولم يستطع أن يحقق شيئاً ولم يقبله مفكرو الإسلام الأصلاء .

والإسلام فى مفهومه الأصيل وفى عصره الزاهر وعلى طول المدى لم يقبل أن يشاركه شئ من أوراق الوثنية أو الديانات السابقة عليه وقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك صراحة عندما جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بورقة من كتاب قديم .

ثانياً : الشورى ليست الديمقراطية :

ومن هذه المحاولات ما يقوله الدكتور الأنصارى فى كتابه (الشورى وأثرها فى الديمقراطية) الذى نقول له : إن الشورى ليست الديمقراطية أبداً ولن تكون وأن ما يقوله الدكتور الأنصارى يدل على تغربة ، وولائه للفكر الغربى وعلى أنه لم يتعمق فهم الإسلام فهماً دقيقاً ، فإن كان يرى أن الديمقراطية هى ضمانة الأمن والاستقرار فى المجتمع فإننا نقول له : إنه لو درس الإسلام دراسة متعمقة لوجد فى الإسلام خير منها ولعله قرأ ما كتبه

الباحثون الغربيون عن فساد الأنظمة الديمقراطية وعجزها عن التمثيل الصحيح للشعوب ، وإنها خدعة يخفى وراءها كثير من طلاب الحكم الفردي ، وإنها تشريع بشري ، يختلف اختلافاً واسعاً عن الشريعة التي هي ربانية الأصل والتي لا تجري الحوار حول نصوصها بل عن تطبيقها .

ثالثاً : ليس في الإسلام حكومة ثيوقراطية :

ومن هنا فإن علينا أن نقول للذين يتحدثون عن الحكومة الدينية : إن الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية) التي تحمل طابع القداسة أو التي لها رجال دين وإنما يعرف الإسلام الحكومة الإنسانية ، وأن مفهوم الشيخ على عبد الرازق مفهوم غير أصيل وأنه وافد ، وقد كتبه مستشرق يهودي هو مرجليوث وأورثه هذا العالم الأزهرى الضال ، الذي أذاعه والذي ما زال تكتة لكل المضللين ، وخصوصاً الشريعة الإسلامية وفي مقدمتهم عبد الحميد متولى الذي ينكر أن الخلافة أساس من أسس الإسلام .

رابعاً : عملية الاقتباس للأساليب فقط :

إن عملية النقل ، أو الاقتباس ، أو الانفتاح أو غيرها فإنها لا تكون أبداً في الإسلام بالنسبة لمناهج أو أهداف ، ولكنها تكون بالنسبة للوسائل والأساليب وحدها ، فإن عطاء الإسلام في مجال أسلوب العيش لا يحتاج مع المسلم إلى اقتباس أو نقل ولا ريب أن كل أسلوب للعيش في الأيدولوجيات الغربية أو القديمة هو أقل بكثير وأضيق بكثير مما أعطى الإسلام ، وينقصه الإيمان بالله وأخلاقية الحياة والالتزام الفردي بالبعث والجزاء .

وأسلوب العيش (غير الإسلامى) يقوم على انشطارية واضحة ، فهو مادية خالصة وفي الشرق روحية خالصة (الرفانا والبوذية والكنفوشيوسية) وكلاهما يعجز عن التكامل الجامع الذي يقوم عليه الإسلام والذي يضع أمام كل حالة وكل موقف : (نظرة جامعة : مادية وروحية معاً) ويجعل أسلوب التقدم أسلوباً جامعاً بين المادة والروح ويجعل نظرته إلى الآداب والفنون نظرة جامعة تتقدم فيها الأخلاقيات على الجماليات . وقد ثبت فساد نظرية الموازنة بين التراث والفكر الوافد ، ونظرية الموازنة بين الشورى والديمقراطية بين العدل الإجماعى والاشتراكية (مع الفكر الغربى والفكر

المساركسي) بل أن الأمر قد تطور إلى أبعد مما كان يقوله دعاة التجديد من الربط بين الشرق والغرب ، والماضى والحاضر ، فقد أعلنت حركة اليقظة الإسلامية أن الأساس هو الإسلام بمفهومه الجامع (نظام مجتمع ومنهج حياة) وأن القديم والجديد لا ينظر إليه إلا في ضوء المفهوم الأصيل الجامع فإن كثيراً من التراث لا يمثل حقيقة الإسلام فضلاً عن الوافد الذي لا يمثل قيمنا ولا تحديات مجتمعتنا .

خامساً : لا كراهية للثقافة الأجنبية أساساً :

وليس معنى هذا كراهية الثقافة الأجنبية كما يدعى البعض ، وإنما هو سوء القصد وسوء النقل فإن كل ما ترجم لنا كان من غثائفة هذا الفكر ، من المشيم الفاسد ، الإباحي ، المضلل ، المتصل بإوجال الأمم ، وأساطيرها في طفولة البشرية ، وكانت هذه الثقافة فيما تقدمه لنا متعصبة على سماحة الإسلام ، مستعالية على يسر الإسلام ، تحمل طابع الغرور والعنصرية والدم الأبيض ، وتنظر في احتقار إلى الشعوب الملوثة ، فالكرهية إن جاءت فإنما جاءت كرد فعل الاستعلاء والاحتكار وماذا حملت لنا هذه الثقافة (إلا في أقل القليل هما ترجم من العلوم) غير الإلحاد والإباحية وفتح النوافذ لتهديم القيم كمدخل إلى امبراطورية الربا التي تريد أن تلتهم كل ثمرات الأمم بعد أن تمزغها في وحل الفساد والبغاء والأباحيات .

سادساً : عقلية قانون نابليون :

ويبقى بعد ذلك أثر قانون نابليون في عقليات الأجيال بما تحمل من استهانة بكرامة المجتمع والأعراض ، وبما نجد من تصريحات رجال في القانون لهم أسماء لامعة حين يقولون : ما في القانون الوضعي من خلاف عن الشريعة إلا في أمور هينة ، ومن يقولون : إنه في استطاعة القانون الوضعي مع تعديل يسير أن يصبح شريعة إسلامية ، أليس قانون نابليون مأخوذاً من مذهب مالك ؟ إن الأمر ليس بهذه السهولة ، إن القانون الوضعي معجون بسموم المجتمع الغربي وإباحتاته وتفريطه في العرض والأخلاق والقيم التي يحرص عليها التشريع الإسلامي ، وفضلاً عن ذلك فإنه يقوم على عقوبة على فعل يتم ، بينما نجىء (حدود الإسلام) لتحول دون وقوع الجرم نفسه . إن التجربة الطويلة للعالم الإسلامي إزاء القانون الوضعي وإزاء مفاهيم الديمقراطية

والليبرالية قد كشفت عن حقيقة أساسية : هما زفرض الروح العلمانية ، وعدم قابلية النفسية الإسلامية لها واعتقاد جازم بأن كل الوافد من القوانين الوضعية لم يحقق للمجتمع الإسلامى مطامحه ، بل على العكس من ذلك فقد ذلل المجتمع الإسلامى للإباحية والربا وأفسد الأجيال التى أخرجها أسلوب التربية العلمانى . لقد فشلت الديمقراطية الغربية وفشلت الاشتراكية الغربية (فى الغرب نفسه) فكان علينا أن نعلن إفلاس هذه الثقافات التى عجزت عن أن تتواءم مع فكرنا الإسلامى الجامع فى أصوله وفى وجهته وفى ربانيتها حتى يأتى بعد هذه السنوات الطويلة من لا يزال يحاور فى (الموامة) بين الديمقراطية والشورى الإسلامية . إن عقلية قانون نابليون لا تزال تتحكم فى الفكر والصحافة والثقافة وعليها أن تذهب فقد انقضى أمرها .

إن الجسد الإسلامى يرفض الجسم الغربى ، لأنه ليس من طبيعته ولأن هذا الجسم الغربى يقوم على المادية الخالصة ، والتفسير المادى للتاريخ ، ويخلو من الأخلاقية والالتزام بالجزاء الأخروى ، وهذه هى الأسس التى قامت عليها الحضارة المهاره وهل يمكن أن يدور الإسلام (فى دائرة القول بإعادة صياغة الفكر الإسلامى والموامة بينه وبين الفكر المعاصر) فساد الحضارة أو فساد الربا أو فساد القانون الوضعى أو فساد التعليم العلمانى الإلحادى ، هل يمكن أن يأخذ الإسلام بنظرية (الرخص) فى مواجهة (عزائم) القوى التى لا تريد أن يأخذ المسلمون قيادة مجتمعهم والتى تعمل على تأخير نهضتهم وعلى استبقائهم دائماً فى دائرة الحصار والمصادرة .

سابعاً : تجربة باكستان :

أما الحديث عن تجربة باكستان فهو حديث مضلل ، لأنه يعتمد على وجهة نظر أعداء الإسلام والتابعين للغرب ، وما تجربة باكستان إلا مثل للتجربة الإسلامية فى كل مكان من حيث تمكن عملاء الغرب من مصادرتها ، إن أماننا وثائق واضحة مجلية مما كتبه الأستاذ المودودى تكشف زيف ما يذهبون إليه فى الادعاء بأن التجربة الإسلامية قد فشلت للخلاف بين المسلمين والحقيقة أن النفوذ الغربى كان منذ اليوم الأول حريصاً على أن لا يقوم المجتمع الإسلامى ، وما كان محمد على جناح ولياقت على نخان إلا من العاملين فى حقل الغرب وممن كانوا لا يؤمنون بالمفهوم الإسلامى أساساً .

ثامناً : الاستشهاد بالشيخ عبده :

أما الاستشهاد بالشيخ محمد عبده فهذا هو اليوم يدين اليساريين والعلمانيين وخصوم الفكرة الإسلامية من أجل تعويق النهضة ، لأن الشيخ محمد عبده في الحقيقة لا يستطيع أن يمثل إلا عصره ، وإلا تلك المرحلة التي عاشها وهي مرحلة دقيقة - لم يكن من اليسير للشيخ أن يقول فيها رأى الإسلام صراحة ، فكان يحاول إزاء الأوضاع والتحديات التي يثيرها النفوذ الاستعماري ويثيرها موضعه هو من الخديو ومن كرومر أن تكون كلماته مما يصلح لوقته ، وكفاه أنه رد عادية خصوم الإسلام في اتهام الإسلام بالجمود ولكن لماذا يظل الشيخ محمد عبده بعد مائة عام موضع الاستشهاد وقد خطت حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة في الوصول إلى الأصالة وإلى مفهوم الإسلام المستمد من منابع ، كذلك فإن الاستشهادات التي تنقل عن محمد عبده ، هي أمور متحولة قال بعضها ورجع عن بعضها وفسرت فيما بعد ذلك على نحو من الانحاء ، وأن كثيراً من النقد قد وجه إلى فكر الشيخ محمد عبده حتى من تلميذه الأثير الشيخ رشيد رضا بل أن مدرسة المناطقة والكلاميين التي عرفت عن جمال الدين ومحمد عبده قد تغير الموقف منها بعد أن ظهرت مدرسة القرانيين الذين يستمدون من القرآن والسنة المطهرة ، والحقيقة إن هذه المحاولات في (إثارة الشبهات) حول تطبيق الشريعة الإسلامية بأسلوب ماكر خبيث ، وعن طريق إثارة قضايا المواءمة والاقتباس وتذليل الإسلام لتبرير واقع المجتمعات الغربية الفاسدة ، كل هذا لن يحقق شيئاً ، وهي محاولات مكشوفة ، والقائمون عليها هم أسماء معروفة في مجال الشيوعية أو العلمانية أو كراهية الإسلام منذ وقت بعيد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

الفصل الثاني

الإسلام : عقيدة ومنهج حياة

(محمد خليف الله - فؤاد زكريا - حسن حنفي)

عرضت مجلة روز اليوسف لآراء الأساتذة : محمد خليف الله - فؤاد زكريا - حسن حنفي في الفكر الإسلامي . . وقد كانت آراؤهم موضع مناقشة على نطاق موسع . . وفي محاولة لتقييم هذه الآراء نقول :

إن الذين تحدثوا عن الفكر الإسلامي في مجلة روز اليوسف لم يكونوا على مستوى المسؤولية والأمانة . . وكان أخطر مقاتلهم أنهم مع الأسف يفهمون الإسلام فهماً لاهوتياً غريباً . . على أساس أنه عبادات وترانيم . . وهم في هذا متأثرون أشد التأثر بالثقافة الأساسية التي نشأ خلالها فكركهم وتكوينهم الثقافي . . وهي مفاهيم غربية قائمة على نظرة العلمانيين إلى الدين (الغربي) ولا يغيب عن ذهنهم ذلك الصراع الذي قام في الغرب بين الكنيسة ورجال العلم . . وهم يتحدثون عن الإسلام على أنه دين روحي . . عبادي . . وينسون أنهم لم يلمحوا بفهم الإسلام على النحو الذي ألم به المستشرقون والمبشرون الذين حاربونه . . أو أنهم يعلمون أن الإسلام ليس ديناً بمفهوم اللاهوت . . وإنما هو نظام مجتمع ، ومنهج حياة . . ولكنهم يغالطون في هذا ويخفون هذه الحقيقة ويحاولون أن يحاكموا الإسلام بنفس منطق العلمانيين في الغرب مع المسيحية الغربية ، ولإثارة جميع القضايا التي وقع الخلاف فيها بين رجال الدين ورجال الفلسفة هنالك .

والواقع أن الإسلام بمفهومه الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق . . لا يدع مجالاً - من قريب أو بعيد - لإثارة هذه الشبهات أو التحديات . . بل إن منطق مناقشة السادة يحمل في أعماقه روح كراهية عميقة للإسلام ، وعنف ولدد في الخصومة مع الذين يحملون أسماعه . . وكان أولى بهم أن يؤمنوا بمنهج البحث العلمي النزيه المتجرد عن الأهواء والأحقاد .

نحن نعرف أن هؤلاء حين يتحدثون عن الإسلام يضمرون في أعماقهم
أحد مفهومين :

أولهما : التفسير الماسى للتاريخ أو التفسير الغربى للدين . . . ومنهم من
يهدف إلى الدخول إلى ساحة الفكر الإسلامى بعبارات مرنة . . . ليتمكن من
خلال خداع القارئ بها إلى الوصول إلى غايته . . . بإنكار عالمية الشريعة
الإسلامية ، وقدرتها على البقاء والاستمرار على مدى الأزمنة والعصور ،
ومن خلال مختلف المجتمعات ، وأنها بذلك تختلف اختلافاً واضحاً عن الفكر
البشرى المتمثل في أيديولوجيات العصر : قومية ، وديمقراطية . . . وماركسية ،
واشراكية ، وليبرالية . . . وأن الإسلام الذى هو رسالة السماء للإنسانية
يختلف اختلافاً عميقاً عن هذه الدعوات التى ظهرت نتيجة لتحديات مجتمعاتها . .
ولم تستطع الاستمرار إلا بعد تعديل وتحوير ، وإضافة وحذف . . . وهو
ما يطلق عليه التطور والتطوير . . . أما الإسلام فإنه يختلف تماماً من حيث
أحكام منهجه وسعة أطره ، وقدرته الفائقة على استيعاب مختلف المتغيرات . .
ثم له بعد ذلك استعلاءه عن الخضوع لفساد المجتمعات ، أو تبرير أوضاعها
المضطربة . . . ذلك أن على الأمم والشعوب أن تلتزم نفسها مع شريعة الله . .
وليس العكس . . . ولا ريب أن دعاة الماركسية ودعاة العلمانية جميعاً يكرهون
الإسلام . . . لأن الإسلام سوف يجتاحهم ويحطم وجودهم . . . ولذلك فهم
لا يستطيعون أن يكونوا منصفين معه ، أو قادرين على العودة إلى الحق . .
وهو متبين لهم الآن تماماً .

ولعل هؤلاء القوم يجهلون أبعاد هذا المجتمع الإسلامى وأصالته ، وعمق
ما بناه الإسلام في أهله منذ خمسة عشر عاماً ، ويظنون أن تلك المحاولات التى
قام بها النفوذ الأجنبي خلال المائة عام الأخيرة قادرة على هدم مقوماته . .
ولذلك فهم يدهشون . . . لأنه عاد إلى أصالته ، وإلى روح الإسلام الصحيحة ،
ويحاولون أن يشككوا في هذه الحقيقة أو تدميرها . . . وتتمثل أخطاء هؤلاء
الكتاب فيما يلى :

أولاً : فساد الادعاء بأن الإسلام منهج قديم . . . لا يصلح لمجتمعات
العصر . . . وما مجتمعات العصر إلا مجتمعات الاستهلاك والفساد التى تجرأ

مخططات بروتوكولات صهيون . . لتقضى على كل قواها ، ونستنزف كل قدراتها لتكون لقمة سائغة لمخطط الاستيلاء على العالم .

ومن الذى يستطيع أن يقول : إن الحضارة الغربية الآن تسير فى الطريق الصحيح . . وقد دمرت الوفرة . . الأسرة والمجتمعات . . وفى أعلى البلاد مستوى للعيش تجد ظاهرة الانتحار والمخدرات ، والقتل . . والاغتصاب .

ثانياً : كذب الادعاء بأن الفكر الإسلامى اليوم متخلف عنه فى أواخر القرن التاسع عشر (جمال الدين ومحمد عبده) والذين يقولون بها يحاولون أن ينكروا تلك المحاولات التغريبية التى حاصرت الفكر الإسلامى فى مجال الاعتزال والكلام والمنطق . . حين خدع الغرب المسلمين فأعطاهم (أرسطو) وحجب عنهم (المنهج العلمى التجريبى) ولا ريب أن الدراسات الإسلامية اليوم قد كشفت الغطاء عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وجلب كنوزها ، ورفعت الأتربة عن ذلك التراث المعطاء . . وكان أعظم ما وصلت إليه هم أنها ربطت نفسها بالمنابع الأساسية بالقرآن والسنة الصحيحة . . أما تلك الكتابات التى عرفت عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده . . فإنها لم ترد عن أنها كانت محاولات للدفاع عن الإسلام فى وجه الموجة الميادية الصارخة التى كانت تنكر المعجزات والوحى ، وتحاول أن تفرغ الإسلام من جوهره بالدعوة إلى البطولة أو العبقرية . . بدلا من النبوة أو غير ذلك من محاولات كتاب تلك الفترة .

والذين يقولون أن تلك الفترة تعتبر تقدماً هم يلهثون وراء أهوائهم . . فقد أزعجهم أن يتعرف المسلمون على مفهوم دينهم الصحيح . . وأن يكشفوا زيف المستشرقين والمبشرين . . وأن يجلوا عناصر دينهم ويقدموه غصاً طرياً إلى العالمين .

ثالثاً : خطأ القول بأن الدين مجموعة من الشعائر تحفز الإنسان إلى إصلاح أوضاعه . . فإن هذا هو المفهوم الكنسى الزائف للإسلام ، فالإسلام نظام اجتماعى كامل ، والشريعة الإسلامية كما نعرف هى مصدر القوانين ولذلك فهى لا تقف عند حدود المسجد أو العبادة وإنما تتخطى ذلك لتكون منهجاً كاملاً . . اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وتربوياً .

رابعاً : ليس صحيحاً أن دعاة الفكرة الإسلامية كما يدعى البعض أنه . فهم ضيق الأفق أو النظرة الأحادية ، أو العجز عن الحوار . . فهم يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً بكل سماحته ويسره وانفتاحه على كل المذاهب والدعوات . . ولكن هذا الحوار الذى يطلبه البعض هو دعوى كاذبة . . فكيف يمكن أن تجرى المقارنة أو الحوار بين منهج السماء الحق وبين منهج بشرى - كالاشتراكية مثلاً !!

خامساً : ليس فى الإسلام ما يسمى (رجل الدين) . . وليس هناك ما يسمى (حكومة دينية) ولكن هناك منهج إسلامى . . له صفة الثبات فى إطاره مع تقبل حركة التغيير فى داخله . . ولا يفهم هذا الماديون . . لأنهم يؤمنون بالفكر الانشطارى المستقل . . إما أن يكون روحانياً خالصاً ، أو مادياً خالصاً . . ومن هنا فهم يعجزون عن فهم الإسلام كمنهج جامع بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة . . وأن المنهج الربانى شىء منفصل عن التجربة الإنسانية التى هى التاريخ .

سادساً : نعم يقر الإسلام التحرر إلى أقصى الحدود . . وقد كان تاريخ الإسلام قائماً على ذلك . . أما إذا وصل الفكر إلى حد انتقاض مفهوم التوحيد ، أو التبشير بالإلحاد ، أو إذاعة المذاهب الهدامة تحت اسم حرية الرأى فى الإسلام . . فإن ذلك مرفوض .

فعلى من يريد أن يأخذ بأى منهج من مناهج الحياة . . فليفعل . . ولكن ليس من حقه أن يدعو الناس إلى باطله أو أن روج له .

سابعاً : إن المفكرين الذين لهم خلفيات معروفة فى الإلحاد ، أو التبعية للمذهب من المذاهب ، أو نخلة من النحل ، يجب أن يعرف بهم حتى يتمحصن الناس من شرهم . . وهذا ما يسمى فى الفكر الإسلامى : (مذهب الجرح والتعديل) ، وكثير من الكتاب الذين تلمع أسمائهم يتخدع بهم الشباب المثقف ، ويظنون أن الكتب المطبوعة طباعة أنيقة ، أو الشهرة المدوية مقياساً للأصالة .

ثامناً : أن تجارة التغريبيين والماركسيين بكتابات رفاة الطهطاوى ، والكواكبي ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى . . هى تجارة زائفة . . فإن هؤلاء جميعاً كانوا يصعدرون عن تحديات جزئية فى عصرهم ، ولم يكونوا

على علم بموامرات الاستشراق في استغلال كتاباتهم لخدمة أهداف تغريبية . .
ولقد كانت مدرسة الكلام والاعتزال والفلسفة التي عرفها جمال الدين
الأفغانى ومحمد عبده ، وإقبال ، والعتقاد . . مدرسة مرحلية خدمت
في ظروفها . . ولكن جاءت بعد ذلك المدرسة القرآنية الأصيلة . . كما حدث
تماماً في القرن الثالث الهجرى . . فالاتكاء على آراء جمال الدين ومحمد عبده ،
وتكريره لا يقنع أحداً الآن ، ولا يفيد شيئاً بعد أن وضحت أمام الشباب
المسلم الكتابات القرآنية التي قدمها حسن البنا ومحمد المبارك وعلال الفاسي
والمودودى والندوى وغيرهم ، وقد تكشفت أخطاء كثيرة لجمال الدين
ومحمد عبده توحى بأنهما ليسا على شيء من القداسة ، وأنهما بشر يخطئ
ويصيب . . فضلاً عن فارق الزمن .

ثامساً : نظرية (العقلانية) التي يروج لها بعض المدعين انتسابهم إلى الإسلام
نظرية باطلة على النحو الذي يعرضونها به . . فالإسلام ليس عقلانية
اعتزالية ، ولا فلسفة كلامية ، ولا صوفية خلدسية . . وكل من يستقل بوجهة
من هذه الوجهات لا يمثل الإسلام في مفهومه الأصيل الجامع .

والإسلام يجعل العقل مناط التكليف . . وهو مع ذلك مصباح
بضئيه الوحي فلا يستطيع أن يهتدى بنفسه . . والعقل على إطلاقه يعيش في
محيطه . . فإن كان محيطه وثيقاً كان عقلاً وثيقاً ، وإن كان محيطه مادياً كان
عقلاً مادياً ، وإن كان محيطه روحياً كان كذلك . . فهو لا يصلح إلا إذا
نشأ وتشكل في إطار المفهوم الإسلامى الصحيح . . عندئذ يصبح عقلاً إسلامياً .
وفكرة العقلانية فكرة ضالة مضلة على النحو الذى يعرضها به زكى
نجيب محمود ومدرسة الشعوبيين التي تحرف الكلم عن مواضعه .

عاشراً : كلمة (الإصلاح الدينى) عبارة غربية ضالة لا تطابق مفهوم
الإسلام . . فالإصلاح الدينى في الغرب قام على أساس تحرير الفكر الكنسى
من قيود الكاثوليكية . . فكانت البروتستانتية ، وكالفن ، ولوثر ، وغيرهم . .
أما في الإسلام فلا توجد كلمة إصلاح ، كما لا توجد كلمة تطور التي كلف
بها توفيق الحكيم . . فإن بقطة الإسلام تتحقق بالعودة إلى القاس المناهج
الأصيلة (القرآن والسنة) ومفاهيم الإسلام قبل ظهور الخلاف . . أما هذه

العبارات غير المسئولة : . فإنها تدل على أن أصحابها يعيشون في جو غربي . .
وأن ثقافتهم الغربية غير الإسلامية تسيطر عليهم . . فهم ينظرون إلى الإسلام
من خلالها .

وفي الختام .. فإن هؤلاء الذين يدعون التباكي على الإسلام وهم يشككون
في الشريعة الإسلامية ، ويقولون أنها مرحلية أو غلبها القلم ، أو يدعون
إلى حجب حدودها : . مرفوضون تماماً ، ولا يستمع لهم أحد ، ولا يثق بهم ،

* * *

الفصل الثالث

مفهوم الإسلام للفن وقضاياه

أشار (الأستاذ كمال الدين رضوان) إلى ظاهرة خطيرة في دراسة أجراها أخيراً للقصة المصرية المعاصرة التي يكتبها : الفريد فرج ، ويوسف الشاروني ، وميخائيل رومان ، وادوار الخراط ، ومجيد طوبيا . . . وهي قيام قصصهم على نقطة واحدة : (هي) الخيانة الزوجية (بمعنى أن البيت المصرى والعربى والمسلم مصاب بهذه الظاهرة الخطيرة . . . وقد تابع هؤلاء الكتاب في ذلك أساتذتهم من كتاب القصص الكبار : توفيق الحكيم ، ويوسف إدريس ، ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس . . . والحقيقة أن هذه ليست ظاهرة حقيقية في المجتمع المصرى العربى المسلم . . . ولكنها منقولة من القصة الأجنبية التي تعتبر هذا الأمر من الظواهر العادية في المجتمع الغربى . . . ولكنه ليس كذلك في الحقيقة بالنسبة لمجتمعنا الإسلامى الذى ما زالت فيه أخلاقياته وعفته ومحافظته على العرض والكرامة والشرف .

وقد حفلت هذه القصص بالتفسير المادى أيضاً الذى لا ينطبق كثير أعلى أمور مجتمعاتنا . . . فطغت في قصص يوسف إدريس . . . ونجيب محفوظ ظاهرة وقوع المرأة في الخطيئة نتيجة عسر الحال والفقر . . . وما كان مجتمعنا في يوم من الأيام يقبل هذه الظاهرة . . . ولكنها محاولات ماكرة وخبيثة تريد أن تصمم هذا المجتمع بأمور كثيرة ليست فيه . . . ويرجع هذا أساساً لخضوع أغلب كتاب القصة لمخططات التغريب والتبشير ، والاستشراق والغزو الثقافى . . . ولا ريب أن محاولة وصم المجتمع المصرى العربى المسلم بالفساد والانحلال . . . إنما تصدر أساساً من غايات خاصة تحرص على تحويل الحالات الفردية النادرة إلى ظواهر اجتماعية لغرض شخصى ، أو لهدف اجتماعى يراد به أن يقال : إن الأسرة العربية الإسلامية قد فسدت وتمزقت وأصابها غوائل الإباحية

والإفلال والفساد . . وأنها بذلك أصبحت عاجزة عن تحقيق رسالة الأمومة والأنوثة ، وبناء المجتمع الصحيح . . ولا ريب أن كل الظواهر التي نشاهدها الآن في مجتمعنا من تعالي الوعي بحقائق الإسلام في محيط المرأة المسلمة على وجه الخصوص تلخص هذه الشبهة ، وترد هذه الفردية ، وتكشف عن زيف هذه المحاولة .

ويبقى بعد ذلك أن نواجه فن كتابة القصة نفسها ، لتعرف إلى تلك المخادير التي تنتج عنها الأخطار التي تواجه القارئ المسلم من حيث أمانة الأداء الفني وأخلاقياته ، وأمانة الكاتب المسلم في مجتمعه . . وأول ما يقال في هذا الصدد أن الزمن قد تجاوز تلك المحاولة اللثيمة المساكرة التي كانت تستهدف تدمير الأسرة المسلمة ، وهزيمة المجتمع الإسلامي ، بعد أن تكشفت المخططات التلمودية التي ترمي إلى هذه الغاية ، والتي فرضت ذلك (اللون) الوافد الذي لا يلتقي مع الفطرة العربية والمسلمة ، وأن القصة قد سقطت سقوطاً لا ريب فيه من حيث أنها أداة حقيقية لبث المشاعر والعاطفة ، ومن حيث أنها تقوم على الإثارة والمبالغة ، أو على افتعال الأحداث والجريمة ، والاعتصاب والغواية والإغراء . . وفي هذا يقول هاملتون جب :

(إنه لا ينتظر أن يكون للقصة مستقبل في الطور الأدبي الحديث ما دامت الحياة الإسلامية محافظة على تقاليد الموروثة) .

ويقول محمد عبد الله عنان :

(نستطيع أن نقطع بأن المجتمع الإسلامي لا يمكن منى بقي تطوره وتقدمه محصورين في المبادئ الإسلامية الخالدة أو التقاليد التي كانت أثراً لهذه المبادئ أن يظهر كتاب القصة العربية يوماً بمادة واسعة ، أو غزيرة كالتى يقدمها المجتمع الغربي إلى كتاب الغرب ، أو أن يغدو الأثر الذي يفسحه ذات يوم وحيّاً للجمال والفن . .

وخبر ما عبر عنه كاتب عن علاقة القصة بالمجتمع هو ما قاله (واسرمان) حين قال :

(ما دام العنصر الشهواني خفياً فلا وسيلة لتأليف القصة) .

فالقصة التي يبحث عنها التغريب ليس هي قصة الواقع . . أو القصة

الأصيلة التي لا افتعال فيها . . ولكنها القصة الصارخة ذات الأحداث والحفايا والمؤامرات التي تقع بين رجل وامرأة تحت اسم الحب أو الشهوة أو الغيرة ، وتدور فيها المحاورات حول تبرير الاغتصاب أو خداع النفس الساذجة حتى تقع في الفخ ، وحيث يقع التنافس بين رجلين على امرأة ، أو بين زوج وعاشق ، أو إغراء امرأة لرجل متزوج ، أو تجمع عدد من المحبين حول امرأة غانية وصراهم معها .

والقصة على هذا النحو عمل مفتعل ، ليست هي الحقيقة ولا الواقع ، ولا هي بهما أشبه . . وإنما هي (أداة من أدوات الغزو النفسى والاجتماعى للمجتمعات والشباب والفتيات الغريزات) . . وهي حين تقوم على ذلك البناء (الفنى) إنما تلمس قواعد التحليل النفسى التي أذاعها (فرويد) وفرضها على عالم الأدب بعامة ، وعلى القصة بخاصة . . وفرويد يرى أن سلوك الإنسان كله في مختلف حياته وأوضاعها (جنس) حتى في مجال الدين نفسه .

وإذا كان المجتمع الإسلامى يحول دون ظهور هذه القصة فيجب إغراق المجتمع بالقصص الأجنبية المكشوف والإباحى بالترجمة حتى يقرأه الشباب في فراغه ، والفتيات في خدورهن . .

هذه القصة هي المنطلق للرواية والمسرحية والمسلسلة التي استشرت اليوم في مجال الإذاعة المسموعة ، والإذاعة المرئية ، ودور السينما والمسرح العديدة . .

فهى أداة خطيرة ترمى إلى تقويض دعائم الحياة الاجتماعية بما تطرحه من محاورات نازلة ، ومؤامرات موهومة ، ومن تبسيط لأمر الغرض والكرامة والخلق ، وإشاعة لها على أنها مشروعة ، مع سخرة بالقيم والحدود والضوابط التي أقامها الإسلام من أجل حماية الأسر والمجتمعات .

وقد كشفت الدراسات عن أن فن القصة على هذا النحو الذى فرضه التغريب على الأدب العربى وعلى المجتمعات هو فن دخيل لا يتفق مع الذوق ولا المزاج ولا القيم العربية الإسلامية ، وأن النفس العربية والإسلامية قد عبرت عن نفسها بأساليب أخرى ليست القصة واحدة منها ، وأن القصة على هذا النحو أدب وافد ، وقد أحصى المؤرخون أنه قد ترجم من الآداب الأجنبية خلال نصف قرن أكثر من عشرة آلاف قصة أجنبية أضيفت إلى الأدب

العربي . . وأن هذه الترجمات كلها كانت فاسدة في اللغة ، اباحية في الموضوع مكشوفة في الحوار وقد ساهم في ترجمة هذا الأدب الجنسي (أدب الفراش) أعلام كثيرون في مقدمتهم (طه حسين) الذي وصفه إبراهيم عبد القادر المازني بأنه كان همه مدح الحيانة . . والاعتذار للخونة ، وتصوير الخلاعة والمجون في صورة جذابة . . وقد وجه الاستشراق الأدباء العرب إلى ترجمة هذه القصص على طريقة تمصيرها وتعريبها فلم يكن هم كتاب القصة إلا تغيير أسماء الأبطال والأماكن ، وبقيت مضامين القصة كما هي . . وإذا أمسكنا بأسماء كبار كتاب القصة اللامعين الآن وجدنا أن كل واحد منهم قد اختص بترجمة أديب غربي أمثال : كفكا ، وموباسان ، وتشيكوف ، وألدوس هكسلي ، ولورنس ، وتوماس مان .

وقد أعلن الأدب العربي عن موقفه صريحاً وواضحاً إزاء تيار القصة (الغربية المصدر) وكشف عن رأيه وأعلن أن الفن القصصي ليس عربياً ولا إسلامياً ، وأنه فن وثني وأنه يجري مع تطور الوثنية مرحلة بعد مرحلة ، وهو يتطور بتطور أشكالها ونظمها ، وتجدد أربابها ومعابدها ، وأن القصة في العالم الوثني هي الملهاة التي يقدمها أهل اليسار إلى المحرومين والفقراء .

ومن هنا فإن الخلاف بين الأدب العربي وبين القصة الغربية وليدة الوثنية اليونانية بعيد المدى . . وكذلك بالنسبة للأسطورة الشرقية ومنها (ألف ليلة) وهذا الخلاف بين الأدب العربي والآداب الوثنية (شرقية وغربية) هو خلاف في الجوهر والتصميم ، كما هو في الشكل والخصائص ، وفي الدوافع والغايات . . من حيث أن دوافعه مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الدوافع التي يتولد منها الأدب الأوربي . . وأبرز هذه المعالم هي الإيمان والتوحيد ، وسلامة الفطرة وصدق التوكل على الله الخالق الرازق . . وكلها تعطي الأدب طابعاً ملؤه الإشراق والتفاؤل والإقبال على الحياة والرضى بقضاء الله عز وجل

إن المسلمين يتطلعون في مطالع القرن الخامس عشر إلى الأصالة وترشيد الفكر الإسلامي لالتماس مقوماته الحقة . . ولذلك فهم يتطلعون إلى ظهور كاتب عملاق للقصة الإسلامية يوجه الحياة الفكرية الإسلامية وجهة جديدة ، بعد أن ظهر في خلال القرن الرابع عشر بوادر وإرهاصات كثيرة تمثل

في كتابات على أحمد باكثير ، والدكتور نجيب الكيلاني (الذي أعطى
 كثيراً) وعماد الدين خليل وآخرين من الذين أرسوا مفاهيم الأصالة للقصة
 الإسلامية وفق مفهومها القرآني الصادق ، والمتمثل في التحرر من التبعية
 لمفاهيم الإثارة والفحش والانحلال التي عرفتها مدرسة القصة العربية في العصر
 الحديث بأعمدها (توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس) . .
 والتي أفسدت مفاهيم الأصالة ، وفتحت الطريق لهؤلاء المضللين الذين حاولوا
 إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي ، ورميه بأكبر اتهام . . حين وصفوه بأنه
 خاضع وذليل ومستعبد للخيانة الزوجية . . هذه المدرسة التي خضعت لمخادير
 الغزو الفكري . والتغريب . . فعملت على إفساد العقول ، وتسميم القلوب ،
 وحرفت عقليات وأفكار أجيال متوالية من الشباب المسلم ، والفتاة المسلمة
 الذين لم تكن لهم حضانة كافية من عقيدتهم لكشف هذا الزيف ، وإطراح
 هذا الخطر الذي سرى في الأمة مسرى السم في العروق . . تحت اسم الفن . .
 وكان علينا أن نعرف مفهوم الإسلام للفن أولاً . . هذا المفهوم الذي يقوم
 على استمالة التناقض مع الفطرة . . فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب
 ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الإسلام في شيء . . فإذا خالفت
 الفنون الدين في أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل
 التي جاء الدين لمحاربتها . . وعاقبت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التي جاء
 الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح
 . . إذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصورة
 التي تخالف بها للدين فنون باطلة ، فنون بجانب الحق . . وأخطأت الفطرة
 التي فطر الله تبارك وتعالى الناس عليها على حد تعبير الدكتور محمد أحمد
 الغمراوي . . ومفهوم الفن في الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر
 الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع ، والأخلاق والدين والحضارة . . وهو
 في الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المبين لمفهوم الفن في الثقافات ،
 والحضارات الأخرى . . قوامه الأخلاق ، وطابعه التوحيد . . يتسامى
 بالغرائز . ويرتفع بالنفس الإنسانية إلى الكمال دون أن يبعد عن الواقع . .
 والفن في نظر الإسلام أداة تجميل الحياة ، ووسيلة الإسهاد الروحي والنفسى

بتمحير الإنسان من عالم الأهواء والغرائز ، وإطلاقه في نظرة حرة إلى الوجود والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ، ويزداد بها إيماناً .

ومن أبرز مفاهيم الإسلام للفن أن الإسلام لا يقر الصراع بين ما يسمى بالآلهة والإنسان ، أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذي يقوم عليه الفن الغربي ، ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر أو ما يسمى بالآلهة ، ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر . . وكل هذه المعاني الأساسية مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية التي عرفها الفكر الغربي ولم يعرفها الإسلام .

إن الصراع الأساسي الذي تعرفه القصة الغربية والمسرح الغربي لا يجد بيئة طبيعية في إيمان المسلم ومعتقداته . . ذلك أن البطل الأساسي هو دائماً في صراع مع ما يسمون بالآلهة . . أما الإنسان المسلم فهو في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي إيمانه بالقدر لا يحول دون السعي وإن كان يحول دون المصارعة والصراع . . ومن هنا فإن العقل الإسلامي لا يتصور الصراع بين الإنسان والله (جل جلاله) على نحو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هي الهزيمة الأساسية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجبروته وعلو شأنه (كما يردد دعاة الفكر الإغريقي والوثني أمثال لويس عوض وغيره) .

والمسلم لا يفهم ما يسمى صراع الإنسان مع الآلهة . . لأن للمسلم إلهاً واحداً . . قادراً . . مالِكاً . . متصرفاً . . لذلك فإن هذا المسلم يسلم نفسه ووجوده كله إليه . . فهذا الأمر الذي هو دعامة المسرحية وعقدة القصة أمر لا يفهم في جو الإسلام ، ولا يقبل مع التوحيد الخالص الذي هو قمة العقائد في الإسلام . . ولذلك فإن المسلمين لم يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام مع صراع مع القدر ، ولم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى في فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام . . بل إن الوثنية العربية لم تكن مؤهلة لهذه المفاهيم . . إذ لم تكن وثنية أصيلة . . بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد . . هو الحنيفية دين إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لذلك لم تكن لها جذور عميقة أو تقاليد قديمة كما كان لدى الوثنيات الأخرى ؛

وتقوم فلسفة المأساة الغربية في القصة المسرحية على الخطيئة والتقصص والعقربان . . . وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية هي خطيئة آدم . . . وهناك مفهوم الصراع بين ما يسمى الآلهة والقدر ، وبين الإنسان والخطيئة ، وبين البطل في صورة المتحدى لإرادة الله تعالى والمتحدى للقدر . . . هذا اللون من الاعتقاد الذي تستنبطه القصة العربية التي بين أيدينا الآن ، والمترجمة أصلاً عن القصة الغربية غريب على الذوق العربي وعلى مزاج النفس الإسلامية . . . فهو خلاصة لمفاهيم دينية وثنية وغربية ومسيحية تقوم على فلسفة أساسية قوامها الخطيئة التي لا يعترف بها الإسلام ولا يقرها ، والتي ليس لها أي صدى في الأدب العربي . . . فضلاً عن أن صراع القدر وصراع ما يسمى الآلهة كلاهما غريب على النفس المسلمة . . . بل إن نهاية القصة ونخامة التراجيديا في مفهوم الأدب اليوناني والغربي يجب أن تكون شريرة . . . ومصدر هذا كله هو أن الإنسان - عندهم - ثمرة الخطيئة ، وأن حياته تكفير عن هذه الخطيئة ، وأنه لا قيمة لها . . . بينما يرى الأدب العربي وفكره وآدابه بأن الإنسان كائن حي ، وحياته لها قيمتها الخاصة ، وأنه ليس مسئولاً عن خطيئة غيره . . . وأن الخطيئة التي تتردد في هذه الآداب هي خطيئة آدم . . . وهذه في مفهوم الإسلام خاصة به وحده ، ولا تنسحب على أبنائه وقد غفرها الله تبارك وتعالى له ولم يجعل ذنبها لأحد من بعده .

وفي مفهوم الأدب العربي المستمد من الإسلام أن الخير لا بد أن ينتصر في النهاية ، وأن الشر لا بد أن ينهزم وينسحق . . . ولذلك كانت القصة وكانت المسرحية بهذه المضامين المحجوبة في داخل نفوس كتابها غريبة عن الإسلام ، ومعارضة له .

هذه هي الخيوط الأولى لفهم شباب الإسلام للقصة والفن والمسرح . . . وقد فصلناها في رسائل (معلمة الإسلام) ونحن إزاء هذه المؤامرة الخطيرة ننادي كتاب القصة المسلمين فنقول : عودوا إلى طريق الله ، واجملوا أواء (فن إسلامي أصيل) هذا وبالله التوفيق .

* * *

الفصل الرابع

المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية

عبد الحميد الكاتب : أخبار اليوم

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافياً على الخلافة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، والوحدة الإسلامية ، والتضامن الإسلامى الذى تشرق فى هذه الأيام شمس ، وتبدو علاماته ، وتعلو راياته . . بعد أن تعددت كتابات الكتاب عن الصهوة الإسلامية . . ولماذا يوصف عمل مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة الإسلامية بأنه (ضربة موفقة) أو قول أحد المؤرخين الشعوبيين : (وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد) !!

وقد نسى هؤلاء وأولئك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون . . ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعه الله جل جلاله . . ثم يكون ملكاً مجبرية فيكون ما شاء الله أن يكون . . ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بجرانه على الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . . لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته . . وما ينطق عن الهوى . . وهذا الحديث الشريف الصحيح يؤكد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على نحو أوثق صلة بحكم الله ، ونظامه الذى جاء به القرآن الكريم . . ولقد كان سقوط الخلافة الإسلامية (حدثاً) خطيراً لم يكتب عنه بعد . . وكان له أثره فى نفوس العاملين فى حقل اليقظة

الإسلامية . . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام . . بوصفه منهج حياة ، ونظام مجتمع . . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى جاء أوانها . . وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشار الخبير في هذا الطريق . . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبح اليوم عملاً ضرورياً بعد أن فسدت الدعوات الإقليمية والقومية . . وفي مقدمتها الجامعة العربية . . ولا بد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيقي لمواجهة تأمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم . . وهو إحياء جامعتهم ، وإقامة خلافتهم . واست أدري . . لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمنياً . . وكانت أشبه بالمسلمات . . روجها اليهود والمارون . . ثم تبين زيفها ، وتكشفت الحقائق التي تدحضها ؟

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟ ! ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟ ! والحقيقة أن الرجلين . . ومن بينهما من رجال (الاتحاد والترقي) هم عملاء للنفوذ الأجنبي والصهيونية . . لقد تكشفت هذه الحقائق في العالم الإسلامي كله . . ولم يعد في إمكان كاتب ما أن يضل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ووصفها ، وخداع الناس في أمر رجل كان والده حاكماً يهودياً مثل (مدحت) أو رجل هو من الدونمة أصلاً . . مثل (أتاتورك) . . إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلاً بتزييف (صفحة الدولة العثمانية) والسلطان عبد الحميد . . من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية ، وهدم الخلافة الإسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستقرار في القدس ! ! لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاسدة أريد بها القضاء على النظام الإسلامي ، وهدم الشريعة الإسلامية ، وإقرار نظام العلمانية والمادية والاثنية في المجتمع والتربية والسياسة في البلاد الإسلامية ، ومحاولة لجعله مثلاً أعلى للتقدم والتجديد . . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو

التغريبى الذى جاءت إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة ، وعلى سقوط هذا المنهج ، ومؤكدة بأن المجتمع الإسلامى الأصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويتأكد له بعد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتراكية الماركسية وفشلهما أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الأصيل ، وأن الذين حرصوه طوال هذه السنين بالتمسك بالمنهج الغربى (شرقية وغربية) سبيلاً للنهضة فى العالم الإسلامى لم يكونوا صادقين فى دعواهم . . فإن هذا الأسلوب فى الاحتواء والعمل على صهر المسلمين فى بوتقة الأمية الغربية كان من نتائج سقوط الخلافة الإسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس فى أيدي الصهيونية ، والحيلولة دون امتلاك المسلمين لإرادتهم ، وتطبيق شريعتهم الإسلامية ، والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو امتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والرحمة والإخاء الإنسانى . إن الصورة التى رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . . فلم يكن مدحت بطلا قومياً . . ولكنه كان واحداً من قوى المؤامرة التى أعدت بأحكام للقضاء على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية . . وقد كان أمره مكشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدونمة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطه إزالة الدولة العثمانية ، والخلافة الإسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية . . وما كان مدحت شهيداً فى الحقيقة لأن الشهادة لا تكون للثورة وما قتلوه فى الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيائنه لوطنه وللإسلام ، والعمل على تمكين اليهود من النفوذ . . وهو من الدونمة الذين دخلوا فى الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . . وكان يعمل بتوجيه من المتأمرين المقيمين فى باريس ، والمتأمرين المقيمين فى سالونيك . . ولم يكن الدستور الذى دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامى والشريعة الإسلامية ، وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة . . وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تساحت إلى

أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، وممكنهم من أداء عباداتهم ، وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس ، وإقامة الجماعات إلى الحد الذي كان عاملاً من عوامل تمكنهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . . . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة في الحقيقة . . . لأنه وقف أمام مطامعهم وأهوائهم ، ورد هرتزل عن محاولاته ومؤمراته بالرد الحاسم وسمع من مثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته . . . وقد كشف السلطان - عبد الحميد في مذكراته دور الدونمة ورجال الاتحاد والترقي . وإذا كانت هناك محاولة للانتقام من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالتقصير . . . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين في حديثه إلى الخزومي باشا في كتابه (مخاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم ، وضرب بعضهم ببعض . . . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصبيحة المفزعة التي عجلت به . . . وهي قوله : (يا مسلمي العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين ممن هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة ، والوحدة . . . وفزع الغربيون واليهود من ذلك فزعاً شديداً . . . فقد مضى إليه بخطى حاسمة ، وحقق نتائج هامة . . . ولقد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . . . ومن ذلك محمد عبده ، وشكيب أرسلان ، ورشيد رضا . . . وغيرهم . . . وقد كانت الدعوة الحقيقية هي محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة . . . كان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً . . . وقد كان هذا ممكناً . . . لولا ذلك الدور الذي قامت به الماسونية واليهودية العالمية في سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعوانهم الذين تربوا في محافلهم ، والذين سلموا لهم في فلسطين ، وسلموا للإيطاليين في طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحطموها ويقضوا عليها . كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن كما يدعون علاقة استعمار . . . فإن كلمة استعمار لا تطلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الإخوة

الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية . . والمصريون ،
والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً
من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية . ولا شك أنه من أكبر أخطاء الباحثين
هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية ، والدراسات التاريخية السابقة
لظهور (بروتوكولات حكماء صهيون) عن السلطان عبد الحميد ، وتركيا
العثمانية . . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانها من الموارنة . .
أما اليوم . . فإن الرؤية التاريخية المنصفّة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف
الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرؤية الصحيحة لإبعاد
الواقع التاريخي . . لقد حملت كتب جرجي زيدان وأحمد أمين وغيره صورة
مضللة زائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية للاتحاديين الذين
علقوا العرب على المشائق ، ومكنوا للصهيونية ، وحطموا الدولة العثمانية . .
وهم الذين تربوا في أحضان المحافل الماسونية . . وعلى الباحث المنصف أن
يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد
ما كتبه جرجي زيدان وفارس نمر وسليم سركتيس . والجديد يحلو الحقيقة . .
فما كتبه جواد رفعت ، ومحمد جميل بيهم ، وعبد الله التل ، والعقاد ،
وخليفة التونسي ، وعجاج نويهض ، وتوفيق برو . . فإن هذه الكتابات
قد غيرت تلك الصورة الزائفة التي ما زال يعتمد عليها خصوم الإسلام .
والقضية أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم
نهائياً عملوا على تصفيته ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذعوا
ذلك في صحف الموارنة في مصر مثل المقطم والهلal والمقتطف وغيرها .
ثم جاء أحمد أمين وأمثلة فنقلوا منهم . . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت
بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية . . فلماذا هذا التزييف
بحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء
شأن مدحت وأتاتورك . . وهنا من هنا في الخيانة والتبعية . إن أتاتورك في
الحقيقة لم يكن مجاهداً ، ولا مصلحاً . . وإنما كان تنمة الاتحاديين . .
لقد أخروا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثاني . .
فالأتاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصني مآليها ووجودها ،

وجاء ألتاتورك ليفرض عليها اللون الغربى ، وينقلها نقلة واسعة من دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الإسلام تماماً . . ومعاهدته السرية المعروفة التى عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك فى وضوح ، وقد استطاع ألتاتورك إخفاء وجهه الحقيقى حتى يؤدى دوره كاملاً . . فخدع المسلمين فى المرحلة الأولى بالصلاة وإمسك المصحف . وطلب الدعاء منهم . . أما دوره فى الجهاد فى أزمير . . فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفاً ، وأن غيره هو الذى قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا المجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه . ولقد كان ألتاتورك عميلاً غربياً كاملاً ، وعميلاً صهيونياً أصيلاً . . وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التى تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامى كله ، والتى كشفت الأحداث فى الأخير فسادها ، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعيتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى . . وذلك دليل على أنها كانت تجربة زائفة مضادة للفطرة ولطباع الأشياء . . والدليل أن المسلمين لم يتقبلوها . . بل رفضوها . . وقد كشف أكثر من مستشرق وفى مقدمتهم (هاماتون جب) أن العرب لن يقبوا فى برائن هذه التجربة التى خرجت بهم من الأصالة وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال ألتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله دعا السفير البريطانى ليتولى بدلاً منه رئاسة الدولة التركية . . وكان ذلك من علامات الخسة والندالة والخيانة !!

وقد صفع المؤرخ العالمى أرنولد توينبى التجربة الكمالية التى يفخرون بها ويمجدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها . . يقول توينبى : إن الأتراك كانوا عالة على الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أى شىء إلى هذه الحضارة . . فكانوا عاجزين عن الإبداع فى أى مجال من مجالات الإنتاج . .

والواقع أن مصطفى كمال ألتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً . . ولكنه كان حلقة فى المؤامرة التى بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقى للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . . ثم ختمها

أتاتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية ولا ريب أن انتقاص قدر الدولة العثمانية وحكامها مجاف لواقع التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب ، والشعوبية ، وهو عمل ضمن مخطط يرمي إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، ودعوة للوقيعة بين العرب والترك والفرس . . . وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن ، وقادها محمد صلى الله عليه وسلم وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك من خلافات فرعية . . . فإنهم جميعاً أمة واحدة . . . ولو كان هناك قليل من الإنصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا العصريين لراجع الكتاب ما كتبه استيورت وهو غربي في كتابه (حاضِر العالم الإسلامي قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ، ودورها الذي قامت به في وجه الصليبية الغربية . أما صيحة العناصر والأجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية . . . فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت . . . وإنما هي عقدة المؤامرة التي عمد النفوذ الأجنبي بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية . . . أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها . . . ولا كلمة العروبة نفسها . . . ولكنهم كانوا مسلمين فحسب . . . وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصنة لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يحشاها ، وإقامة قومية زائفة هي القومية الصهيونية .

والمعروف أن الأسلوب الذي اتخذ في إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامي في تاريخه كله . . . وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلمودية التي استطاعت أن تحمي وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة باسم السلطان ثم تكون في نفس الوقت متأمرة عليه لخدمة هدف غامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل . . . وهو إعادة اليهود إلى فلسطين . . . كذلك فإن ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربي ، وتوقيع ملحق معاهدة لوزان . . . وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء ، وبه حلت جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر ،

والاستقلال . . . وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب في تمجيد البطل الذي لم يكن إلا عميلاً من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ، والنموذ الغربي ، والشيوعية أيضاً . . . فإن الشيوعيين هم أول من عاونوه لقاء موقفه من عداء الإسلام . ولا شك أن الضربة التي وجهها أتاتورك إلى الخلافة الإسلامية قد فتحت صفحة خطيرة في تاريخ الإسلام الحديث ، وأن الذين فرحوا بذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر في فهم الأمور ، وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحق والكراهية للإسلام ، وأن الخلافة الإسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هى العنوان الحقيقي للجامعة الإسلامية وللتضامن الإسلامى ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية . . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعندها ستنكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية التى عقدها أتاتورك والتي سميت شروط كرزى الأربعة :

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقودة بين الحلفاء والدولة التركية

عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزى الأربعة على ما يلى :

أولاً : قطع كل صلة بالإسلام .

ثانياً : إلغاء الخلافة الإسلامية .

ثالثاً : إخراج أنصار الإسلام من البلاد .

رابعاً : اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس

على الإسلام .

* * *

الفصل الخامس

كتاب الإسلام وأصول الحكم

ليس من تأليف على عبد الرازق بل من تأليف مرجليوث

كان السؤال عن دعوى على عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) التي لا تزال قوى التغريب والغزو الثقافي والماركسيون والشعوبيون تجدد نشرها . . لخداع جماهير المسلمين عن حقيقة دينهم ، وإذاعة مفهوم الدين العبادي القائم على الروحيات والمساجد وإنكار حقيقة الإسلام . . بوصفه ديناً ومنهج حياة ، ونظام مجتمع . ويقوم الادعاء الحبيث الذي يثيره الاستشراق والشعوبية على أن في الإسلام مذهبين . . أحدهما يقول : بأن الإسلام دين ودولة . . والآخر يقول : بأن الإسلام دين رוחي . . ويضعون على عبد الرازق على رأس الفريق الذي يقول هذا القول . والواقع أن الإسلام ليس فيه غير رأى واحد . . هو الرأى الأول . . وأن ما ذهب إليه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ م لم يكن من الإسلام في شيء . . ولم يكن على عبد الرازق نفسه إماماً مجتهداً . . وإنما كان قاضياً شرعياً تلففته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم (التجديد) ودعى على عبد الرازق إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التي ترّوج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته . . وأهدى هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع اقتباسها من كتب الأدب . أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقزام الاستشراق ، وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية . . هو (مرجليوث) الذي تقضى الصدف أن يكون صاحب الأصل الذي نقل عنه طه حسين بحثه عن (الشعر الجاهلي) والذي أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن أن نطلق الآن اسم

(حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث) ، وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الرئيس في بحثه القيم (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) .

وهكذا نجد أن السموم المثارة في أفق الفكر الإسلامي توضع أساساً من رجال التغريب . . ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتدعيها . . إيماناً بأن الاسم العربي أكثر تأثيراً ، وأبعد أثراً في خلد الجاهل .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامة النهضة في الفكر الحديث . . ونحن نرى أنهما دعامة التغريب التي حاولت خداع جماهير المسلمين عن حقائق الإسلام العظيم .

ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطائه . . فإن قوى التغريب لا تزال تعيد نشره وطبعه ، مع مقدمات ضافية يكتبها كتاب مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم . . وهم يجدون في هذه الفترة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية . والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث هذه السموم مرة أخرى . . ولن يجديهم ذلك نفعا . . فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه في صفحات براقة مزخرفة ، وأساليب خادعة كاذبة . إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ (محمد نجيت) الذي رد على الشيخ على عبد الرازق في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه . . حيث قال :

(لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط . . فهو منسوب إليه فقط . . ليجهله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار ، وألبسوه ثوب الخزي إلى يوم القيامة) .
قد علق الشيخ على عبد الرازق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤ لإعادة طبع كتابه أن هذا الكتاب كان شوثماً عليه ، وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات . . والحقيقة أنه بعد أن طرده

الأزهريون من (هيئة العلماء) ظل منسياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة . . بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء ، وإلى مجمع اللغة . . فقد كان أشبه باللعنة على حياته كلها . ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الرئيس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأن كاتب الكتاب في الحقيقة هو مستشرق إنجليزي يهودى الأصل شن الهجوم على الخلافة . . لأن بلاده (بريطانيا) كانت في حرب مع تركيا . . وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها . . والنصوص في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية . . فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن (قصر يلدز) وهناك نص آخر عن (جماعة الاتحاد والترقي) وهي التي كانت تحكم تركيا . . أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى . . ونقول : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين ، وقد تربوا في محافلهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم ، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين . . وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك ، وكانوا هم . . أى الاتحاديون أداة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان الشهيد . .

ورجح الدكتور ضياء الدين الرئيس أن مرجليوث اليهودى الذى كان أستاذاً للغة الغربية في أكسفورد بريطانيا هو كاتب الكتاب . . لأن آراء الكتاب هي آراؤه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور ضياء الدين الرئيس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية . . وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حققد شديد ، ويتسم أسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة ، والقدرة على التويه . . كما يتصف بالالتواء . . وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد الرازق . . ومعروف أن الشيخ على عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين . . فلا بد أنه كان متصلاً بالمستر مرجليوث ، أو تتلمذ عليه . . وكذلك توماس أرنولد الذى يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة قد ألف كتاباً عن الخلافة هاجم فيه الخلافة بوجه عام ، والعثمانية بوجه خاص . . وقد نقلناه (القول للدكتور الرئيس) في كتابنا (النظريات السياسية

الإسلامية) . والقصة تملخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحروب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا . . أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يهبوا ليحاربوها ، أو يقاوموها . . وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين المنود بالذات أو ثورتهم عليها . . في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ، ويشوه تاريخها لهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين . . وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها . . وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرزاق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه . . هذا إن لم يفرض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الخفاء للقضاء على فكرة الخلافة ، أو التي تحارب الإسلام . . فأخذ الكتاب إلى اللغة العربية ، أو أصلح لغته إن كان بالعربية ، وأضاف إليه بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التي تبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب ، وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجها للناس على أنه كتاب من تأليفه . . ظناً منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذي نظريات جديدة . . غير مدرك ما في آرائه أو في ثنياه من خطورة . . ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإلغاء لوجوده . . وكانت هذه هي البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم (حزب الأحرار الدستوريين) . . وهذا هو الذي فهمه (أمين الرافعي) فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرزاق على إصدار هذا الكتاب . . لما عرف عنه من الضعف في تحصيل العلوم ، والإلحاد في العقيدة . . ثم قال : هذا إلى أنه انغمس منذ سنين في بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين ، وتقمص أثواب الفلاسفة والملاحدين ، وصار خليقاً باسم (الأستاذ المحقق) والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ عبد الرزاق . . ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك . . وهناك قرائن أخرى :

أولاً : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة عام ١٩٢٤ . . بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ . . وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس . . وقيل في الهامش أنه كتب في عهده . . وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه . . فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول عندنا . . أو العرب . . أو نحو ذلك . . كما يقول المسلم عادة .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرازق عبارة : عيسى وقيصر (مرتين .. ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن أى مسلم صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير . . وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام . وشنوا الحرب على المسلمين . . فيدافع عنهم . . في نفس الوقت الذي يحمل على رأى أبى بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فينكر خلافته . . ويقول أن محاربته لمؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين . . ولكن نزاعاً في ملوكية ملك ولأنهم (رفضوا أن ينضموا لوحدة أبى بكر) وما هي وحدة أبى بكر يا عدو أبى بكر والإسلام . . أليست هي وحدة المسلمين . . ويقول (حكومة أبى بكر) أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين . . ويتكلم عن أبى بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل . . كأنه رجل عادى . . أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم . . فضلاً عن الشيخ . . في الكلام عن الصحابة . . وعن أفضل الناس وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير من دافعوا عن الإسلام ، وجاهدوا في سبيل الله عز وجل .

خامساً : أن الأسلوب الذى كتب به الكتاب أسلوب غريب . . ليس مألوفاً في الكتب العربية . . فهو أسلوب مناورات ومراوغة ، ويتصرف بالالتواء واللف والدوران . . فهو يوجه الطعنة أو يلقي بالشبهة . . ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويقلت منها . . ثم ينتقل ليقذف بشبهة

أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) . وحين يهاجم يصوغ عباراته في غموض . . وهذا يدل على أسلوب رجل سياسى متمرن في المحاوره والمخادعة . . وهو أشبه بالأسلوب الأفرنجى ، وأسلوب الدعايات السياسية ، أو الدينية التبشيرية . . وليس هو أبداً الأسلوب العربى الصريح . . فضلاً عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين فى الأزهر . . وهذا مما يغلب الرأى بأنه كتاب مترجم .

سادساً : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق - من قبل - أنه كان كاتباً تمارس فى الكتابة ، ومرن على التأليف . . فيكتب بهذا الأسلوب ، ويتعمد الطعن فى الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله .

ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أى فى السياسة والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) فى اللغة أو فى علم البيان وهذا كل إنتاجه فى أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر . ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر فى نفس موضوعه أو مثله ، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعاً : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجع صحة الخبر الذى رواه فضيلة المفتى الشيخ محمد نجيب نقلاً عن كثيرين من أصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين . . وقد غلبنا نحن أنه أحد المستشرقين . . ولكننا نقيم هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن . . الظاهر أنها محشورة . . مجموعات فى مكان واحد ، وأبيات الشعر التى استشهد بها . . كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥ . . وذلك ليغطي المفارقة الظاهرية بين وضع الكتاب ووقت صدوره . . فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

لأمنأ : كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب . . ولكن كان أقواها فى نهاية الأمر حب الظهور والرغبة

في الشهرة ، وأن يوصف بأنه باحث أو محقق أو مجدد . . كما فعل غيره من قبل . . ونحن نعرف أن مسألة انتحال الكتب أو عدم الأمانة في نسبة الأمور والمعلقات مسألة مألوفة في الشرق . ولا سيما في النقل من الكتب الأجنبية .

وفي مثل هذه المسائل بالذات . . فإن هذه الحالة أسهل . . لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول . . أو كانت المسألة بتصريح أو اتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية والطرف الثاني له مأرب سياسي أيضاً . . ولكن الدافع الذاتي أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور « ا.هـ .

من تقرير هيئة كبار العلماء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

والخلاصة أنه إذا رجعنا إلى هدف الكتاب الحقيقي وجدناه يتمثل في الحقائق التالية كما فصلها تقرير هيئة كبار العلماء .

أولاً : جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محضة . . لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا مع أن الدين الإسلامي على ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا ، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة .

ثانياً : زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان في سبيل الملك . . لا في سبيل الدين ، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثالثاً : زعم أن نظام الحكم في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان موضع غموض وإبهام ، أو اضطراب أو نقص ، وموجباً للحريرة .

رابعاً : زعم أن مهمة النبي (صلى الله عليه وسلم) كان بلاغاً للشريعة . . مجرداً من الحكم والتنفيذ .

خامساً : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه

لا بد لسلامة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا .

سادساً : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية . . وقال : إن الذين ذهبوا

إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً من الخلافة .

سابعاً : زعم أن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده (رضي الله تعالى عنهم) كانت لا دينية . . وهذه جراءة لا دينية . .

وهكذا تنكشف تلك المؤامرة الخطيرة التي استغلها الاستشراق وبعض التغويبيين خصوم الشريعة الإسلامية للقول بأن هناك رأيين . . بينما لا يوجد غير مفهوم واحد . . هو أن الإسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع . . وأن ما قال به علي عبد الرازق هو وجهة نظر الاستشراق الصهيوني التلمودي المدام . . وأنه ليس رأى أى مجتهد أو عالم أو إمام فى الإسلام . . وأن علي عبد الرازق لم يكن إلا مضللاً أو مخدوعاً .

* * *

الفصل السادس

الذاتية الإسلامية ومعركة المحافظة عليها

كان السؤال المثار عن كائنات الإعلام التغريبي والماركسي والصهيوني المطروحة في أفق المجتمع الإسلامي عن طريق الفن والمسرح ، والأكاذيب التي تثيرها دوائر خارجية كثيرة عن الانفجار السكاني ، وموتى الشمال والجنوب وتحديد النسل وتزويرات التاريخ والسياسة فيما يتعلق بالإقاييميات والقوميات بقصد إخضاع المسلمين لمفاهيم مفروضة وافدة تهدف لها رأسمالية صهيونية ، تقوم على مخطط تنفيذ إمبراطورية الربا العالمية التي لا تجد أمامها وسيلة لتحقيق هدفها إلا إغراق المجتمع الإسلامي في أحوال (الفن) بمفهومه الزائف والمهبط على النحو الذي نراه هادماً لكل مقومات الأخلاق في الأمة ، والمحطم للقوى الحية القادرة على حمل لواء المقاومة في مواجهة أخطار الغزو العالمي الذي يهدف إلى احتواء عالم الإسلام : أهله وعقائده وخيراته وثمراته جميعاً وتقديمها هدية سائغة لعصبة الألف مليونير عالمي يهودي المسيطرين على الاقتصاد العالمي ، والذين يحولون بكل قواهم دون امتلاك المسلمين لإرادتهم وقدرتهم ، وإقامة مجتمعهم الرباني واقتصادهم الإسلامي ومن ذلك فإن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية هي محاولة تصوير الإضحاك والرقص وفنون العري والكشف والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها (فن رفيع) أو (فن مقدس) كما تجرى على بعض ألسنة دهاقنة هذا الاتجاه من عصبة المحان القديمة . . والقول بأن هذا (الفن) له أصوله العلمية ، وضوابطه الدقيقة التي يتخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتي يتقدم فيها البعض بأطروحات دكتوراه . . فهناك مع الأسف الشديد في بلادنا الآن دكتوراه في الرقص الإيقاعي ودكتوراه في المسرح الإباحي ودكتوراه في الديكور الفاضح والإخراج المكشوف . . كأنما هذا الفساد

والتهريج البالغ حده من الأقذاع لا بد أن يرتفع ويرتفع حتى يصبح فناً عالمياً
وعلماً رفيعاً على أيدي دعائه من الماسونيين والصهيونيين والإباحيين فيما وراء
البحر الذين يتلقفون أبناءنا ويصهرونهم في هذه البوتقة . . . وقد خالت هذه
الآباطيل المضللة على قومنا فصلدقوها ، وكان عليهم أن يكونوا أكثر حنكة
وحكمة . فلا يسقطوا هذه السقطة الشنيعة ، وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع
والتقوية البالغين حد الفساد والإفساد . . . أما الذين يعلمون ذلك ولا يعلنونه
للناس فإن عليهم غضب من ربهم وحساب عسير ! !

وأنت إذا قرأت الصحافة العربية من أقصى العالم العربي إلى أقصاه تحس
أن هناك كتاباً يخضعون لمخططات الماسونية وبروتوكولات صهيون ، وينفذون
بدقة هذا الهدف المرتكز على الفن ، وتحس كأن المسلمين والعرب قد
استسلموا للغزو الغربي ، وأنهم ينصهرون في العالمية والأمية ، وأنهم يتنازلون
عن ذاتيتهم الخاصة التي صاغها الإسلام والتوحيد والأخلاق رويداً رويداً ،
وأنهم مقبلون على انصهار كامل في بوتقة التغريب .

وأن تلك القوى التي فرضت تلك التحولات في مجتمعات تركيا وإيران ،
والتي فشلت في تغريب هذه البلاد الإسلامية ، ما تزال تجدد محاولاتها بلا يأس
في العالم العربي ، وتحس أن سموم المسرح والرقص والغناء ومفاهيم مضللة
حول الفلكلور والدراما وغيرها من الشعارات الزائفة والمسمومة الوافدة
تزحف وتسيطر كأنها حقائق ، وتقدم للناس كأنها علوم .

وأخطر من هذا أن المفاهيم المسمومة الخطيرة تقدم الآن للمسلمين على أنها
نقد ومعارضة لواقع موجود بينما هي تطرح مفاهيمها لتدخل النفوس من باب
خفي ! !

والسؤال هو : هل يمكن أن يستخدم كل هذا النتاج الحضاري في معارضة
منهج الله تبارك وتعالى وفي معصيته . . هذا النتاج الذي يتمثل في هذه الأبراج
الصناعية من التليفزيون والسينما والإذاعات . . وهذه الأجهزة المستحدثة
التي تدار بالعقل الإلكتروني وكل الأساليب .

إن من يقرأ ما أورده بروتوكولات صهيون لا يستغرب ما يجري
تنفيذه من مخططات مسموم :

(سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب الملء الفراغ . .
وسندعو الناس للدخول فى مجالات شتى فى كل أنواع المشروعات . .
كالفن والرياضة ومباريات ملكات الجمال وغيرها . . وسنشرب بين الشعوب
أدباً مريضاً قدرأ تشمئز منه النفوس . . ويساعد على هدم الأسرة ، وتدمير
جميع مقومات الأخلاق للمجتمعات المعادية لنا . . وسنستمر فى الترويج
لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمتنا) .

وشر هذا كله هو جهاز التليفزيون الذى استطاع خلال تواجده فى
كل بيت أن ينفث سمومه فى المتلفين حوله ، وأخطر من هذا أجهزة الفيديو
وما تقدم من أفلام سرية صارخة تفسد أخلاق الشباب العفص والفتيات
العفيفات حين تقدم لهم - ليس الخيانة الزوجية المبدعة فى الأفلام - ولكن
العملية الجنسية نفسها . وبالرغم من أن الفطرة الإسلامية الصافية ترفض هذا
الزيف الذى يقوم باسم فن المسرح أو السينما . . فإن هناك محاولات بائسة
لربط هذين الفنين بالوجدان العربى الذى لا يرى فى هذا كله إلا أنه وسيلة
للتسلية والإضحاك . . ولكنه يغفل عن الآثار التى يتركها فى أعماق النفوس . .
وفى الحوار ، وفى التصرف اللاإرادى . . ذلك أن ما يقدم ليس هو أصيل ،
ولا موجه وجهة الخير ، أو الارتفاع بالناس عن مستوى الإقذاع والطفولة
البشرية ، ولا يشكل واقعاً حقيقياً . . فالحوار هابط فاسد وبعيد عن المستوى
الأخلاقي ، ولا يقدم إلا الأفلام المثيرة ، والمسلسلات الهابطة التى يراد
بها إعطاء الجماهير شحنة أكبر من الإثارة ، وتشويه التراث والتاريخ ،
والمبالغة فى إضحاك القارئ ، أو المبالغة فى تصوير المأساة . . وهى فى
نفس الوقت تقدم وجهة نظر العدو تقدماً واسعاً يعلى من شأن قيمه ويظهره
فى مظهر القوة . . بينما يظهر العرب والمسلمين فى موقف المتردى ! !

ولقد استطاعت الصهيونية العالمية التى أحكمت قبضتها على الفنون العالمية
لتحقيق أهدافها أن تقدم إلى الصف الأول (بكت ويونسكو) فى فلسفة
جديدة للفن ترى أن كل شىء مضحك مزر ، وأن هناك إحساساً باليأس
لكون العالم سريع الزوال ، وأنه ليس هناك شىء مهم . . وشىء واحد فقط
هو الذى يظل ماثلاً فى الوعى بكل حده : التمزق المستمر ، والغربة والعبث :

ولسنا نحن في عالمنا العربي الإسلامي في حاجة إلى هذه الفنون المدمرة . .
بل نحن في حاجة إلى فنون ترقى الذوق ، وترفع من قدر الدعوة إلى العمل .
والوحدة والكرامة والعفاف ، والأمل الكريم في إطار العقيدة .

أما الدعوة إلى تفاهم الذكون والوجود الإنساني على النحو الذي تطرحه
كتابات المسرحيين الجدد ، وهذه الصور القائمة البائسة ، وذلك الصراع
والاستخذاء المهين . . فهي ليست صورة مجتمعتنا الإسلامي الأصيل . .
ولكنها من عوامل تدميره وتمزيقه وإفساده .

وإذا كان المفهوم المسرحي والفني في الغرب يرمي إلى القول : بأن
الإنسان لا حرية له ، وأن مصيره مصنوع سلفاً ، وأن صراعه مع القوى
التي لا يراها من أجل أن يحصل على الحرية تبوء دائماً بالفشل . . فليس
هذا مفهوم الإسلام . . فنحن نؤمن بتلاقى قدرة الله تبارك وتعالى وإرادة
الإنسان في انسجام وتوافق من أجل أن تكون خطوات الإنسان أكثر ثباتاً ،
ونظراته أشد سداداً ، وأن الله تبارك وتعالى لا يدع الإنسان في يأسه . .
ولكنه يمد إليه يده في الساعات الحالكة ليرفعه إلى آفاق الأمل ، ويبصره
بالطريق الذي يجب أن يسلكه ، وإن مع العسر يسراً ، وأن هناك الفرج
بعد الشدة .

هذه هي مفاهيمنا ، وعليها أن لا تنسينا هذه الموجة العاصفة إياها لحظة
واحدة ، وأن نقف من هذه الفنون : تمثيلاً . . ورقصاً . . وغناء . . موقفاً
واضحاً في أسرنا وبيوتنا ، وأن لا نندفع وراءها فتفسد فطرتنا وتذهب
أصالتنا .

إن المعركة اليوم بين المسلمين ولاتقوى التي تتكاتف لاحتوائهم هي
معركة تأكيد الذات أو المحافظة على الذات أو حماية الذات : (الذات الإسلامية)
التي كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرناً من الانهيار والتدهور
والجمود والمداخلة ، من الانصهار في الفكر البشري الأثمي .

إن المحافظة على الذات الإسلامية اليوم فريضة من فرائض العقيدة . :
بعد أن تبين أن الهدف الحقيقي وراء المؤامرة التي تقومها القوى العالمية
هي (تدوين المسلمين) في الكيان الأثمي والعالمي عن طريق ثلاث عبارات

خدعت الكثيرين . وأصبحت تجرى على ألسنتهم في سهولة ويسر . . دون تقدير للأبعاد الخطيرة التي ترمى إليها .. وهي : الانفتاح الثقافي - التلقيح الثقافي - إثراء الفكر . . وكل كلمة من هذه الكلمات إنما ترمى إلى قبول أوشاب الفكر البشري الذي عرفته البشرية في عصر طفولتها ، والذي تعيد التلمودية صياغته من جديد ، وإدخاله في المجتمعات الإسلامية لهدمها وتدميرها .

وليست هذه التعليمات إلا الأساطير والوثنيات ، وعلم الأصنام اليوناني القديم . . أما العلوم والتكنولوجيا التي نحن في حاجة إلى نقلها من الغرب . . فهي محجوبة عنا ، ولا تدخل في هذه الدائرة مطلقاً ، إنهم يتطلعون إلى تغيير الهوية الإسلامية باقتناص فرائس من أبنائنا تحت اسم التبادل الثقافي والمفتح الدراسية . . لصهر هذه الأجيال في بوتقة الفكر الأعمى تحت اسم الحضارة العالمية ، والثقافة الحديثة دون أن يتبين هذا الشباب الغض الذي تنقصه خلفية إسلامية واعية ، عالم برسالة الإسلام الحقيقية ، ومحاذير الأخطار التي يتعرض لها المسلمون . . دون أن يتبين هذا الشباب تلك الأخطار ، يغريه بها ريق زائف ، وهوى متبع ، وشهوات ومطامع .

وما تزال قضية المرأة هي أكبر قضايا التغريب التي تركز عليها محاولات ضرب الأمة الإسلامية في صميم عزتها وشرفها ، وعرضها وكرامتها . . وذلك بالتضحية بالأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت ، من أجل دفع المرأة إلى آفاق مضللة تحت اسم (حرية المرأة) . إن التجربة معروضة اليوم أمام المفكرين للنظر فيها على نحو منصف . . هل يستحق هذا الفتات تضييع أجيال الشباب والفتيات بجيلاً بعد جيل من أجل استمرار المرأة في غواية العمل في سبيل قروش قليلة يدعى أنها تساعد الرجل في مصروف البيت ؟ ! وأين هو الرجل ذو الكرامة الذي يقبل أن تقدم له زوجته ما يعينه على أداء مسئوليته ؟ ! إن أغلب هذا المال ينفق في زينة المرأة ومصاريف انتقائها ، وفي تفاهات الترف المنزلي التي لا تقدم ولا تؤخر . . وما تزال قضية المرأة وإغرائها وإخراجها من بيتها إلى المحافل والمراقص ، من الأعمال التي تركز عليها المؤامرة : مؤامرة الفن والإضحاك والتسلية . . لتكمل الحلقة

في تدمير الأسرة وإنتاج ذلك الجيل الذي ترعاه الخاديات والحاضنات ،
والذي ينشأ قاسياً . لأن رحمة الأمهات لم تدركه . . ويعيش حياة مضطربة
في قابل أيامه نتيجة ما يحمله صدره من الحقد والخوف والجفاف .
إن الخطر كله يكمن وراء محاولة تغيير هوية المسلمين عن طريق أجهزة
ضخمة تصب السموم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

* * *

الفصل السابع

مصر عربية إسلامية محاولات للقضاء على الانتماء العربي الإسلامي

كانت التساؤلات كلها تدور حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بالتاريخ العربي والإسلامي ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة في الوثنية أو منحاورة إلى الغرب . وتتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح . . سواء منهم الغربيون أم العرب ، أنه قد حدث انقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر في الإسلام ، وأن تاريخاً ضخماً طويلاً استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ اليونان والرومان في هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى إفريقيا كل هذا التاريخ بتراته ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح في خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام . . اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصمدون عن أساس أخلاقي واجتماعي واحد مع طول التأثير . ولكن إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منعزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامي أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الإقليمية والقوميات واحدة الفكرة والمنهج .

ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية ،
وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصناً
حصيناً للشخصية المصرية ما عاشت . . لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها
منصهرة فيها انصهاراً عضوياً يعجز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفوعوني
الوثنى الذى سار عليه فى كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح فى تقدير
الباحثين غير منصف ولا راغب فى معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولة توفيق الحكيم فى تحييد مصر عن البلاد
العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من
كل مكان المتعة والترفيه ، وكان فى ذلك مشاركاً للدكتور لويس عوض
فى تحطيم دور مصر العالمى الذى عاشت تقوم به فى مواجهة التيارات الغازية
والغزوات الطامعة التى واجهت عالم الإسلام ، وكان لها دورها الخطير فى
رد هذه الغزوات وحماية عالم الإسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث فى
الأعصار التترى وفى الحروب الصليبية وفى الاستعمار الغربى الحديث ،
وسوف يكون لها دورها الخطير فى دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين
والعرب منها . .

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكيم تصلر عن مفهوم بعيد أشد البعد
عن الانتماء العربى الإسلامى . . . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته
يفخر بذلك معلماً شأن العنصرية فى حديثه عن مصر ، كارهاً لطابع مصر
العربى الإسلامى . . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية
على الإسلام حتى قال قولته المشهورة : (إذا كان الإسلام يقف حجر عثرة
أمام مصر يتنا و فرعونيتنا لنيلناه) ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين
يرى أن رأى توفيق الحكيم فى العرب أشد تحاملاً وتعصباً من رأى كثير
من متعصبة المستشرقين أمثال رينان ودوزى . . ولعل التقارب فى هذا
الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية
الواحدة التى تأثر بها كلاهما فى فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا
أو إلى إنجلترا تستهدف سحق مقومات هذه الأمة وإلقائها فى أتون الإقليمية . .
فهى كراهية مشتركة للعروبة والإسلام ، وهى ممتدة إلى اللغة العربية وإلى

القرآن وهى مبسوطة فى الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو فى التصرفات وفى تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد تلخص تفسير القرطبي وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه فى الطريق للتعرف إلى الإسلام إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التى ترددها طائفة معروفة الآن باسم طائفة الخادعين للمسلمين بالحديث عن الشريعة الإسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الإسلامية وهى دعوى يحمل لواها من وقت بعيد محمد النويهي وعبد الحميد متولى ومحمد أحمد خليف الله وآخرون بهدف تذليل الشريعة لتبرير أوضاع المجتمعات الحديثة وفى مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج . واحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها فى داخل القانون الوضعى على النحو المسموم الذى دعا إليه عبد الرزاق السنهورى منذ سنوات وهى دعوى ممثلة يعقدها النفوذ الأجنبى ليحول بها دون تطبيق المجتمعات الإسلامية للشريعة الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفرعيات ويعتمدون فى ذلك على نص للشيخ محمد عبده والشيخ محمد عبده الذى يعتمد عليه الماركسيون وأعداء الشريعة لا يمثل الإمام المحمدي ولا المتخصص فى هذا الأمر ، وإنما هى اجتهادات كان لها وضعها وظروفها فى وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالسياط على أبهى كرومها فى مصر وليوى فى المغرب وهى لا تمثل اجتهاداً يمكن الأخذ به . كذلك الخطأ الذى وقع فيه على عبد الرزاق حين أراد أن يصف الإسلام بأنه دين روحانى ويلغى نظامه الاجتماعى إلغاء تاماً وتلقف بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التى لم يعتمد بها على كتاب أو سنة لضرب الإسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغير ومحاولة وضع العقيدة فى مكان الثبات والشريعة فى مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . . وإن الشريعة الإسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التي ما زال يرددتها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الإنسان خاضعاً للتغيير بتغير المجتمع ورأيه ، ومن هنا تهب ريح الخطأ في التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ معنى ذلك ومواده لو قبلناه أن لنا أن نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك ونتحلى من عقوبات السرقة والحراقة والزنا ومن كل شيء حرمه الله ورسوله لو قبل المجتمع ذلك !! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاضعة لهوى الناس وما يتجهون إليه في حياتهم في أى مكان وفي أى عصر والله تبارك وتعالى يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

ونقول إن الجماعة يتندبون أحدهم فترة بعد فترة ليثير القضية ثم ينظرون ثمه ليعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والتساهل فى أمر العرض واستعراض المرأة لمفاتن جسدها ومراقصة الأجانب . . وهكذا . .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التى تهدم المجتمع ممثلة فى بعض الروايات الجنسية والكرة والرقص .

وتجرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة ، سواء فى مجال الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف إخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح . . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهدم والتدمير . .

* * *

الفصل الثامن

إستعلاء موجه الجنس فى الإسلام والمسلسلات والمسرحيات

تجدد الحديث عن الأخطار التى تواجه المجتمع نتيجة استعلاء موجه الجنس فى الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وأمامنا وثائق تشهد بالأخطار المخدقة بالقيم والأخلاق والمتصلة بشبابنا وفتياتنا ومدى أثر ذلك على بناء الأسرة المصرية :

أولا : يقول الدكتور جمال الدين موسى (علوم عين شمس) :

تابعت حلقات مسلسل (العيب) للطبيب (يوسف إدريس) على الشاشة الصغيرة وكان شعورى هو التقزز من هذه القصة الهابطة التى تتجنى على مصر والمصريين ، وتلصق كل أنواع الرذائل بالإنسان المصرى . . امرأة كانت أو رجلا . . ولست أدرى . . كيف يسمح التليفزيون المصرى بأن تعرض مثل هذه المسلسلات على شاشته ، وأن تدخل إلى بيت كل مصرى ويراها الصغار والكبار . . وهى بمثابة سب علنى ، وقذف لأخلاقى ، وإساءة بشعة لمصر وشعب مصر . . فالتليفزيون يجب أن يحترم مشاعر الناس ، ويجب أن ينتقى مما يقدم إليه الجيد الأصيل الراقى من الإنتاج . . لا أن يسمح بهذا النوع من المسلسلات التى تهجم على مصر بصورة يصعق لها من يدفع الأجر بالدولار والاسترلينى . . هل هذه هى صورة مصلحة . . مصلحة كاملة خاضعة لنفوذ رجل داعر . . وأغلب موظفيها مرتشون . . بدءاً من المدير حتى الموظف الصغير . . شابات فى مقتبل العمر وشبان فى مقتبل العمر الحياة يبيعون أنفسهم للشيطان هكذا يشوه بهذه الطريقة البشعة الوجه الصبوح لمصر . . نقبل نقد المستوى للمجتمع المصرى . . ولكن لا نقبل على الإطلاق المسخ

الكامل لوجه مصر . . إن محور الأفلام علاقة غرامية ، أو مشكلة اجتماعية . .
وعلى صعيد هذين المحورين يعمل المخرج على إضافة مجموعة من المشهيات . .
وهي ليست إلا مشاهد جنسية رخيصة مبتذلة . . وحشد الفيلم بعشرات
الشخصيات الهابطة التي تظلم نفسها بالعمل في هذه الأفلام الهابطة .

ثانياً : فيلم (الباطنية) وقد كشف عن خطورته الأسعاذ إبراهيم سعده ،
وتحدث عن مدى الخرج في رفع الفيلم أو إلغائه أو وقف عرضه . . وقال :
إن الزقزوني (إدارة الرقابة على الأفلام) دافع عن الفيلم دفاع الأبطال :
دافع عن الشذوذ والبذاءة وعن الحوار الذي وصفه بأنه لا يتخذه الحياء وعن
اللقطات التي ظهرت فيها بطلة الفيلم بملابس غير لائقة ، وأنهم الجميع
بالتأخر . . وقال إن الأمور اختلفت الآن . . فنذ ثلاثين سنة لو أن فخذ امرأة
ظهر على الشاشة لضج الجمهور . . أما الآن فلان ظهور الفتيات عاريات
أو شبه عاريات لا يثير أدنى تعليق . . وطالب بزيادة جرة الإباحية في أفلامنا
الهابطة . . تمشياً مع المجتمع . .

أما صلاح عبد الصبور وكيل وزارة الثقافة لشئون الهيئة العامة للكتاب
فقد قال عن فيلم الباطنية : أن هذا الفيلم لا يزيد ولا يقل سوءاً عن سواء
من الأفلام المصرية التي تتخذ مجالا لها عالم الجريمة والمخدرات وقد ازدحمت
الشاشة في السنوات الأخيرة بهذه الأفلام وأصبحت أنماط تجار المخدرات
والعوالم أنماطاً شائعة وفي هذا المجال نقف حائرين إذ أن وقف فيلم كالباطنية
يلزمنا أن نراجع أنفسنا وأن نتصدى للتيار كله . . ويقول إبراهيم سعده :
الذي رأيته في فيلم الباطنية شيء لا يصدق العقل . . إنه أشبه بأفلام الشذوذ
التي تباع في الظلام ، وتعرضها المواخير ، ويقبل عليها الذين يبحثون عن كل
جديد ومثير بعد أن ضاع شبابهم وأفقدتهم الإدمان صوابهم . . أحداث غريبة
لمجتمع لا نعرفه . . وإن كان بيننا فإننا لا نريده . . كل ما يتصوره من شذوذ
ومرض . . بالصورة والكلمة والرقصة والإشارة تجده في هذا الفيلم الذي
أجازته الرقابة ، وسمحت بعرضه ، وأغرق منتجه الصحفي وشاشة التليفزيون
بالإعلانات عنه . . أن الهدف الوحيد لإنتاج فيلم (الباطنية) هو جمع المال ،
وملء جيب المنتج . . وليس هناك أى هدف آخر . . اللهم لا الإساءة
إلى مصر . . لم أصدق أن في مصر رقابة على الأفلام . . ولم أصدق أن في مصر

من يحافظ على الآداب العامة . . ولم أصدق أن في مصر من يهجم أن يعلم النشء القيم والتقاليد والعيب . . (أخبار اليوم ١٧ / ٩ / ١٩٨٠) .

ثالثاً : هذا ما ذكرته السيدة اعتدال ممتاز (مديرة الرقابة على الفنون) في مذكراتها التي نشرت جانباً منها في مجلة المصور . . قالت :
إن قصة قصر الشوق (نجيب محفوظ) التي تحولت إلى فيلم (حلمي رفلة) واجهت الملاحظات الآتية من الرقابة :

أولاً : الفيلم في عمومياته دعوة إلى الفسق والفجور والزنا وهدم الأسرة وإظهار المجتمع المصري وكأنه لا يشغله إلا العشق والفجور وأنه كاه فساد ، فالأب وجيله جيل فاسد ، والابن أي الجيل الذي يليه فاسق أيضاً ويهمل ويكبر عندما انحرف الأخ الأصغر أي أن الجيل الثالث أيضاً فاسق .

ثانياً : الفيلم دعوة قائمة إلى هدم كل القيم الروحية ممثلة في شخص الابن الأصغر عندما تحطمت صورة الأب الطيب في ذهنه ، وكذلك تحطم حبه . . وأخيراً صورة الزعيم المثالي للوطن في خياله سعد زغلول عندما هاجمه زميله ثم هون الأخ الأكبر من شأنه بعد موته .

ثالثاً : الفيلم يحمل في طياته دعاية مسيئة إلى الإسلام . . فقد حرف فما نسبته الآيات القرآنية فقال « إذا بليتم فاستتروا » وإذا استترتم فابتلوا . . وقال أيضاً إن الخمر مفتاح الفرج . . ثم جعل من الصلاة فريضة مظهرية . . فالباطل يصلي في منزله ويفسق خارجه ولم يمثل قول الله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقالت السيدة اعتدال ممتاز أيضاً في تقريرها عن فيلم قصر الشوق : إن الفيلم مليء بالمشاهد الجنسية المحشوة بقصد الإثارة المبتذلة والمقززة . . وهو زائر بالألفاظ والعبارات الرخيصة المبتذلة الهادمة للقيم المتعارف عليها . . وبالفيلم كثير من العبارات التي تنطوي على السخرية من المعاني الدينية (الخمر مفتاح الفرج) والفيلم يسعى إلى سمعة البلاد . . وهو يظهر الأمة مشوهة بعيدة كل البعد عن الواقع الذي عاشته وهي تكافح ضد الاستعمار .

وقدمت السيدة اعتدال ممتاز مثلاً آخر من الأفلام الهابطة هو فيلم (امرأة ورجل) المأخوذة من قصة (يحيى حق) تمثيل نادية لطفي ، ناهد شريف ، رشدي أباظة . . وقالت إنه هابط في مستواه الفني لدرجة كبيرة

جداً . . هابط في مخاطبته للجنس . . وفي مناظره الجنسية المكشوفة ، وفي مخاطبة الغرائز الجنسية ، وفي الفيلم خروج عن الآداب العامة . . وهو إساءة إلى صورة الحياة في مصر الريفية ويهدم كل قيمتنا الاجتماعية من صداقة وقرابة وحياة زوجية .

وقالت السيدة اعتدال ممتاز : إنه في هذا الفيلم يمارس البطل والبطة الفعل الجنسي كاملاً ، وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال حاجز متموج شفاف إخفاء للتفاصيل مع إبقاء الحركة المثيرة بكل ما توحى به من خيالات .

وتقول : إنه بالرغم مما حذفته من هذا الفيلم من أجزاء . . فإنني كنت أرى أنه ما زال مغللاً بالآداب العامة . . وقالت : بعد أن أصبحت مديرة للمصنفات الفنية وجدت أنني كنت مضطرة إلى توقيع إجازات لأفلام لأرضي عنها . . إما لهبوط مستواها الفني ، أو لأنني كنت أرى أنها لا تناسب بيتنا جماهيرياً ، أو أعترض عليها كلية لمضمونها . . ولكنني كنت مجبرة على الترخيص لها نزولاً على حكم لجنة التظلمات أو رغبة مجلس الرقابة (١٩٥٠) .

وفي كل هذه الحالات نجد أن هناك لجناً سرعان ما تجمع بعد الاعتراض على الفيلم فتقرر عرضه ، وتوافق عليه دون حذف أى شيء منه (كما حدث في فيلم الباطنية) أو حذف أجزاء لا تحول دون بقاء الصورة البشعة من الجنس . ونحن نسأل : وهذه نماذج قليلة مما جرى الحديث حوله من عشرات الأفلام المطروحة أمام شبابنا وبناتنا في دور السينما . . ومدى خطر هذه الأفلام على أخلاقنا وقيمنا وأسرنا . . وقد أشار الدكتور إسماعيل السباعي (نحو النور - الأخبار ١٩٧٧ / ٣ / ١) إلى بعض ما يعرض على شاشة التلفزيون ، وأن جانباً كبيراً منه يتركز حول الفن والفنانين والفنانات . . كأنما الدنيا ليس فيها أحد غيرهم وكأن حياة الناس لا تستمر أو تزدهر إلا بوجودهم . . وجودهم وحدهم . . ويقول : لا أنكر وجود الفن في حياة الأمة . . ولكن التوازن بين العناصر المكونة لهذه الحياة واجب ، وفقدانه يؤدي إلى اختلال المجتمع اختلالاً لا شك فيه ، وإذا ترك دون أن يوقف أو يترادى أدى إلى الانهيار . . وليس التلفزيون وحده . . ولكن الإذاعة أيضاً . . والسينما . . وسائر أجهزة الإعلام تشترك هي الأخرى في تعميق هذا المعنى . . الجوائز

المادية والأدبية .. المكاسب .. الأجور .. الشهرة .. الأموال المتدفقة على
فنانين لا حصر لها ولا آخر !!! » .

والواقع أن مؤسسة الفن كلها في بلادنا في حاجة إلى إعادة النظر إليها
في ضوء طوابع الإسلام ومقرراته ، وفي ضوء ما قرره دستور الدولة ،
وما يتصل بذلك من أمور التربية الإسلامية ، وبناء الأجيال الجديدة على
الصمود في وجه التحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي ، وأخطار المذاهب
الهدامة ، والشبهات والمذاهب التي تحاول أن تنفذ إلى مجتمعنا الإسلامي لتدمره
وتحطم قوائمه ومعنوياته .. هذه المذاهب الهدامة التي تبتدع طريقها ميسراً عن
منافذ المسرح والسنيما ، والروايات والمسلسلات ، والحوار الذي يجري بين
الرجل والمرأة ، والأب والابن في تلك الروايات والمسلسلات ، والذي يقدم
سموياً من الألفاظ والعبارات ، ويحطم الضوابط الحقيقية التي يجب أن تظل
قائمة في محيط الأسرة .. ولقد تعالت في الحقيقة موجة الجنس في الأفلام
والمسرحيات على نحو خطير جداً .. حتى بلغت إلى حد أن تقدم هذه الأفلام
(الفعل القاضح) بصورة أو أخرى أمام شبابنا المراهق ، وأن تجمع هذه
المسرحيات والأفلام ذلك القدر البشع من العبارات الهابطة ، والسموم الناقعة .
وإذا كانت هناك مندوحة لوجود هذه المسرحيات والروايات من باب
الترويح عن النفس .. فإن من الضروري أن تقدم وفق أسلوب مهذب
لا يجرح ولا يحطم القيم الأساسية للمجتمع ، وأن تكون الفكاهة أو الحوادث
على نحو بعيد عن هذا التهريج الشديد ، أو هذه الإباحية الخطيرة .. ولقد
قرر علماء الاجتماع أن من أبرز أسباب اندفاع الشباب اليافع إلى الجريمة والجنس
هو تقليده لهذه الأفلام وإعجابه بها .. ولقد تعالت الصيحات إلى الكشف
عن مدى أخطار نتائج هذه الظاهرة على كتابات الكثيرين حتى نرى أقرب
الناس إلى هذه البيئات يتحدث عن هذا الفساد : يقول الأستاذ نعمان
عاشور : لقد امتدت دوافع الربح ، وأطاع الاستغلال إلى المسرح
والتلفزيون ، وأنه يستحيل إعادة التوازن المفقود في حياتنا الثقافية إذا لم
تبادر الدولة فتقدم لأجيالنا الصاعدة النتاج الثقافي القويم الذي يزودهم بالقيم
البناءة ، والمثل الراجعة المقومة ، والأخلاقيات السليمة الصحيحة ، ودعم
الثقافة الحقيقية السليمة لبناء الإنسان الجديد :

إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطفئ على أفلامنا السينمائية والمساحر
الفكاهية الهزيلة التي تسيطر على النشاط المسرحي والمسلسلات العقيمة
المتفشية في التليفزيون وهذا الهزر السخيف الذي تفيض به فقرات البرامج
الثقافية . . ناهيكم بالكتابات الفارغة الفجة التي تملأ صفحات الكتب
والمجلات إنما يخلفها دائماً الإنميال الفنى ، والتردى الأدبى ، وهبوط
المستوى الثقافى . وكل ذلك منبعث عن مصدر واحد هو اعتبار الفن
مجرد أداة من أدوات التسلية والترفيه التي يصلح بيعها كسلعة تدبر الربح . .
ومجتمعنا لا يجوز أن يتطور إلى ما تطور إليه مجتمع آخر . . سواء أكان
المجتمع الأمريكى بما يسوده من قيم وأخلاقيات وتطلعات ترتبط جميعها
بالجنس والجريمة ، والقسوة والعنف : . أو مجتمعات أوروبا في أنهارها
الأخلاقى تحت وطأة ما تعانيه من مادية خارقة وخواء فكري وروحى . .
لأننا لسنا مجرد مجتمع متفتح ناهض . . وإنما لأننا فى الأصل والأساس
مجتمع عتيق وعريق ، مؤسس من أجيال بعيدة عن قيم روحية ناضجة ،
ومثل إنسانية ثابتة ، وتقاليد قومية أكيدة راسخة لا بد أن نحرص على حمايتها
وتطويرها .

وبعد فإن الأمر من وجهة النظر الإسلامية فى حاجة إلى مساءلة شديدة
لأصحاب الأقلام الذين يكتبون هذه السموم ، وأولئك المخرجون الذين
يقدمونها على هذه الصورة المثيرة ومن تخدم هذه الوجهة فى تجريد مجتمعنا
من أوجه حصانته سواء بالنسبة للأسرة أو المرأة أو الشباب . . ألا يجرى
هذا فى نطاق المحاولة الخطيرة التي تستهدف تدمير المجتمعات قبل السيطرة
عليها والتي رسمتها بروتوكولات صهيون . . فنحن أردنا أو لم نرد كأننا
نخدم هذه المؤامرة . . وما أجدرنا أن نبني أجيالنا على الخلق والكرامة
والعفة . . فذلك أجدى فى دعم قوائم المجتمع ، وحماية الأمة من الأخطار
والعواصف التي تحاول أن تجتاح المجتمعات الإسلامية ، وتدحر وجودها . :
اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

•••••

رأى لفيف من كتابنا وأدبائنا وصحفيينا فى الأفلام المصرية الهابطة

*** الفيلم المصرى (رجل وامرأة) يشتمل على مشهد يمارس فيه
البطل والبطلة الفعل الجنسى كاملا . . وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال
حاجز متموج شفاف . . إخفاء للتفاصيل . . مع إبقاء الحركة المشرقة بكل
ما توحى به من خيالات . . وما كنت أحذفه من مشاهد مخلة فى بعض هذه
الأفلام كان يضع هباء أمام لجنة التظلمات ! . .

اعتدال ممتاز

*** إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطفئ على أفلامنا السيئانية
والمساخر الفكاهية الهزيلة وهذا السخف الذى تفيض به فقرات برامتنا
الثقافية ! . .

نعمان عاشور

*** ما رأيته فى فيلم (الباطنية) شئ لا يصدقه العقل . . إنه أشبه
بأفلام الشذوذ الجنسى التى تباع فى الظلام وتعرضها المواقير . . وإن
الزقزوقي مدير الرقابة على الأفلام بدفاعة عن هذا الفيلم المسابط . . إنما يدافع
عن حقيقة الشذوذ وعن البذاءة والسقوط ! . .

إبراهيم سعدة

*** لقد ازدحمت الشاشة المصرية فى السنوات الأخيرة بأفلام هابطة
وأصبحت أنماط العوالم وتجار المخدرات هى الأنماط الشائعة فى هذا المجال ! . .

صلاح عبد الصبور

*** مسلسل (العيب) ليوسف إدريس يلصق كل أنواع الرذائل
بالإنسان المصرى ولا أدرى كيف يسمح التليفزيون المصرى بعرض مثل
هذه المسلسلات على شاشته وأن تدخل إلى بيت كل مصرى ويراها الصغار
والكبار وهى بمثابة سب على وقذف لأخلاق وإساءة بشعة لمصر وشعب
مصر ! . .

دكتور جمال الدين موسى

الفصل التاسع

حقيقة القمم الشوامخ والعمالقة

لا تزال قضية الشوامخ والعمالقة : : والقمم العالية مطروحة طرحاً معوجاً على كثير من أقلام كتابنا وصحفيينا : : ولذلك فقد كانت موضع التساؤل .

والحق أن مقاييس كثيرة وافدة وخاطئة قد طرحت في مجتمعنا نتيجة تغير الأعراف وانحرافها وما تقدمه المسارح والأفلام السينمائية والفلسفات المادية من إعلاء شأن المغنيين والمغنيات ، والممثلين والممثلات : : وإفراد صفحات متعددة لهم على أنهم نجوم وكواكب يمكن أن يكون ما يقولونه مثلاً أعلى لشباب ساذج ليست له خلفية صحيحة من فهم لعقيدته ، ولقومات الرجولة والبطولة والشخصية السوية : : وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات المسلمات اللاتي يتخذن من المغنيات والممثلات مثلاً أعلى في كلامهن وملابسهن وحركاتهن التي تحفل بها الأفلام السينمائية أو المسلسلات : : بل إن من أعجب العجب أن باب (أبو نظارة) في واحدة من صحفنا اليومية يقدم يومياً ثبنا بتاريخ وفيات هؤلاء الممثلين بمناسبة مرور عام أو أعوام على وفاتهم : : بينما لا يحدث ذلك بالنسبة لعظماء الرجال ، وأبطال الأمة والكتاب الصادقين الذين قدموا لهذه الأمة ثمرات عقولهم : : بل إن عدداً من هؤلاء الأعلام مات في السنوات الأخيرة دون أن يذكره أحد ، أو نشر نعيه في أعمدة منزوية في صفحات الوفيات : : بينما يجد الممثلون والممثلات والمغنون والمغنيات : : بل والراقصون والراقصات مكاناً عريضاً في الصفحات الأولى من صحافتنا (انظر وفاة يوسف وهبي وفائزة أحمد) .

ولا يقف الأمر عند هذا : : بل إن هذه الصحافة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تضع هالات عريضة ، وتيجاناً لامعة فوق رؤوس هؤلاء الذين

لم يكن لهم عمل إلا تقديم تلك العبارات الساخرة ، والكلمات المكشوفة في حوار هابط تقدم به صورة غارية لا تتفق مع كرامة الأمة ، ولا مع حسن العلاقات بين أفرادها ، ولا مع قيمها الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وإذا كانت هناك دعوة إلى تقدير القسم الشوامخ ، والعائلة من أبناء هذه الأمة : : فإن ذلك لا ينصرف نحو رجال الفن كما يسمونهم بحال . : وإنما يتصل ذلك بأولئك الأبرار الذين قادوا هذه الأمة في مجالات البطولة الحققة ، ومقاومة النفوذ الأجنبي : : وإحياء المثل العليا ، والقيم الصحيحة .

ومنذ انطلقت هذه الصيحة فما نسمع إلا عن حلقات عن رشدي أباطة ، وكتابات عن بريم التونسي ، وكلمات عن نجيب الريحاني ، أو إعادة الحياة إلى سيد درويش : : وأم كلثوم ، أو الاحتفال بعيد ميلاد محمد عبد الوهاب ، أو إعادة تاريخ يوسف وهبي : : وما هكذا تورد الإبل : : وما هذه هي القضية .

إننا حين نعرض هذه القضية على مفاهيم الإسلام نجد أن كل هؤلاء لا يدخلون في باب القسم والشوامخ والعائلة بحال : : فقد كان هؤلاء حفنة من المهرجين والنافخين في أبواب التسلية والإضحاك والتسلية بمفهوم المسرح والفن الوافد الذي حاولوا إعطائه لفظ القداسة ، ورفعوه فوق دور العبادة ومجدهوه ليكون وسيلة من وسائل إخراج هذه الأمة من مفاهيمها الأصيلة ، ومن عقيدتها الحققة إلى أجواء من الخداع والتخدير أشبه بما يحدثه العقار الذي يذهب بالوعي ، دون حاجة حقيقية إلى ذلك ، إلا أن يغفل الناس عن فهم واقعهم ، وحقيقة وجودهم .

إن فن الإضحاك ورد إلى بلادنا مع النفوذ الأجنبي . ثم نما نمواً غير طبيعي معارضاً للقطرة والأخلاق وللقيم ، معلماً لطبقات الغناء والرقص والتمثيل والفن الهابط على نحو خادع ماكر : : تتحدث عنهم الصحف صباحاً ومساءً ، وفي مجلات عامة وخاصة : : كأنهم وحدهم البارزون والأعلام والقادة : : حتى خلد بهم شبابنا وقلدهم ، وهم في الحقيقة يحملون من المفاهيم ما لا يتفق مع جوهر الدين الحق : : فهم يدافعون عن وجودهم .

ويحاولون أن يصوروا عملية الإضحاك والتسلية هذه على أنها فن رفيع له قداسته وله قدره . : وهم في نفس الوقت لم يلتزموا بأخلاقيات الأمة . . فأدخلوا إلى مسارحهم وقصصهم سخريات بكثير من القيم ، وأفسدوا بالحوار العلاقات بين الأب والابن ، والزوجة والزوج . . فسارت تلك الكلمات الرخيصة المبتذلة على ألسنة الناس في الأتوبيسات والشوارع . . وكان لما طرحته هذه الروايات والمسلسلات من مفاهيم أثر عجيب في تقليل أهمية العرض والكرامة والغيرة ، وفتحت هذه الصور أمام الشباب الغرض ، من الجنسين صوراً تبدو كأنها مشروعة للجنس والجريمة في وقت واحد مما كان نتيجته ما تقرأه عن الأحداث الذين يقلدون فيها أفلام الجريمة والجنس .

ولقد أعطت الصحافة قدراً كبيراً لأمثال سيد درويش ، وبيرم التونسي على نحو لم يعط لشوقي وحافظ إبراهيم . . ذلك لأن الهدف هو إعلاء شأن الفلكلور النافه المتصل بالعامة وبالمشاعر الساذجة التي عرفها البشرية في طفولتها وطبقاتها الدنيا . . بينما قدم الشعر البليغ والأدب الرفيع دوراً خطراً في رفع عقليات الأمم ومشاعرها إلى المعاني العليا والقيم الحقيقية .

الحقيقة التي لا شك فيها أننا يجب أن نفرق بين هذه الشخصيات المسوخة التي لا تعرف إلا تفاهات الإضحاك ، أو كلمات الغناء ، أو أساليب التمثيل الفاضح وبين البطولات الحقة في تاريخنا ، والقيم الشوامخ التي أعطت لأمتها الكثير والكثير .

هل يستوى الذين جاهدوا وضحوا وقالوا كلمة خالصة لله تعالى ، وقادوا الأمة إلى النصر والحق ، وعرضوا حياتهم الخاصة للخطر مع هؤلاء الذين يدخلون على أبنائنا أساليب من الخداع والتضليل والغثاثة . : هؤلاء الذين يخرجون أبناءنا من قيم الأخلاق والكرامة ، ويلفتونهم نحو التفاهات ، ويحاولون تجريدهم من وجهتهم الخالصة لمعرفة معالي الأمور ومكارمها .

لا ريب أن الأدب العربي المعاصر قد انحرف عن جادته حين يتحدث عن مرسى جميل عزيز ، وحسين السيد ، وأحمد رامي ، وبيرم التونسي وتجاهل عشرات من الأعلام أمثال عبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعي ، وأحمد زكي باشا ، ومصطفى صادق الرافعي ، وفريد وجدي ، ومحجب الدين

الخطيب ، وكامل كيلاني . . هذا في مصر : . أما في العالم الإسلامي فهناك عشرات من أمثال شكيب أرسلان ، وعبد العزيز الثعالبي ، وطاهر الجزايري ، وعبد الحميد بن باديس ، ومصطفى الغلاييني ، وعلال الفاسي ، وهناك عشرات من الأعلام في مجال الأدب وحده : . وأمثالهم في ميادين الفكر والاجتماع ، كانوا من الأمثلة العالية في الكفاح من أجل حماية القرآن ، واللغة العربية الفصحى ، وتاريخ الإسلام ، لم نجد من يتحدث اليوم عن طه حسين وما قدمه من سموم في هذه المحالات كلها . : كأنما كان مكلفاً بأن يفسد هذه القيم جميعاً ، ثم يقال لنا : إنه من القمم الشوامخ : . إن قاعدة الترشيع للقمم الشوامخ لا بد أن تكون متصلة بالعطاء الحقيقي الذي قدمه هذا الرجل لدينه وأمته ولغته : . إن الذين يدافعون عن طه حسين اليوم هم الذين يدخلون بيرم التونسي ، ونجيب الريحاني ، ويوسف وهبي في قائمة القمم الشوامخ . : لأنهم يدافعون عن العاميات ، وعن نشر الفلكلور والأزجال ، والحواديت والخرافات والأساطير بهدف إفساد أديم الفكر الإسلامي . . والأدب العربي ، وتحكيم هذه الجوانب الفاسدة في عقول شبابنا . : وهي جزء من تيار ظهر منذ سنوات بعيدة على أيدي المبشرين والمستشرقين : . ومن ذلك كتاب لويس عوض الذي أخرجه أخيراً عن (فقه اللغة العربية) وهو كتاب مسموم يحاول أن يهدم جميع القيم الحقيقية المتصلة بالبلاغة العربية ، وإعجاز القرآن . . وهو يعاود الترويج لقضية خلق القرآن وغيرها . : بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا حين يدعى بأن العرب جاءوا من القوقاز إلى الجزيرة العربية قبل ألف سنة من تاريخ المسيح ، وأن لغتهم لم تكن إلا من لغات القوقاز . : إذن فليس هناك لغة عربية خالصة : . وإنما هي فرع من اللغات الآرية : . يقول هذا لويس عوض ويدعيه معارضاً لسنن الهجرات التي تبدأ من الصحراء إلى منابع الأنهار . : يدعى هذا وليس معه أى دليل علمي : . وإنما هي نصوص مخطوطة من هنا وهناك في سبيل التدليل على هوى قائم في النفس :

ونحن نتساءل : لماذا تحجب هذه الأسماء العظيمة من القمم الشوامخ الحقيقية ولا تقدم للشباب ليعرف حقيقة البطولة : . ولماذا تتجاهلها الصحافة

بينما تعنى هذه الأسماء من المضحكين والتافهين والذين عاشوا حياتهم على
موائد الضلال ، والذين كانوا في الحقيقة عاملين على هدم كل قيم الخير
والهدى والرشاد والرجولة في نفوس الأجيال : : والذين لم يقدموا لهذه
الأمة إلا كل ما أراد النفوذ الأجنبي أن يذيعه من تفاهات ترمى إلى أن ينحرف
هذا الشباب عن الجادة : : ويحيد عن الصواب ؟ ! !

يا قوم : : إن القمم الشوامخ ، والعمالة في هذه الأمة لها مقاييس حقيقية
ولا يمكن أن تدخل تحتها هذه الأسماء من الأقزام والتافهين والمضللين . . إن
مقاييسنا مستمدة من مفهومنا الإسلامي الأصيل : : وليس من مقاييس التغريب
والغزو الثقافي

إن لدينا تفصيلات كثيرة في هذا المجال عن تاريخ هؤلاء الشوامخ
الزائفين : : ولكن القلم يعف عنها : : والحر تكفيه الإشارة :

* * *

الفصل العاشر

خلفاء طه حسين وغللمان المستشرقين

زكى نجيب محمود - توفيق الحكيم - حسين فوزى

كان السؤال عن مخططات التغريب والغزو الثقافى فى هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، وافتتاح كل خيوط المؤامرة التى جند لها عدد كبير من التغريبين بقيادة (المعلم) طه حسين . . ثم تحطم كل هذه المخططات قبل رحيله . . والحقيقة أن النفوذ الأجنبى قد غير جلد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً بقيادات جديدة . . بعد أن هلك هذا التغريبى الكبير ، ووضح أمر ذلك فى عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ . . منها عقد مؤتمر ثقافى مغلق فى الكويت ضم مجموعة من أتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، وأتباع الفلسفة المادية . . وكان على رأسهم (زكى نجيب محمود) . . و (محمد النوبى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذى كان يمر فى السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار . . وكذلك كلف المستشرق (جاك بيرك) بالطواف فى البلاد العربية ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين فى محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت تماماً نتيجة للأبحاث التى كشفت دخيلته . . وخاصة ما كتبه شاكر ومحمد نجيب البهيتى ، وكاتب هذه السطور . . كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام فى عهد هيكل أن تجمع فى نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذى وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . . وحسين فوزى الذى تنكر لعروبتة . . واعتز بفرعونيته . . ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . . ونجيب محفوظ . . الذى عرف بتلمذته لزعيم التغريب . . وهى ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أن أضيف إليهم أنيس منصور ، ويوسف إدريس .

وقد بدأ في السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكي نجيب محمود كقائد لهذه الكتبية التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر في التراث الإسلامي (وأسماء العربي) في محاولة لخداع البسطاء ، ولتغطية ماض طويل في الفكر الماسدي كانت قمته كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى صريح اتهام مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام بأنه خرافة . : وانكار كل ما سوى المحسوس ، والمعقول . : متابعة في ذلك للمذهب الفلسفى الذى اعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوروبياً مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ، ويفاخر بأنه يمثل مدرسته . . وفي طريق كسب الأنصار والتقرب إلى الشباب الواعى المثقف يتحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن الإيمان بالله : وعن الإيمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث الإسلامى : الغزالي وغيره . : وذلك كله محاولة لإلقاء حاجز بين الماضى والحاضر . : وإحراز الثقة التى تمكنه من بث مفاهيمه وآرائه . : ونحن لا نهم أحداً فى عقيدته . ولا نتعقب العورات ، ولا نلتقط ما تنكشف عنه السرائر من وراء الوعى . : ولكننا نقرر بداءة بأن المنهج الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة . . وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التى يثيرها فى كل كتاباته . : وهى مسألة العقل والعقلانية ، فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . : وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً فى ضوء الوحي . : والعقل فى الإسلام مناط التكليف . . ولكنه ليس حكماً على كل شيء . : ذلك لأن العقل أداة تصلح إذا صلح تكوينها . : وتفسد إذا فسد تكوينها . : وهى إن اهتمت بالوحي أضاءت وأشرقت عليها أنوار الفهم . . أما إذا اهتمت بالفكر البشرى . : فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل شر ، ولكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود . : نظرية مادية صرفة ، ومرفوضة تماماً . : وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبين يعترفون من التراث بالجانب الخاص بالمعتزلة . : فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرافاً فى مفاهيم الفكر الإسلامى . : فالمعتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام

الجامع المتكامل بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة . .
وأعلوا مفهوم العقل : . فأنحرفوا وتحطموا وحكمت عليهم الأمة كلها بأنهم
خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا
الخلفاء على المسلمين والعلماء : . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام
أحمد بن حنبل ، وأعاد للإسلام مفهومه الأصيل الجامع :

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعاة إلى التصوف كمنطلق وحيد
لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها : . ولقد كان
هوى زكي نجيب محمّد في دراساته لثقافت مع ذلك المفهوم العقلافي الذي
انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذي استمد مادته من الفلسفات
اليونانية الوثنية المادية ، والإلحادية الإباحية التي غامت سماتها على الفكر
الإسلامي ، ثم انقضت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآني الأصيل .

* * *

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكي نجيب محمود للألوهية مفهوم ناقص
وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذي أورده في مقاله في الهلال) .
أقصد مرت البشرية بمراحل كثيرة في فهم الألوهية ناقصة ومنحرفة . .
وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق : . فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد
تلك المفاهيم بعد مرور أربعة عشر قرناً على نزول دعوة التوحيد الخالص
إن الذي يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين : . هو مفهوم الله
الحق : . لا مفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو المعددون ، أو المشركون
الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصرفاً للأموال كلها . .
وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعو إليها وهي :
(إسلام الوجه لله) :

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذي كتب عنه الدكتور زكي نجيب
محمود : . فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام : . ولعل من
أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون في الآلهة ، ومحاولة تفسيره
بمفهوم الإسلام : . مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك : . بل إن القرآن
الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية
والوثنية والعنوصية : . لنقصها وقصورها : . وبخاصة ما ادعاه هؤلاء من

أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات . . . وأن المسألة مخالدة . . . إلى غير ذلك من تلك التفاهات . . . بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحققة ؟ ! ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشري ونقصه . . . وكيف أنها منحرفة . . . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس . . . » .

وإن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً . . . وإن له نهاية كما كانت له بداية . . . وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة بعد لحظة . . . ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفة هراء .

والمسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحققة (الله رب العالمين) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود ، وربهم وحدهم . . . وقال الآخرون : بأن الله ولد . . . وكذبوا : « ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . . . »

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملاً إلا في الإسلام وحده . . . مفهوم إسلام الوجه لله : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

ولقد حاول الفكر البشري أن يزيّف مفهوم الألوهية الحققة . . . وأخطأت الماسونية حين قالت : (المهندس الأعظم) وهناك انحرافات الباطنية ، والمسادين ، والوجوديين ، ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذي عرف عن كثيرين . . . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . . . والحقبة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى . . . ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود . . . بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ، ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى . . . الإيمان بشريعته .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود لا يلبث أن ينقص من شأن هذه الشريعة ويصفها بأنها قاصرة ومجافية للعصر ، ويطالب بتخطيها في سبيل تحقيق المعاصرة . . . وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها ومرها . . . وما يحمد منها وما يعاب) فما عرف عنه أنه

دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلاً دون أسلوب العيش : . ولكنه يدعو إلى شيء غريب : . هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة : . وهو ادعاء باطل وظالم : . فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذي وضع منهجاً للحياة والاجتماع غاية في الأحكام : . تجربته الشعوب والأمم ألف عام : . فأقام لها حياة الرحمة والعدل والإخاء البشري : . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة : . إنها لا تمتلك منهج حياة : . وكيف يقبل وهو العقلاني الحصري هذا المنهج الذي يعيشه الغرب : . سواء الغرب اللبرالي : . أم الماركسي ، في ذلك الخضم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات ، والانحراف والتحلل والغربة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء : . وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربي : . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلاجوستين) ودمغ به حضارة الغرب التي يكبرها زكي نجيب محمود ، وحسين فوزي ، وتوفيق الحكيم .. ويشيدون بها : . ويغوصون بأقلامهم في تلك الحمم من الدماء والعفن والفساد : . وهم يقولون " لا إله إلا الله " على الأقل ورائة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقي الطاهر : . الأخلاق الكريم : . الذي يرفع من قدر الإنسان : . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها في تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين ، وتنصر في بوتقة الأمية والحضارة المنهارة التي تمر بآخر مراحلها : . وهل من الأمانة أن يدعو أمتهم إلى هذا وهم روادها : . والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها : . إن مسئولية القلم وريادة الفكر هي أضخم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب .. وقد كان أولى بهم جميعاً أن يصدقوا أمتهم النصيح ، ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام مجددة في إطار " لا إله إلا الله " والأخلاق والرحمة والإخاء الإنساني ، وأن يلتمسوا أسلوب العيش الإسلامي ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً تقيماً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها ، أن الغرب بتطلع إلى ضوء جديد : . ولن يكون غير الإسلام .. وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم في سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوها لأمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا

أن هذه الأمة الكريمة على الله أعز من أن تسحق في أثون الشهوات وأن
تدمر بأيدي أبنائها ودعاتها الذين تلمع أسمائهم ، وتخدع الناس شهرتهم .
إن الدكتور زكى نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامى
ذلك الفهم الذى جعله بكرم أمثال (ابن الراوندى) ، (ومزدك) ،
(ومانى) ، (والحلاج) ، (الباطنية) ، (والشعوبية) ، (الإخوان الصفا) ،
وتلاميذهم . : كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة
مفاهيم الفكر البشرى الوثنى المسمى . : فضلا عن أن إيمانه بالعلم والعقل
وحدكما بينا مفهوما عن الإسلام يتسم بقصور شديد عن المفهوم الجامع .

والى لأسأل الدكتور زكى نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ . .
هذا هو مقطع المفاصلة بيننا وبينه . : وإذا كان يؤمن به . . فلماذا لم يعلن
فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) ، ولماذا لا يؤمن بهذا الوحى
الذى جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة . : وإذا كان الدكتور زكى نجيب
محمود قد تراجع عن (خرافة الميتافيزيقا) وغيرها من آرائه . : أليس من
الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفة بعض الناس .

إن محاولة اقتعاد مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . . فقد انتهى
ذلك العهد وصحنا الناس ، وخطط حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة . :
فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التى قدمها الآباء
العتاة الذين كانوا يستقبلون أبنائنا فى الجامعات الأوروبية وهم من اليهود
أمثال مرجليوث ، ودور كايم وغيره .

أما قول الدكتور زكى نجيب محمود : إن الثقافة الإسلامية فى العصر
العباسى قد اغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب . : فهو قول باطل . : لقد
وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والغربة لكل ما ترجم ، وأخذت
منه ما وجدته صالحاً ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . : أما ما عدا ذلك . :
فقد رفضته وشتت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعائه من طريق الفكر
الإسلامى فأطلقت عليهم اسم (المشاؤون المسلمون) إعلاناً لتبعيتهم للمشائين
اليونانيين . : ولم تقبل منهم ما جاءوا به . : وأعلن المسلمون أن منهج اليونان
أو منهج العنوصية الشرقى . : كلاهما باطل وأن للإسلام منهجا خاصا مستقلا

كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب . .
مما هو ليس مقبولا في الإسلام بحال . . كذلك فإن نظرية زكي نجيب محمود
بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربي وبين المحدد من التراث الإسلامي (وهو
ما يسميه التراث العربي استنكاراً وتجاهلاً لانتهاه الحقيقى) هذه نظرية ليست
مستحدثة . بل هى نظرية طه حسين ، وهيكىل ، والزيات . . وغيرهم . . وهى
نظرية اتضح بطلانها . . أما ما تعارفت عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم
أساس إسلامى أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام
مجتمع) وفى ضوئه يحاكم التراث كله ، والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما
يزيد هذا المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامى (عقيدة
وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكى نجيب محمود بالمواطنة مرفوضة . .
فالمسلمون على استعداد للتضحية بالتقدم المادى فى سبيل الاحتفاظ بالقيم
الأساسية التى هى فى حقيقتها ليست معوقة للتقدم المادى . . ولكنها حائلة
دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وإحلالها الذى يود هؤلاء القوم إغراق
هذه الأمة فيه . . والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

* * *

زكى نجيب محمود

القائد الجديد لكتيبة التغريب بعد سلفه الراحل طه حسين

كان لابد بعد أن رحل الدكتور طه حسين زعيم التغريب الأصيل من تعيين خليفة له . . فوقع الاختيار على الصيد الثمين . . وكأن هذا الصيد الثمين يتمثل في الدكتور زكى نجيب محمود كخليفة للصنم الذى هلك . . وتولى زكى نجيب محمود قيادة كتيبة التغريب . . وما لبث أن انكشف أمره كما انكشف أمر سلفه من قبل أمام حقائق الإسلام وأباطيل الغرب .

إن للإسلام منهج حياة جربته الأمم والشعوب أكثر من ألف عام . . فأقام لها حياة الرحمة والعدل ، وبنى لها صرح الإخاء البشرى . . ثم يحىء التغريبى العجوز زكى نجيب محمود ليقول : (إن الأمة الإسلامية لا تملك منهج حياة) ليعض بالنواجذ على منهج الغرب العفن المتآكل بإباحتهاه وانحرافات . . وتحلله وشهوائه . . وكيف يسمى الدكتور العجوز نفسه مسلماً وهو الرجل الذى استنكف أن يسمى تراثنا باسمه الحقيقى فوصفه بالتراث العربى بدلا من التراث الإسلامى استنكاراً ثم بعد ذلك يتقص من شأن الشريعة الإسلامية وينعتها بأنها قاصرة ومحافة للعصر الذى نعيش فيه كذب والله ؟ ! !

الفصل الحادى عشر

سقوط مذهب الوجودية

جرى التساؤل حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر . . وما هى وما هى الآثار التى تركتها على جبين الأدب العربى والفكر الإسلامى ؟ . .

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل . . وإن حاول هذا الشقى أن يمد من عمرها بانتمائه فى السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية . : إذ هو نصف يهودى كما كان يطلق عليه عباس العقاد . : لأن أمه يهودية . : وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حين أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين فى غزة . : فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية اليهودية وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم . ومكره هو والذين رافقوه . : ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتاباً مصريين وعرباً ما زالوا يذكرون سارتر ، ويتحدثون عنه ، ويشيدون بمذهبه . . وبما يسمونه الوجودية العربية التى قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعواناً . : وكانت كتب سارتر تظهر فى باريس بالفرنسية وفى بيروت بالعربية فى وقت واحد . : وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيتهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه (جاك بيرك) مثلاً حين قال :

(إن سارتر عقل كبير . . ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسى) . : وليس من الضرورى أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً . : ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابه من التيارات اليسارية . : ومنها الشيوعية بنوع من العقد النفسية . : ومن المؤسف أن سارتر الذى يبنى

معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . . لم يستطع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني . . فاعتبر إسرائيل (صيحة) . . وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها) . . الدعاية الصهيونية بلغت أن يقلب الحقيقة التاريخية في أوربا كلها . . إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيوني استعماراً .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر ، وكيف تبخرت مفاهيمه التي ضللت الشباب الغربي رداً من الزمن ، وكيف انقشع بريق اسمه ، فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين : الرأسمالية والشيوعية ، ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية . . ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفي مصر تقدم عبد الرحمن بدوي برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودي) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق الألماني بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوي أول فيلسوف وجودي مصري ، وقد قدم بدوي الفكر الوجودي وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوي أن اختفى وطوته الموجهة التي تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس متصلاً بقيمه الأساسية مهما بدا يوماً وله بريق أخاذ .

لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . : فقد أضفت عليه ظلاً مظلماً ما زال يلاحقه . .

وقد كان عبد الرحمن بدوي قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمحوسية . . يحياها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ، ويشيد بأمثال الرواندي والحلاج وغيرهما من الزنادقة . . وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والحلول ، وأشاد بالسهروردي وابن عربي وابن سبعين . : تلك الشخصيات الضالة التي عمل أستاذه الأول (ماسنيون) على إحيائها . . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها في الأدب العربي منذ أعاد انبعاث (إخوان الصفا) وكما

سقط الفكر الباطني سقط الفكر الوجودي وانهارت تلك الصروح على رؤوس أصحابها (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) .

وإذا كان الأدب الغربي قد عرف وجوديه كبير كمجارد ، وكامى ، وسارتر . . فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية . : أما في الفكر الإسلامي فإن محاولة زكي نجيب محمود عن المنطق الوضعي ، وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية ، وعبد الرحمن بدوي عن الفلسفة الوجودية هي محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظها الفكر الإسلامي صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص ، والإنشاء الإنساني والعدل والرحمة . . وقد ذابت محاولات إحياء الفلسفة الصوفية التي قام بها (ماسينيون) أربعين عاماً بإحياء الحلاج . . لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص . : فقد أسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفي ، والكلام ، والاعتزال ، وجعلته ركائماً حين أحييت (المنهج القرآني) الأصل حيث بدت كل محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين . : وكأنها مقدمات موقوتة انطوت صفحتها حين برز نور المفهوم القرآني : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذي واجه المشائين القدامى أمثال ابن سينا والقاراني . : وقد تكشفت نزعتهما إلى الباطنية الاسماعيلية في الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى باسمه اليوم بعض غلمان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً . : ذلك أن الحقائق التي تكشفت فردت بعض كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف . : يقول أنيس منصور : (من الضروري أن تغلت من مجاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعه حريتك . : لقد وقعنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوي . : كثيراً مما رآه كان رويته هو . : والذي وجدته شاقاً كان مشكلته هو . : والذي أحبه كان مزاجه هو . : ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التي أفزعنا منها عبد الرحمن بدوي فلم أجدها كذلك) . وهكذا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة . : بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت : لا شيء . : كل شيء عديم .

ويستطرد أنيس منصور قائلاً : سارتر الفيلسوف الوجودي الملحد كانت آخر كلماته لا شيء . . . أى لا فائدة من أى شيء . . . فهو يرى أن الوجود والعدم هما نفس القوة . . . ولهما نفس المعنى . . . فهى كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء . . . لا فائدة . . . لا معنى . . . لا هدف . . . كل شيء عدم . . . أو كل وجود عدم . . . أو كل موجود معدوم . . .

مجلة أكتوبر ٨ / ٥ / ١٩٨٠

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضياها في تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب في عشرات من الكتب التي طبع منها مئات من الألوف لتخدعهم عن الحقيقة ولتزيّف لهم الواقع ولتردهم عن التفهم الأصيل ، عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأراضي المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد ، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . . . واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفة المقابر . . . لأن سارتر يتحدث عن الموت والدمار والحراب ، والوحدة والقلق والفرع ، والخوف والغنيان والعدم ، والتصقت كل هذه المعاني السوداء في قلمه وفي خياله . . . هناك وجودية ملحدة عن سارتر وكامى وهيدجر وإسبرز وأونامونو . . . ووجودية مؤمنة عند جابرييل مارسيل ، وبرديانف ، وجاك مارتيا . . . وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التي رسمها الدين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما كانت تمثل تحدياً خاصاً مر بالشعب الفرنسى بعد سقوطه في قبضة ألمانيا إبّان الحرب . . . هذا السقوط الذي كشف كما قال زعيمه (بيتان) عن انهياره الأخلاقى العاصف . . . ولما كانت الصهيونية العالمية هي التي صنعت هذا بالثورة الفرنسية فإنها قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والدعاية لتفتح صفحة أشد عنفاً من الانهيار الخلقى والاجتماعى . . . تلك التي صنعتها فلسفة سارتر بظهور جماعات الوجوديين الذين تشكلوا في الغرف المظلمة ، والحوارى الضيقة وتحت أسطح العمارات

لمارسوا أسوأ صور الجنس ، ويعلموا احتقارهم للمجتمع : . ومنهم نشأت
بذرة (الهيبية) التي تعم الآن العالم كله .

ولقد كان أخطر ما في الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى ،
والسخرية بالأديان : . واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان ،
وأن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جلد خطير : . لأنه يضع عليه فرصة
التمتع بالأهواء ، والتمرغ في الشهوات : . فالوجودى لا يؤمن بوجود الله
(تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقى يسود على الإنسانية : . الإنسان عندهم
حر وممثل أمام نفسه فحسب : . لا أمام الله : . وهكذا نجد سارتر يدعو
إلى الحرية المطلقة من كل قيد ! !

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار ، التي قالت لنساء
مصر في صراحة تامة : نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة
زوجية محررة من (العقد الشرعى) كحياتها هي مع سارتر : . ولقد كشفت
إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر في الفترة الأخيرة خفايا
كثيرة في هذه الزيارة اللعينة : . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون
كان رجلاً يهودياً (كلود لانزمان) وهو الذى وجه الزيارة على النحو الذى
أرادته الصهيونية : . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير
بالغ كان موضع دهشته هو أساساً : . وذلك مثلاً حين كتب أحد الشيوعيين
مقالاً عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها : (أنا ضمير
العصر كله ؟ ! : أنا لست حتى ضمير نفسى) ثم يطلب ضاحكاً من لانزمان
أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب !

وتقول الكاتبة : (لقد سمع ورأى : . ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى) .
لقد كان استقبالنا لسارتر أشبه بمظاهرة : . وكان كلامنا معه أشبه
بالصدى في وادٍ مهجور : . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة
في قيادته إلى أهدافها : . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيونى المغلف
بطبقة مزيفة من الفكر التقدمى للتضليل : . دسسته على سيمون في وقت كان
فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية : . فاستطاعت سيمون بتأثير
من (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها
منوماً أو كالمنوم : . فأنهر بما قدم إليه فترة : . قبل أن يعود إلى قواعده

سالمًا . : وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زيارته ليسمعه صوت (هرترزل) واضحاً مجلجلاً وهو يهمس به إليه .

كان هذا في مارس عام ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . : فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جبرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها :

(إن قبولى لهذه الدرجة العلمية التي أئشرف بها له مدلول سياسي . : فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها) .

هذا سارتر الذي كتب (المسألة اليهودية) وهو الذي زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذي شارك في المظاهرات ، ووقع على البيانات المؤيدة لإسرائيل . . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية ، وهو الذي رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل . :

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب عام ١٩٦٧ ببضعة شهور . : وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو عام ١٩٦٧ فسارع سارتر ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب . : ولكن إسرائيل بدأت الهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت . : فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه إلا بعد أن اشتعل أوار النضال الفلسطيني بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوروبية . .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . : لأن دعوته هي نوع من هوى النفس . . وهي مواجهة لتحد عاشه في عصره . : ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التي تكون اليوم استجابة لوضع معين . : فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . : ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً أو مستمراً . : وهكذا كل الأيدولوجيات البشرية التي صنعها الفلاسفة . : وظنوا أنهم قد استطاعوا حل مشاكل عصرهم . : ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل العصور والبيئات . : ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله) .

الفصل الثاني عشر

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

لويس عوض

ما تزال المؤامرة على الفصحى لغة القرآن مستمرة منذ قدم النفوذ الأجنبي إلى العالم الإسلامى وحاول السيطرة عليه ومنذ ذلك الوقت ما تزال المعاول تضرب في جدار اللغة العربية بهدف إدخال اللغة العربية إلى المتاحف كما دخلت اللغات اليونانية والسريانية والفرعونية وعشرات من اللغات ، ولكن هيات فإن اللغة العربية الفصحى خالدة باقية لأنها تحمل على جناحها آيات القرآن الكريم التي لا تزول .

هذه المؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي وتحاول أن تعتمد على بعض النصوص التي وردت في كتابات الباحثين المسلمين في فترة من الفترات التي غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذي نراه في كتابات المعترزة عن قصة خلق القرآن على النحو الذي كتبه القاضي عبد الجبار أو من تأثر بالمفاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء أمثال أبي العلاء المعري ، ثم يجيء اليوم بعض الباحثين ليستخدم هذه النصوص في الغرض من شأن اللغة العربية أو الادعاء عليها بدعوى مختلفة يراد بها نقاصها ونقص شرفها في حمل آيات القرآن إلى العالمين .

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانية وترجمتها إلى اللغة العربية وتأثيراتها ليست قضية مستقلة ، وإنما هي موجهة من موجات هذا الفكر قد واجهها العلماء المسلمون بالرد الواضح الذي زيف هذه الآثار التي لبستها بعض أقلام الفلاسفة أو الكتاب أو الشعراء .

وقد كان واضحاً وضوحاً لا شك فيه أن علوم فقه اللغة والنحو والتاريخ قد نشأت وترعرعت وتكاملت مفهومها الإسلامى قبل ترجمة الآثار اليونانية وهى علوم عربية أصيلة ، لم تتأثر بالفكر اليونانى وإنما الذى تأثر هو علم الكلام والبلاغة وهى تأثيرات لم تستمر كثيراً ، فإن المحاولات التى حاول بعض الباحثين التأثير بها على المضامين العربية قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الجسد القوى الجسم الغريب ، ولذلك فإنه سرعان ما ارتفعت صيحة الأصالة التى حررت الفكر الإسلامى كله من هذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة الجامعة الذى استصنى وصهر فى أعماقه كل إيجابيات فرق المعتزلة والشيعة والخوارج ، ولم تبق هذه الكتابات لا بمثابة وثائق تاريخية ولكن التغريب والاستشراق يحاول أن يعيد هذه القضايا الجزئية خارجة عن إطارها فى المعركة العامة بين الفلسفات اليونانية وبين أصالة الإسلام التى ردت كل ما يتعارض مع التوحيد الخالص ، وقضية خلق القرآن ، هى إحدى القضايا التى جرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأى فيها إلى مفهوم أهل السنة وهى أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وإن كتابات أمثال القاضى عبد الجبار فى هذا المعنى ليست إلا جزء من هذه القضية التى انتهت والتى كانت تمثل تلك المحاولات التى حاولها قدامة بن جعفر فى البلاغة أو الفارابى وابن سينا فى الفلسفة أو ابن عربى والحلاج ، والسهروردى فى التصوف ووحدة الوجود ، كل هذا رده الفكر الإسلامى الأصيل وكشف زيفه وتأثره بالفلسفات اليونانية وقد تعالت هذه الصيحة إلى تحرير الفكر الإسلامى من آثار الإغريق والمجوسية وغيرها فى عشرات من الدراسات والأبحاث التى قطعت معها جبهة قول كل شعوبى فى القديم والحديث ،

تاريخ متصل فى الطعن على اللغة :

ومن هنا فإن هذه المحاولة التى يقدمها الدكتور لويس عوض فى كتابه : (مقدمة فى فقه اللغة العربية) ليست إلا حلقة جديدة من حلقات حربه المتصلة للغة العربية الفصحى التى بدأها منذ ظهور ديوانه (بلوتولاند) الذى طبعه عام ١٩٤٧ وأعلن فيه الحرب على الفصحى وما يتصل بذلك من دعوته إلى

العامية وكسر عامود الشعر ، وقد ادعى من قبل أن استخدام العامية سيؤدى بعد قرنين إلى ترجمة القرآن إلى العامية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض في كتابه الجديد الدخول إلى هذا الموضوع بأسلوب جديد ومن ذلك دعاوى زائفة منها دعواه العريضة بأن العرب لم يكونوا إلا قوماً من القوقاز هاجروا إلى الجزيرة العربية وقد ادعى هذه الدعوى المعارضة لطبائع الأشياء ومختلف صور الهجرات التي ترى أن المهاجرين يخرجون من الأرض الجافة إلى الأرض الخصبة ، وأن الصحيح الذى ثبت أن الجزيرة العربية هى التى كانت منزحاً لهجرات كثيرة منها إلى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضارة من أجل أن يصل إلى غرض بعيد المدى هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست إلا فرعاً من فروع الشجرة التى خرجت منها المجموعة الهندية الأوروبية وأن هناك من الأدلة ما يشير إلى وجود علاقة بين العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة .

وبدلاً من أن يقال : إن اللغة العربية قد دخلت إليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الأجنبية يجيء الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأى الخطير الذى لم يقدم له أى دليل علمى أو تاريخى أو حتى مجرد افتراض افترضه باحث قبله فهو يحاول إلقاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهده البحث فى العلماء الذين يقدمون بين يدى أبحاثهم بالوثائق والأسانيد ويقول فى جرة غريبة :

(وقد انتهيت من أبحاثى إلى أن اللغة العربية هى إحدى فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية) ، ثم يصل بعد أن يعتبر اللغات اليونانية فرعاً من هذه الشجرة ، واللغات العامية فرعاً آخر ، إلى القول : فالأمر إذن يتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الألفاظ أو آلاف الألفاظ من اللغات الهندية الأوروبية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من ألفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لأن اللغة كغيرها من اللغات السامية ليست فى صلبها وسمتها الأصلى إلا تطوراً طبيعياً من نفس الجذور التى خرجت منها السنسكريتية وإيرانية الزند واليونانية واللاتينية والمجموعة التوتونية وأن ما نجده من أسماء الأعداد والحيوانات

والنباتات مشتركة في الجذور يشته في أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثر والتأثير وإنما نتيجة لوحدة في الأصول .

ولا ريب أن هذه النظرية مرفوضة أساساً لأنها لا تقوم على أى دليل علمي ولا سند واضح وأنها ليست سوى فرضية تحيطها كلمات الاحتمال المغرض الذى يطوى من ورائه غرضاً مبيتاً وهدفاً مقصوداً لا يخرج عن الخط الذى سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته .

ولقد ترددت محاولات الدكتور لويس عوض بين امتعاض اللغة العربية والغض من قدرها أو محاكمتها إلى منهج علم اللغات الغربى الذى وضع تحت ضوء تطور اللغات الأوروبية بعد انفصالها عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية إلى لغات ، هذه الظاهرة التى تختلف فيها عن اللغة العربية التى حماها القرآن من التحول إلى لغة تاريخية كما تطمح أهواء الاستشراق ، وكما جرت المحاولات المتعددة لإعلاء العاميات العربية للقضاء عليها دون جدوى . إن محاولة إخضاع اللغة العربية لعلم اللغات الأوربي هى محاولة فاسدة ومضللة . وإذا كان الدكتور لويس عوض يحاول أن يغض من شأن العرب واللغة العربية لأنها من نتاج الألف الأولى قبل الميلاد وقد سبقها أُم وحضارات كآشور ، وبابل ، والبطالسة ، ويونان ، ومملكة سبأ ، ومعين ، وفينيقياً فأين هى الآن هذه الأمم كلها من العرب الذين خلدهم مسكهم باللغة العربية التى اتخذها القرآن الكريم أداة له وهى اللغة التى لم يقل العرب والمسلمون يوماً بأنها مقدسة وإنما كرمها نزول القرآن بها وأعطاهها هذه الميزة ، التى تعلو فيها وتختلف عن اللغات التى نزلت بها التوراة (العبرانية) والإنجيل (الإرامية) وهى لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة الصهيونية إحياء لغة جديدة عبرية تختلف عن لغة التوراة .

والدكتور لويس عوض يعرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التى كانت تعيش في هذه المنطقة كالإرامية والقبطية وغيرها ، وكيف قطع القرآن الامتداد التاريخي في هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنة وبين ظهور الإسلام ، وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية هذا

الانقطاع التاريخي الذي تحدث عنه المؤرخون المنصفون غير ذوى الأغراض والأهواء .

والدكتور لويس عوض يعرف أن هذه (السامية) المدعاة هي زيف من الزيف ، وأنها ليست حقيقة تاريخية ، وإنما هي من مبتكرات أحد المنزلقين إلى اليهود حتى تنسب إليها أمجاد التاريخ العربي القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصة إسماعيل بن إبراهيم وأبناءه وأحفاده وإضافة ذلك كله إلى مصدر غامض ليس له سند علمي ويستمد مصدره الأساسى من التوراة التى كتبها اليهود بأيديهم وليست التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهدف إشراك اليهود مع العرب فى هذه الأمجاد بينما لا يوجد لليهود أى اتصال بإنشاء هذه الحضارة :

ذلك أن (الإبراهيمية الخنيفة) هي أم هذه الحضارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هو طمس هذه الحقيقة فقد ابتكر شلوسر هذه الدعوى (السامية) اعتماداً على ما جاء فى التوراة المكتوبة بأقلام الأخبار فى بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقاً فى كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ وهذا (شلوسر) الذى اتكأ عليه الدكتور لويس عوض فى دعواه وهو موضع الشبهة نتيجة لهذه الخطوة الواضحة الهدف :

وقد برز هذا المعنى فى ظل تقسيم مستحدث ظهر فى أوروبا أبان استعلاء نزعة العنصرية الأوروبية التى قسمت العالم إلى ساميين وآريين لتضع العرب والمسلمين فى قائمة موازية للجنس الآرى غير أن المحاولة التى رمت إلى ترويع مصطلح السامية فى دراسات اللغات فى الجامعات إنما كان برى إلى حجب الإبراهيمية الخنيفة الأم الحقيقية للعرب والعربية وهى محاولة مأكرة خطيرة تهدف إلى نسبة أمجاد التاريخ الإسلامى إلى اسم قديم لا يعرف التاريخ له مصدراً واضحاً أو صحيحاً وهو السامية .

والغربيون يعرفون أن التوراة التى فى أيدي الناس اليوم هي توراة مكتوبة بأيدي الأخبار ، وقد تطور الفكر الاستشراقى مرحلة أخرى هي التى يقدمها لنا اليوم الدكتور لويس عوض بدعواه أن اللغة العربية فرع من شجرة واحدة مع اللغات اليونانية :

يقول الدكتور لويس عوض : (القضية التي حاولت طرحها وإثباتها في هذا الكتاب هي أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التي تفرعت منها المجموعة الهندية الأوروبية حتى قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازي إلى شبه الجزيرة التي تحمل الآن اسمهم وبالتالي فإن ما نجد من عناصر غير هندية أوروبية هو الدخيل وليس صلب الأصلا ب) .

وهذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لا دليل له ، ترمى إلى ما ذكره الدكتور لويس عوض بعد ذلك بقليل وهو الغرض من شأن مكانة اللغة العربية ، والقول : بأنها واحدة من اللغات التي نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن إعجاز القرآن لا يعدو أن يكون في صرف الله قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله وهو ما كان يقول به فريق من المعتزلة ومن أجل ذلك ركز على كتاب القاضي عبد الجبار . وقد التقط الدكتور لويس عوض بعض عبارات من كتبه فقه اللغة (المزهري للسيوطي ، والألفاظ والحروف للقاربي الجوهري ، والخصائص لابن جني) ليثير بها الشبهات حول إعجاز القرآن ، وهاجم الدكتور لويس عوض ما أسماه تطرف الإحساس بشرف اللغة العربية وعلوها على غيرها من اللغات بعد العربية نظرهم إلى شيء بخس ينبغي أن تنزه عنه اللغة أو عورة ينبغي - الاعتذار عنها .

ولا يهدف من هذا القول غير الإلحاح بالإشارة إلى إزالة مكانة اللغة العربية (بوصفها لغة القرآن) ومحاولة هدم مكانتها بالنقل من الكتب بعض النصوص المثيرة التي تؤيد وجهة نظره ، أو الاستعانة برأي القائلين بخلق القرآن والتشكيك في قدم اللغة العربية أو مكانتها لأن هذه مكانة تشترك فيها مع كل اللغات التي نزلت بها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أن القاضي عبد الجبار ومفاهيمه كلها داخلة في دائرة الفلسفة اليونانية وأنها تقلل من فكرة تقبل الألفاظ المستعارة من اللغات الأخرى ، ولقد كان المسلمون على خطة تختلف بل وتتعارض مع رأي القاضي عبد الجبار ، فقد كافحوا هذا التدخل وصنعوا الألفاظ العربية لكل المفاهيم التي قلدتها العلوم المترجمة ، وكشفوا عن أن هذه الألفاظ الأعجمية المدعاة في القرآن (مثل سندس واستبرق وسجبل) هي كلمات عربية الأصل .

بل أن الدكتور لويس عوض يريد أن يعلى من شأن القاضي عبد الجبار على الإمام الشافعي صاحب الصيحة الأولى في رد المسلمين عن الفكر اليوناني المستمد من علم الأصنام ، ويعترض على قول الإمام في : إنه يقرر أنه حينما يجد لفظين متشابهين في اللغة العربية وفي لغة أجنبية ، أن اللغة الأجنبية هي التي أخذت من العربية وليس العكس لأن الناقص يأخذ من الكامل ويشكك الدكتور لويس عوض في رأى الإمام الشافعي بأن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ويقول : إن هذا الموقف ينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم دلالتها بين الحضارات القديمة .

وفي ثنايا البحث يدس الدكتور لويس عوض كثيراً من السموم فهو يعتمد على كتاب (الخوارج والشيعة) ليوليوس فلهاوزن في الوصول إلى القول : بأن القول بشرف اللغة العربية هو مصدر الخلاف الذي نتجت عنه فرقتا الخوارج والشيعة ، وأن دعاة السيادة العربية هم الذين كانوا حريصين أشد الحرص على إثبات نقاء القرآن من كل كلمة أعجمية ، أما الشعوبيون فقد حرصوا على أن يثبتوا أن القرآن قد داخلته ألفاظ أعجمية عديدة ولا شك أن هذا ادعاء غير صحيح ، فإن نظرية الموالي التي ركز عليها لم تكن على هذا النحو الذي ضخمه المستشرقون ، أن أبناء الأقطار المفتوحة كانوا أشد اعتزازاً بالقرآن وباللغة العربية من أهلها العرب وأن الأمور لم تكن على هذا النحو من أنحاء الخلاف بين الحاكمين العرب في عهد الدولة الأموية والمحكومين من كافة المسلمين .

علماء لا رجال دين :

كذلك فقد أخطأ الدكتور لويس عوض عندما وصف الحكومة بأنها حكومة (تيوقراطية) على نحو الحكومة الدينية التي عرفتها أوربا ، وهذا النوع لم يعرفه العالم الإسلامي ولا يقره مفهوم الإسلام الصحيح فليس في الإسلام أساساً رجل دين وإنما هناك عالم دين لا يعدو مكانه في توجيه الحاكم والنصح له .

ويحاول الدكتور لويس عوض أن يقدم نصاً من رسالة الغفران للمعري بسخر فيه من أن اللغة العربية هي لغة الجنة ، وأن آدم كان يتكلمها في الجنة

فلما نزل إلى الأرض تكلم بالسريانية ، ونحن نعرف أن المعري كان من ضحايا الفلسفة اليونانية وأنه تردد كثيراً بين هذه المفاهيم الزائفة .

ولا ريب أن فكرة خلق القرآن هذه فكرة دخيلة على الفكر الإسلامى ، وأن هناك من كان يقول بخلق التوراة ، وإنها جاءت مع سموم الفكر اليونانى وقد صفت حركة اليقظة الإسلامية هذه المفاهيم جميعاً ولقد كان مفهوم أهل السنة والجماعة الذى قال به الإمام أحمد بن حنبل : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يقل : بقدوم القرآن ، وإن المفهوم العقلانى المطلق الذى ذهب إليه المعتزلة لم يكن مفهوم الإسلام الصحيح وهذا ما صححه من بعد ظهور الإمام الأشعرى ومن العيب الذى وقع فيه الدكتور لويس عوض ومن قبله الدكتور زكى نجيب محمود ، هو التقاط (شبهات) من خلال معركة طويلة استمرت قرنين كاملين لطرحها من جديد اليوم وبلبلة الأفكار بها ولقد كان حقاً على الباحثين المنصفين أن يتحدثوا عن هذه القضايا فى إطار عصرها وأن يكشفوا الحقيقة التى انتهت إليها وهى سقوط مذهب الشعوبية كاملاً واستصفاء السنة الجامعة لكل ما هو إيجابى من هذه المذاهب والفرق وليعلم هؤلاء إن محاولة إعادة بث هذه الشبهات من جديد لليل من شأن القرآن أو اللغة العربية هو عمل مكشوف مفضوح قد تنبه إليه المثقفون المسلمون فلم يعد يخدعهم وأنه لمن المؤسف حقاً أن يعتمد الدكتور لويس عوض فى إثارة هذه القضية الكبرى على مصدر غربى مشهور هو (شلوسر) ومصدر إسلامى له وجهة نظر جزئية هو القاضى عبد الجبار فى إثارة مثل هذه القضايا وما أظن هذه الإثارات ببالغه شيئاً ولن تحدث من الدوى والإثارة ما أحدثته كتابات طه حسين على عبد الرازق من قبل ، فقد مضى ذلك العهد وانقضى مذاهب الاستشراق ودعاواه وتساقطت أهواؤه وسمومه فلم يعد يخدع بها أحد .

* * *

البابُ الثاني

كتاب العصر

الفصل الأول : جيل الرواد .

الفصل الثاني : كتاب لبنان المارون .

الفصل الثالث : الفن والمسرح .

الفصل الرابع : دعاة التغريب .

الفصل الأول

جيل الرواد

- ١- رفاعة الطهطاوى .
- ٢- لطفى السيد .
- ٣- على عبد الرازق .
- ٤- أمين الخولى .
- ٥- حسين فوزى .
- ٦- عباس محمود العقاد .
- ٧- محمد حسين هيكل .
- ٨- طه حسين .

رفاعة الطهطاوى

كان رفاعة الطهطاوى إمام البعثة المدنية التى أوفدها محمد على إلى باريس عام ١٨٢٦ وهو تلميذ حسن العطار ، وخريج الأزهر الذى أمضى ست سنوات فى باريس وشهد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠ وتعلم الفرنسية ، وكانت له أعمال نافعة بعد عودته مثل إنشاء مدرسة الألسن ، وتولى رئاسة تحرير الوقائع المصرية عام ١٨٤٢ ، كما رأس مجلة روضة المدارس - عام ١٨٧٠ م .

وله كتاباه الخطيران :

تخليص الإبريز فى تلخيص بارز .

مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية .

ودعوة رفاعة الطهطاوى لها عوامل إيجابية وعوامل سلبية ، فلا شك أن الدور الذى قام به وأصحابه وتلاميذه فى ترجمة الفكر العلمى الغربى كان عملاً نافعاً لا شك فيه ولكن مجموعة آرائه لم تكن الفكرة الإسلامية فيها واضحة بل ربما شابها لون من الإقليمية من ناحية والانحياز بالفكر الغربى من ناحية أخرى ذلك أن محمد على كان قد حمل فى هذه الفترة لواء الإقليمية المصرية فى مواجهة الدولة العثمانية ، كما كان للفرنسيين الذين خرجوا من بعد الحملة الفرنسية مهزومين من مصر ، وقد عادوا مرة أخرى مؤازرين له فى بناء الدولة ، أبعد الأثر فى ذلك الاتجاه المضطرب الذى عرف به رفاعة الطهطاوى .

إن رفاعة لم يستطع أن يتعمق الفكر الغربى ولم يتبين انحرافه وفساده ، فقد خلد إذ ظن أنه هو الفكر الإسلامى مترجماً ، وهو كذلك من بعض جوانبه

(وربما في القانون الذي أخذته نابليون من مذهب مالك) ولكن الغربيين
أنضموا لأوهامهم وأدخلوا إليه إباحة الربا والزنا ، فكانت نظرة رفاة
لهذا مضطربة أو مهومة ، أو لم يستطع أن يستبين الفوارق العميقة بين الشريعة
الإسلامية وبين قانون نابليون .

ولذلك فقد وقع في أخطاء كثيرة منها تنازلاته بالنسبة للهجة العامة
على حساب الفصحى ، وعبارة حب الوطن من الإيمان (وكان الوطن
في مفهوم الإسلام) هو الوطن الإسلامي كله وليس مصر وحدها ، كذلك
فقد كانت ترجماته للفكر الغربي مطلقة وكان يجب أن تحاط بسياج واضح
من التعريف والتحذير ، ومعرفة الوجهة وبالفروق الواضح بينه وبين الفكر
الإسلامي . بل لقد ذهب رفاة إلى أبعد من ذلك حين ترجم كتاباً عن مصر
الفرعونية وحاول أن يؤلف عن مصر قبل الفتح الإسلامي . وقد عرفت
له كتابات وقصائد وقد امتلأت بمشاعر الفخر بأجداد قدماء المصريين ،
ولا ندرى لماذا ضيق رفاة النظرة الإسلامية الرحبة في ذلك الوقت إلا إرضاء
لمحمد علي الذي كان على خلاف مع الدولة العثمانية ، أو ربما إرضاء
لأساتذته من مستشرقى فرنسا وبذلك يكون من أوائل من تأثر بمنهج الاستشراق .

وقد كانت هذه الدعوى التي حمل لواءها مقدمة لما قام به (محمد عثمان
جلال) من ترجمة القصص الفرنسية إلى العامية المصرية ، وظهور السورين
مترجمي القصص الفرنسية الجنسية وروز طابع العامية المصرية مختلطاً بالقصص
الهابطة (وإن كان رفاة الطهطاوي قد حافظ على مفهوم الترجمة الأصل
في نوعيته وأسلوبه ، ولكن النفوذ الأجنبي استطاع استخدام هذه الخيوط
الدقيقة لتحريك دعوته وتنمية فكرته التغريبية ، في الدعوة إلى العامية ،
وإلى الإقليمية ، وإلى استغلال رفاة في إبراز ما يسمونه عظمة الحضارة
العربية ، ثم تردت حركة العامية فيما بعد على نحو خطير بدعوة وليكوكس ،
ولطفي السيد ولكن حركة البارودي كانت عاملاً هاماً في العودة إلى الأصالة
ثم جاء كامل كيلاني ، والمراوي ، والرافعي حماة الفصحى في السنوات
الأولى للحملة الضارية وفي الحقيقة أنه ليس هناك أي وجه للمقارنة بين
الطهطاوي والأفغاني ، فقد كان الأفغاني داعية الوحدة الإسلامية وإحياء

القرآن كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وكان منادياً بالتنظيمات السياسية : من
نيابية وجمهورية في نطاق الإسلام ، أما رفاعة فإن الأمر يختلف وهناك فارق
بعيد وليس هناك أى خيط يمكن أن يقال : أنه يربط بين رفاعة والأفغانى
إلا الضدية ، فهذه دعوة إسلامية خالصة وهذه إقليمية علمانية ، أما رفاعة
فهو أستاذ للطبق السيد ، وطه حسين ، وسلامة موسى . : نعم ، إن تنبيه
الذهن الذى قام به رفاعة الطهطاوى لم يكن نحو الأصالة ولكن كان نحو
التبعية ، نحو الخط الذى اتسع من بعد ، هذا الاتجاه الذى أعلن طه حسين
أنه تجاوز طريق محمد عبده وأسلوبه فى الإصلاح إلى التغريب الواضح الصريح ،
من الحق أن يكون طريق رفاعة هو طريق سعد زغلول أو طريق لطفي السيد
ولكنه ليس طريق الأصالة .

لقد استطاع التغريبيون والماركسيون اتخاذ رفاعة قنطرة إلى دعوهم
المضاللة تحت اسم التقدمية والعصرية والعلمانية ولكن الواقع أن رفاعة لم يكن
متمكراً أصيلاً إلا فى بعض المجالات الفرعية كالتعليم والترجمة ، أما كمفكر
فقد كانت نظريته العامة مشوبة بروح الانبهار بالغرب .

* * *

(٢)

لطفي السيد

(التغريب)

يسمونه أستاذ الجيل : ذلك الجيل الذي كونه كرومر واختاره ليرأس تحرير صحافة التغريب (الجريدة) الذي كان لسان حزب الأمة : حزب التبعية الفكرية والسياسية للنموذ الأجنبي ، دعا لطفي السيد إلى أمور :

أولاً : إقامة الوطنية على أساس المنفعة والمصلحة والتفكير تفكيراً مادياً . نزع صفة القداسة في الوطنية التي حاول مصطفى كامل أن يغرستها في قلوب الناشئة والمواطنين والنظر إلى الوطن نظرة مادية خالصة .

ثانياً : تأييد الاتجاه البريطاني الذي حمل له من بعد سعد زغلول وزير المعارف وهو علم تعلم العلوم باللغة العربية وتعليمها باللغات الأجنبية بحجة اشتباه مصالح الأمة ومعاملاتها مع الأجانب وضعف التلاميذ في اللغة الإنجليزية .

ثالثاً : مقاومة تعليم سواد الأمة ومعارضة الاتجاه إلى المحانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تحكم البلاد وهو تأييد للاتجاه الاستعماري .

رابعاً : تمجيد مزايا السياسة البريطانية ومدح كرومر واعتباره رجلاً من أعظم الرجال ليس له ند يضارعه في عظام الأعمال ، ومحاسنه المحتل والدعوة إلى التعجيل .

خامساً : معاوضة الدعوتين إلى العروبة وإلى الوحدة الإسلامية الحركة التي قامت لمعاونة طرابلس الغرب عندما احتلتها إيطاليا عام ١٩١١ م .

سادساً : مؤامرة خطة ولكوكس في تمصير اللغة العربية والتقرب من العامية والتقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى .

وقد كانت دعوة لطفي السيد تمهيداً للنظام السياسي الذي حكم بعد الحرب العالمية الأولى والذي تمثل في حزب الوفد من ناحية وفي حزب الأحرار الدستوريين بمعنى أن هذه الأحزاب كانت تتحرك في دائرة الولاء للنفوذ الأجنبي ، ودون الاختلاف معه أو معارضته في الأمر الأول وهو بقاء الاحتلال مع التبعية الكاملة للفكر الليبرالي الغربي وكان سعد زغلول من أكبر زعماء هذا الاتجاه الذي صنعه كرومر . وقد قام حزب الأمة على الإقطاعيين ووقف موقف المهادنة مع الإنجليز وتحول إلى العمل السياسي بعد الحرب تحت أسماء جديدة فكان وريث ثورة عام ١٩١٩ م .

* * *

وعلى طريق حياة لطفي السيد كان عمله الذي طالما رددته مؤرخوه وهو مترجمات أرسطو التي ترجمت من الفرنسية :

(الأخلاق - السياسة - الكون والفساد) .

وهي منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها في الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة في دار الكتب المصرية (ويشهد بذلك أحد مديري دار الكتب الأستاذ أحمد عابدين) (١) .

كذلك فقد كان حامياً وحاضناً للدعوة التغريب التي نمت في الجامعة المصرية وفي كلية الآداب بالذات وقد عاش مدافعاً عن الدكتور طه حسين كلما تعرض للخطر . وقد استمرت كراهيته للعالم الإسلامي وللدعوة إلى العروبة ما بقي من حياته وأقام على مفهوم الأقليسية المصرية .

* * *

أصدر نيابة عن حزب الأمة (جريدة الجريدة) جريدة تنطق بلسان مصر و متحررة تماماً من المفهوم الإسلامي العربي الجامع ، والقصة معروفة ، فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطني إلى الالتقاء ببريطانيا في منتصف

(١) هذا الكشف عن ترجمة كتب بارتلمى سانت هيلار الفرنسية التي وصفها كل قراتها بالتعميد يدحض كلام الدكتور طه حسين الذي وصف لطفي السيد بأنه لبس له نظير في الكتابة والترجمة قال : وازعم أنه ليس بين المصريين وغير المصريين من يستطيع أن يجد له نظيراً في هذه الوجوه الثلاثة كاتباً ومفكراً أو مترجماً .

الطريق وجمع لحزب الأمة مبلغاً ضخماً من المال وكانت الجريدة إحدى الدعامتين اللتين أقام عليهما كرومر نفوذه في مصر (سعد زغلول في نظارة المعارف) ولطفي السيد في الجريدة

وقد قدم هذه النظرية الاستعمارية التغريبية في الجريدة من عام (١٩٠٧ - ١٩١٤ م) ولم يضيف إليها شيئاً من بعد حتى نهاية حياته ١٩١٥ - ١٩٦٣ بالرغم من التغيرات الخطيرة التي حدثت خلال حربين عالميتين وهي فترة تقل قليلاً عن خمسين عاماً ولقد كانت أيديولوجيته هذه هي النظام الذي حكم مصر بعد الحرب الأولى مباشرة حتى سقطت الحزبية السياسية بحركة الجيش عام ١٩٥٢ .

قال عبد الحميد الكاتب في حديث مع لطفي السيد في أواخر أيامه
هل ما زلتم تعارضون فكرة الوحدة العربية ؟

قال لطفي السيد : أنت لست طبعاً مصرياً ، لو كنت يا بني مصرياً لما أضعت وقتي وأضعت تفكيرك ومجهودك في الكلام في موضوع قضيت على فكرته الضارة منذ أن كتبت ستاً وعشرين مقالة موضوعها :

(أقيموا الأسوار حول مصر)

وتحدثت فيها عن اللبناني والسوري اللذين كان يدعوان إليها .
ثم قال : لقد ماتت الفكرة بعد أن كاد يخطرها يتسرب إلى عقول بعض المصريين ، حاولت أن أناقشه وأحاوره وأذكره أن الفكرة قائمة في أذهان بعض السياسيين والمفكرين ، والمفكرين الذين قابلتهم ، فلا يصدق ، أولاً يريد أن يصدق ، ويرى أن لكل شيء تفسيراً غير الاقتناع بفكره الوحدة العربية .
قال : ولم يكن لطفي السيد وحده في هذا الاتجاه فقد كان تلميذه طه حسين وإلى حد ما تلميذه الثاني : الدكتور هيكمل قرييين من هذا الاتجاه :
وقد وصف الأستاذ عباس (حافظ لطفي السيد أستاذ الجيل) بأنه رجل متحذلق ، ضيق الاطلاع ، يملأه الغرور .

ولا يزال شباب العاصمة الأدباء يتضاخكون من قولة التي فضحنا بها في تقديم الشاعر الهندي طاغور فقد كان يجب أن يقول شيئاً وهو مدير الجامعة وهو مدير الجامعة المصرية فإذا قال .

قال : إن طاغور مزيج من عمر ابن الخطاب وتولستوى ، وهى كلمة أقل ما فيها من الدلالة أنه لا يعرف تولستوى ولا عمر بن الخطاب ، ولا طاغور إذ ليس فى العالم ثلاثة رجال بينهم من المسافة أبعد مما بين هؤلاء الثلاثة المختلفين فى نزعة الفكر وطبيعة العمل وتركيب المزاج وسأله بعض الأدباء المتخابين عن (نيتشة) قبل سنوات فلم يشأ أن يظهر الجهل به وأبت له الخدقة إلا أن يقول شيئاً فقال : آه نيتشة : إنه رجل متصوف ، إنه رجل محب للكمال وكانت سخرية الأدباء به فى تلك الآونة بالغة لأن الذى يقول فى أبى نواس فلا رضى الله عنه ونفعنا بكراماته أنه كان من أولياء الله الصالحين لا يتم عن جهل الذى يصف نيتشة بالتصوف أياً كان معنى التصوف الذى يريد .

أما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط حاسم كهذا الدليل الذى لا لجاج فيه ، فإن لطفى السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو فأسأله أين مقدمة وهو على ذلك الكتاب ليس فيه إلا ترجمة المقدمة الفرنسية مع أن تقديم أرسطو إلى العربية ألزم وألحق بنا من تقديمه إلى الفرنسية أما إن هذه المقدمة غير لازمة فلا ، وأما أن كتابها فوق طاقة الأستاذ الفيلسوف وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليل الوحيد المعقول ويزيده عجزاً فى عجز ، أنه قضى فى ترجمة الكتاب خمس سنوات أو ستاً فلم تكفه هذه المدة لاستيعاب بعض المعلومات التى يدارى بها ذلك النقص المغيب (ولم يكن قد ظهر بعد أنه لم يترجم الكتاب وإنما وضع اسمه عليه) .

مضى زمان كانت الخدقة فيه مع قليل من البروباجندا هى غاية الفلسفة وغاية الشهرة وكان أستاذنا الفيلسوف يتحذلق وكان ينطق اسم كرومر (كرومير) وكان مراسل وادى النيل يسأله : هل أنتم موفدون فى مهمة سياسية فلا يجيبه الأستاذ قبل أن يالخمه بما فتح الله عليه من العلم الواسع .

أنعنى مهمة دبلوماسيية أو مهمة بوليطيكية ومن كان يعرف ذلك فبالله كيف لا يكون فيلسوفاً . ولا نذكر ما كتبه فيلسوفنا عن شكسبير فقد ضحك منه حتى الطلبة الذين يدرسون روايات شكسبير فى المدارس الثانوية وغاية علمه أنه واحد من المفتين الذين يضحجون على كراسيهم فى أمان واسترخاء

ثم يفتنون في الأكران والأهم والرجال وهم أضعف ما يكون الإنسان عن عمل
عمل ، أو رأى يسلم من الخيال والاضطراب لم يفلح في مجلة الشرائع ، ولا في
النيابة ، ولا في المحاماة ، ولا في الجريدة ، التي أنفقوا عليها ثمانين ألف جنيه
ولا في الوفد ولا في المكتبة الملكية ولا في الجامعة المصرية .

(كوكب الشرق - ٣١ يوليو عام ١٩٢٨)

* * *

بعد لطفي السيد أول من ضرب وحدة الفكر الإسلامي العربي وفرقه
إلى تيارين ، قومي وديني وسارت الأحزاب المصرية المنبثقة من حزب الأمة
على نفس الطريق الذي رسمه كرومر ونفذه لطفي السيد ، حتى عام ١٩١٤
ثم حمل لواءه سعد زغلول بعد الثورة المصرية ، واستطاع هذا الاتجاه
أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بينما وقف
الاتجاه الآخر على الأرض الشعبية وبرز من خلال مؤسسات الجمعيات
والأزهر والصحف والكتب ، وكانت كراهة لطفي السيد للعالمين ، العربي
والإسلامي ومعارضته للانضمام إلى أحدهما وإلحاحه حتى وفاته على الإقليمية
المصرية من أبرز معالم حياته وكانت الجريدة ممثلة لهذا الاتجاه (فالجريدة شركة
يرأسها محمود سليمان باشا) متعاونة مع المحتل وهي جريدة تنطق بلسان مصر .
لا تميل إلى تركيا ولا إلى بريطانيا ويعني هذا أنها من صنع بريطانيا والقصة
معروفة فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطني (مصطفى كامل) إلى
الالتقاء ببريطانيا في منتصف الطريق وقدم لطفي السيد من (١٩٠٧ - ١٩١٤)
في الجريدة نظرية كاملة للتفاهم مع الاستعمار ، قوامها دعوته إلى قصر التعليم
على أبناء السراة ، هذا وقد كانت الوزارات التي اشترك فيها جميعها تنسم
بطابع واحد فهي وزارات انقلاب ضد الدستور (الذي كتب لطفي السيد
مقالات مطولة يطالب به) والبرلمان والحريات العامة ، والباحث في حياة لطفي
السيد ليس بوسعها أن يتجاهل ذلك التناقض ، كيف يشترك داعية الدستور
في وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية ، ولقد بدا لطفي السيد مدفوعاً
عن الحرية ، وانتهى به الأمر وزيراً في وزارات الانقلاب والإرهاب ،

وحزب الأمة الذى كان يمثله بالجريدة يقوم على الإقطاعيين أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان يرى أن السلطة الفعلية هى المعتمد البريطانى ويقف موقف المهادنة مع الاحتلال ، وكان من حزب الأمة المعلنين مهادنة سلطات الاحتلال فضلا عن أنه احتضن الفكر الوافد والتعريب ، هذا فضلا عن أن مترجمات أرسطو هى منسوبة إليه وليس هو مترجمها فى الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية ومن أبرز المواقف المؤسفة فى حياة لطفى السيد زيارته لفلسطين المحتلة وحضور افتتاح الجامعة الصهيونية فوق جبل صهيون .

* * *

لطفى السيد : (فصل من كتاب بناء الأسرة القرآنية) :

ثلاثة محاور فكرية :

١ - الدعوة إلى القومية المصرية .

٢ - الدعوة إلى مذهب الحريين .

٣ - الدعوة إلى مذهب التعقيل .

١ - جاء لطفى السيد بفكرة الجامعة المصرية لتحل محل فكرة الجامعة الإسلامية التي عاشت مصر لها ورأت فيها عزها ومجدها بل عز الإسلام ومجده ومن المعروف أن دولة الخلافة العثمانية كانت تحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ووحدة الشعوب الإسلامية ، فجاء لطفى السيد بفكرة القومية كما بشرت بها الفلسفة الغربية الوثنية وكما أوحى بها المنظمات الماسونية ، وجاء ليخالف ما اجتمعت عليه اتجاهات المواطنين المصريين ليخوض في تركيا وليعلن الحرب عليها متضامناً مع القوى الاستعمارية الغربية المتآمرة على تفتيت دولة الخلافة ، هذا في الوقت الذي يجثم فيه العدو البريطاني على صدر مصر مخضعاً كل شيء فيها لأمره ونهيه عاملاً فيها بسلاح التفرقة تحت مبدئه المعروف (فرق تسد) .

ووقف لطفى السيد معاًوناً للزعيم مصطفى كامل في موقعه ضد الاحتلال وما كان يرى إليه بإخراج إنجلترا دولياً لأن مصر بمقتضى معاهدة لندن عام ١٨٤٠ م ، كانت داخلة في نطاق دولة الخلافة العثمانية ولكن أستاذ الجليل لم يرض هذه السياسة وذهب يشنع عليها بدعوى القومية المصرية ليقدم للاستعمار أكبر فائدة بفصل مصر عن مصدر القوة الوحيدة التي تستمد منه ومن نسبها الإسلامى وعلاقتها بدولة الخلافة .

٢ - بالنسبة لمذهب الحريين يدعو إلى حرية التعليم والقضاء والخطابة والصحافة ولكن في ظل الاستعباد والاستعمار فهو المشلول عن صحيفه الجريدة التي أنشئت برأسمال مصرى مختلط من مسيو فلان والحواجة

اندر اوس ، وأحمد فتحى زغلول وغير هؤلاء من أصحاب المصالح فى الوجود الاستعماري الذين وصفهم كرومر بأنهم أصدقاء راضين عن الاحتلال وإصدار هذه الجريدة كان إرهاباً لتكوين حزب الأمة لمناهضة الشعور الوطني فى جريدتى اللواء والمؤيد ، فكان بهذا أول حزب شكل بوحي الاستعمار وصنع على عينه وبال دعوة إلى الحرية الاجتماعية كان لطفى السيد أول من أدخل نظام الاختلاط بالجامعة ، يقول دكتور عبد اللطيف حمزه : (فى غفلة من الرجعيين والمحافظين على الخلق والتقاليد قبلت الجامعة الجديدة الفتيات المصريات طالبات منها مع الطلبة وحرص لطفى السيد ومؤيدوه على الانتثار حمزه هذه المسألة فى الصحف حتى يضحوا الحكومة والرأى العام أمام الأمر الواقع .

٣ - أما مذهب التعقيل فقد وصفه دكتور حمزه بقوله : (عندى أن القصد من حركة التعقيل إنما هو إعادة النظر فى الإصلاح المصرى على أساس جديد هو العقل من ناحية ، والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من ناحية أخرى .

وهذا كلام يتم عن جهل بالتعقيل فى المنهج الإسلامى ، فالعقل المسلم عقل مؤمن مستهدى فى نظره ويبحث بالوحي بخلاف التعقيل فى المنهج العربى الذى يدين به لطفى السيد ، فالعقل الأوربى وثن يعبد من دون الله وهو عقل جهول مغرور تجاوز حدود عمله فى عالم الشهادة المادى إلى عالم الغيب وما بعد الطبيعة ، إن الدعوة إلى الفلسفة العقلية دعوة يهودية خبيثة ترى إلى إحلال العقل محل الدين نقلها هؤلاء المبشرون من تراث الفلسفة الغربية لهدم الإسلام ، أما مسألة المنفعة الذاتية لمصر من وراء هذه الدعوى فالواقع يكذبها فلم تجن مصر طوال قرن استغرقته الأنظمة التى قامت قرناً على أساس هذه الدعوة وحلولها المستوردة إلا الضعف والفقر والتمزق والذل .

* * *

(٣)

على عبد الرازق

(التفریب)

(قد يكون الخلاص من العمامة راحة و فراقها سروراً ، ولكنها على ذلك جديرة بأن تودع بكلمة ، قرب أذى مفارق وهو جدير بأن تتبعه كلمة وداع) .

إن الشيخ على عبد الرازق لم يترك وسيلة من وسائل أنتزاع الثقة من القارئ لإثارة إلا اصطنعها حتى لا تظن أن قارئاً يثق بشيء مما يقول ، فهو الأزهرى الذى يهاجم الأزهر ويكتب عنه تحت عنوان : (على أطلال الجامع الأزهر) ، فيقول : إن السنين الأخيرة دمرت ما شيدت أبداً البناء والمعمرين ونزعت عن هيكله ما استوعته الأيام من معاني البركة ونفحات القدس والجلال : فيا عجباً لهذا البناء الشامخ كيف يتصدع ، وما يتصدع البناء ولكن لأن الرجل أخطأ فتحتر ، فهو لا يرى في الأزهر شيئاً باقياً ، وهو المنكر لعلمائه المفارق لها في احتقار شديد بمقال يذشره في السياسة ويرسله من باريس على النحو الذى ذكرنا .

ولا يتوقف الشيخ على عبد الرازق عند هذا الحد بل يذهب إلى أبعد من ذلك عنثاً وشططاً فيكتب في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل عام مقالا في جريدة السياسة فيه مخزية ونعز وقد واجهه السيد محب الدين الخطيب في الرد عليه (الفتح - سبتمبر عام ١٩٢٧ م) فقال :

كتب على عبد الرازق في يوم ذكرى المولد النبوى الشريف مقالة في جريدة أعداء الدين الإسلامى ، تطاول فيها على المقام المحمدى الاسمى ، فاستعرض بزعمه حياة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وأخذ يبحث فيها عن وجوه العظمة ومعانيها فلم تبصر عيناه للعظمة أثراً لا فى حكم محمد

صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلمته في أصحابه ، ولا في معاني العلم كما يفهمها هذا الكاتب ولا باعتبار ما للإسلام من أثر على هذه الأرض مما أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين أهلها من انقلاب اجتماعي أو سياسي أو تهديبي أو مدني ، كل ما يراه الشرق والغرب من عظمة الإسلام الرحيم ونبيه صلى الله عليه وسلم الكريم لم تقشعه عينا على عبد الرازق لأن عينيه لا تشعران إلا بالمسلة والأهرام والحديد ، وأذناه لا تسمعان غير فقعة أسلحة الجيوش التي تزحف باسم الملوك الطغاة ، أما فتح القلوب للفضائل وتكوين النفوس وإعدادها لا إيجاد خير انقلاب حدث في الكون فهذا ليس عظيماً ولا محل لذكره يوم يبحث على عبد الرازق عن العظمة .

يقول : وما محمد صلى الله عليه وسلم وكلمته في أمر هذه الحرب عليها إلا بين طرفين ليس لهما ثالث : فإما أن تكون حقاً تلك الكلمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإما أن تكون باطلا ، إن تكن باطلا كلمة التوحيد - هكذا يقول على عبد الرازق - فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب إذا طلعت عليها أنوار العلم والعقل ، وإما أن تكون حقاً كلمة التوحيد فسوف يشق لها العلم والعقل طريقاً إلى هذا العالم حتى تستولى عليه وتشيع بين جوانبه .

يريد أن يقول : إن ما ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عظمة في العلم والإصلاح والفتح وغير ذلك كله باطل ، وأنه إنما جاء بكلمة لا تزال موضع الشك عند على عبد الرازق وتحتاج إلى زمان لتبين صدقها أو كذبها ، فعظمة محمد صلى الله عليه وسلم الآن موقوفة على كلمة - مشكوك فيها .

أنا كنت أقول دائماً : إن مصيبتنا في على عبد الرازق ليست من ناحية كفره ولكن من ناحية جهله : رأيت رجلاً في الدنيا يبحث عن حل مسألة هندسية في علم الكيمياء : رأيت قط (أبله) يراجع معنى كلمة لغوية في كتب التفسير . إن على عبد الرازق يحاول ذلك : يقول : إن الدائرة التي تنحصر فيها مباحثه هي المادة ، وهذا الرجل لا يصدق بما فوق المادة ، وفي مقاله علامة أخرى تدل الناس على جهله وهي خلطه بين العقل والعلم .

في مسألة إثبات صحة « لا إله إلا الله » وتعريضه نفسه للفضيحة عند الناس بأنه لا يفرق بين المحيط الذي يحول فيه العقل والمحال الذي يحول فيه العلم الطبيعي فيظن أن « لا إله إلا الله » غريبة عن الاثنين .

* * *

وعندما أشرف على عبد الرازق على مجلة (الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨) أصدر مجلة لا دينية - على حد تعبير السيد رشيد رضا - تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر اللاديني وتحرير المرأة المسلمة ، وهي تدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يجاولونه من تجديد مفهوم الإسلام على احتراس قليل من التعبير هو أقرب إلى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله بخان منه إلى الهجوم عليهما وإذا بنا نرى مقالة الدكتور طه حسين الذي اشتهر بالظعن في الإسلام وتكذيب القرآن (العظيم المحيد الكريم الحكيم) خلاصة لبحثه الجهلي السخيف في ضمير الغائب واستعمال اسم الإشارة في القرآن وفي العدد الثاني سلامة موسى عدو الأديان كافة والإسلام خاصة وعدو الآداب ، والفضائل الروحية وعدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك الذي يعتمد عليهما بالأدب المكشوف ويرجعه على ضده من التصبون والحياء .

فن ذا الذي جعل هذه المحلة ميداناً لسباق أشهر فرسان الثقافة الإلحادية وجعلها لسان حالهم ومقالمهم ومما اختارته المحلة مقالته عن (مسيلمة الكذاب) مخالفة في مبدأها ولحمتها عما عند المسلمين يسمى صاحبها مسيلمة نبياً ، كما يسمى محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً يعني أن كلا منهما كان نبياً لقومه ... إلخ

* * *

هذه هي صورة على عبد الرازق صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم الذي أحدث في الإسلام حدثاً لم يقل به أحد من قبله وهو أن الإسلام دين روحى والتشكيك في دولة الإسلام التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن الإسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم كدين المسيح عليه السلام لا رسالة له ولا حكم ولا دولة . وقالوا : إن الكتاب إنما أريد به معارضة الملك فؤاد

في سعيه نحو إقامة الخلافة في مصر بعد سقوطها في تركيا وهي قوله :
خداعة ، فإن الكتاب إنما استهدف ضرب مفهوم الإسلام القائم على أنه
دين ودولة في الصميم .

ولقد كشف الشيخ محمد نجيت في رده على المؤلف عن خيط من
حقيقة استطاع الدكتور ضياء الدين الرئيس أن يتابعه ويصل إلى أن هذا
الكتاب في الأصل من تأليف المستشرق اليهودي (مرجليوث) وأنه أهده
للشيخ وطلب إليه أن يذيعه بعد أن يضيف إليه بضع آيات من القرآن وحجة
من الأحاديث .

وكان مرجليوث قد شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده بريطانيا كانت
في حرب مع تركيا وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها ، والنصوص
الواردة في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية والمعروف
أن الشيخ علي عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين ولا بد أنه
كان متصلاً بالمستر مرجليوث أو تتلمذ عليه (كما أسلفنا في الباب الأول) .

ونجد المؤامرة تتجدد اليوم مع المد الإسلامي وصيحات اليقظة الإسلامية
بكتابات عبد الحميد الكاتب في أخبار اليوم ، وبكتاب جديد أصدره
محسن محمد يردد نفس الكلمات التي يتعللون بها عن الخلافة والملك فؤاد
والحقيقة إن علي عبد الرازق كان تابعاً للنفوذ الغربي فكرياً وسياسة وأنه
بالرغم من تلقيه علوم الإسلام في الأزهر فإنه سرعان ما سقط في مصيدة
الاستشراق والتغريب من أجل الحصول على لقب (الأستاذ المحقق) بديلاً
عن الشيخ القاضي ، وقد استطاع مرجليوث خداعه بأن وهبه كتابه ليصدره
باسمه وهذا أمر يوحى بملء ما تحمل هذه النفس من مهانة في قبول ترديد
آراء الآخرين وهي ضد الإسلام وخاصة ومرجليوث مستشرق يهودي شديد
الحقد على الإسلام ولا عجب عندما كان طه حسين يدافع عنه أن يكشف
المرء تلك الوحدة الجامعة بينهما وهي أن كلاهما كان تابعاً لمرجليوث ، فإن
كتاب الشعر الجاهلي لم يكن إلا حاشية طه حسين على متن مرجليوث ، كما

ذكر محمود محمد شاكر ويمكن أن يقال : إن كتاب الإسلام وأصول الحكم هو حاشية على عبد الرازق على متن مرجليوث أيضاً .

ولعل هذا يعطى صورته عصر التبعية الذى وقعت فيه أقلام كثيرة لامة خدعت المسلمين يوماً ولكن الأمر لم يعد الأمر خافياً .

وقد سجلت سنوات ما بعد هذا الكتاب على الشيخ على من الخزى والذل مهما كانت محاولات إعادته إلى الحياة وتولييه منصب وزير الأوقاف يوماً وما يستوى الذى حكموا على كتابه معه ، وأن إخراج على عبد الرازق من هيئة كبار العلماء إنما يعنى رقة دينه وعجزه عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً وأنه فتح ثغرة فى الإسلام عليه وزرها ووزر من قال بها إلى يوم القيامة .

وقد اتسعت دائرة فهم الإسلام على حقيقة اليوم ولم يعد ينفع التفرغ إعادة إثارة هذه الشبهات من جديد .

* * *

(٤)

أمين الخولى

(التفریب)

لقد استطاع الشيخ أمين الخولى أن يترك بصماته على تلاميذ أشربوا منهجه وساروا على طريقه الذى علمه إياه من المستشرقين والمبشرين فى روما ، عندما سافر إليها إماماً للسفارة المصرية ووقع فى شباك المتأمرين ووجدوا فيه صيداً ثميناً . يظهر على عبد الرازق فى نتاج محمد أحمد خليف الله عن الفن القصصى فى القرآن ويظهر أيضاً فى عمل تغريد عنبر وكتابها عن القراءات فتلك أثارنا تدل علينا وتكشف حقيقة الأهداف الخفية ، فقد كان مشرفاً على الرسالتين ومن وراء النصوص التى حاولت أن تتحدث عن بشرية القرآن وعى التشكيك فى صدق قصص القرآن .

وقد حدثنى أحد تلاميذ الشيخ أمين الخولى ، فكان مما قاله : إن لأمين الخولى كما لغيره آراء لم تكتب دائماً وإنما كانوا يقولونها لتلاميذهم وأهم أفكار أمين الخولى أن الوحى ما هو إلا شعور داخلى من عند النبى صلى الله عليه وسلم وأن القرآن قسمان : قسم يمثل النواميس الكونية والقسم الثانى : المعاملات : والمعاملات قسم خاص بمجتمع خاص ، وبالغرب ، وهو قابل للتغيير . أى أن الإسلام ليس نظاماً اجتماعياً ، وإنما هو دين لاهوتى كالمسيحية .

هذه كانت روح الجامعة المصرية وكلية الآداب فى الثلاثينات

وكان أمين الخولى على طريق الدكتور طه حسين يروج لعدة شهات :

أولاً : بشرية القرآن وأنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم (ويبدو هذا واضحاً فى إشرافه وتوجيهه لخليف الله وتغريد عنبر) .

ثانياً : دعوته إلى إقليمية الأدب ، ونظرية الأدب المصرى واستبعاد فكرة عروبة مصر ، أو القومية العربية .

وقد تولى أمين الخولى تنمية هذه البذرة وبذل في هذا السبيل جهوداً كبيرة طوال مدة توليه التدريس في كلية الآداب سعى إلى دعم هذه النظرية ونشرها بوجه خاص بين طلابه ، وشرحها في محاضرة عامة (أوائل عام ١٩٣٤) بقاعة محاضرات الجمعية الجغرافية وفي مجلة كلية الآداب ، واعترض على درس الأدب العربي على أساس التقسيم الزمانى وقال : (بضرورة العدول عنه إلى التقسيم المكاني ودرس الأدب العربي إقليمياً بعد إقليم لا عصرأ بعد عصر (مصر في تاريخ البلاغة) .

وادعى أن ليس للأمة الإسلامية على أى حال تلك الوحدة في تاريخ الأدب العربي وقد راجعه في رأيه هذا كثيرون في مقدمتهم ساطع الحصرى :

أما بالنسبة لدراسة القرآن في كلية الآداب فقد كانت مصدر اعتراض من الكثيرين بما انتهى إلى منعه من هذا العمل ، فقد كانت دراسته لبلاغة القرآن نوعاً من السخرية بالقرآن الكريم ، وكانت دراسته للبلاغة عاملاً على هدم البلاغة العربية التي قامت على أساس القرآن الكريم وإقامة فن جديد استورد اسمه من الآداب الغربية وهو (فن القول) . وقد كشف الكثيرون عن زيف دعواه وهدفها الخبيث في التوهين من العلوم التي أنشأها القرآن الكريم ، إلى جوار ما كان يدعو إليه طه حسين بالنسبة للنحو وغيره مما يراد به القضاء على وسائل فهم القرآن الكريم ، وقال في الدفاع عن خلف الله (إنه لا يلزم أن تكون حوادث القصص القرآنى قد وقعت بل منها ما هو تصوير وتمثيل للمعاني) وهو الذى حاول أن يقنع خلف الله بهذا بالاعتماد على نصوص محرفة أو غير صحيحة أو من وجهة نظر أى للشيخ محمد عبده .

وهكذا هوجم القرآن من ناحيتين : هاجمه محمد حسين هيكل من ناحية المعجزات ، وهاجمه أمين الرافعى وخلف الله من ناحية القصص وقال في هذا : - للمؤمن حق تأويل هذا القصص على أساس أن القرآن يعبر عن المعاني ويصورها بالحكاية وأسلوب الحوار .

- إن وجود شئ من قصص القرآن لا يقتضى صحته لأنه يحكى من حال الأقدمين الصحيح والفاسد والصادق والكاذب :

- متابعة الشيخ محمد عبده في تأويله للملائكة بالروح والقوى والشياطين وإبليس بدواعي الشر وتأويل قصة آدم عليه السلام .

- قوله : إن المدلول أعلى كعباً في الإيمان فمن يسلم لأنه أكثر اطمئناناً وأقل تعرضاً للشكوك .

(قدمنا الرد على هذه الشبهات في كتابنا المساجلات والمعارك الأدبية) .

* * *

بل إن الشيخ أمين الخولي ذهب إلى أبعد من ذلك فقد كتبت ابنته عنه تقول :

لم يقنع بالمسلك التقليدي الذي سلكه أغلب معاصريه وأبناء طبقته بالاكتفاء بالتعليم الديني ولكنه استطاع بطموحه وسعة أفقه أن يغزو آفاقاً جديدة ، آفاق حضارة الغرب ، وعندما سافر بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعي إلى أوروبا حيث عين إماماً في المفوضية المصرية في روما ، ثم في برلين كانت السنوات الخمس التي قضاها هناك في العمل والدراسة لقاءه الأول والمباشر مع الحضارة الغربية ، وكان كما كتب صلاح عبد الصبور يخدم الحضارة الغربية في مظاهرها الثقافية والفكرية دون أن يستخذي أمامها ويرى أن من واجبنا أن نعيد منها في تنقيح مفهوماتنا وتصحيح نظرتنا وإثراء أرواحنا .

ونحن نسأل أين هذا العطاء الذي تقدمه الحضارة الأدبية غير إفساد البيوت بإدخال الفنون المنحرفة التي تشغل عن الوجهة الصحيحة التي رسمها الإسلام . إن أمين الخولي لم يحضر لنا من الغرب غير مفاهيمه تلك في الأدب وفي التفسير وفي احتقاره للبلاغة العربية وفي تفسيره للقرآن ، هذا الذي يحاولون تصويره بأنه موقف الباحث المستنير البعيد عن التزمّت والتعصب ، وهل انتمسك بالإسلام على حقيقته والإيمان بمفاهيمه الأصيلة هو بمثابة تعصب وأين موقفه من الإسلام وهو داعية الفن والحياة على النحو الذي أشاعه في مجتمعه ، هذا الجانب الذي كشفت عنه الدكتوراة سمحة الخولي حين تقول : جانب من شخصيته أدين له بوجهة حياتي وهدفها ، ذلك هو صلتى بفن الموسيقى فقد بدأت تلك الصلة من الطفولة المبكرة وبتوجيه (رشيد) منه

لماذا اتجه هذا الاتجاه وهو ابن القرية والشيخ المعمم الذى ظل طوال حياته محافظاً على زيه الإسلامى ، ولعله كان الوحيد من أبناء جيله من خريجى مدرسة القضاء الشرعى فى احتفاظه بزيه وكان يقول :

أنا مؤمن بالتطور ، أنا أحب المسرح والموسيقى الكلاسيك وفى بيتى معمل علمى وتفسيرات القرآن وفى بيتى أركستراً صغيراً . إن ما خرج به أمين الخولى من قراءاته وأسفاره ، أنه عاد لمصر متفتحاً على الغرب رافضاً كل أشكال الجمود النفسى والانغلاق على التراث داعياً إلى الاستفادة من الثقافات الأجنبية ، لقد تفتحت طفولتنا على ذكريات تجارية مع المسرح ليس كعاشق للمسرح فحسب ، بل كمؤلف مسرحى مارس الكتابة المسرحية فى بداية حياته رغم ما كان يحف بالمسرح حينذاك من محظورات الدين والتقاليد وخاصة بالنسبة لطالب يدرس الشريعة الإسلامية .

وتشرينا فى طفولتنا ذكريات أسفاره ومشاهداته للأوبرا فى إيطاليا وحفلات موسيقية حضرها ومعارض فنية زارها .

وكان يردد أدامى بإعجاب اسم عازفة بيانو مصرية سمعها تعزف فى أوروبا موسيقى كلاسيكية ، وكان حديثه عنها عنصراً جوهرياً فى اجتياز طريق حياتى فيما بعد ، فقد كان النموذج الذى اختاره والذى ليحدثنى عنه كمثل وقدوة هو هذه العازفة المصرية ونمت معى تلك الهالة التى نسجها عقلى الصغير حول (عابدة علم) وامتدت إلى عشق أصيل للموسيقى وقبل أن أبلغ الثامنة عاد والذى إلى البيت يوماً متلهلاً وبشرنا بأنه قد اشترى لى بيانو ، وبأفرحتاه ، هل أصبح يوماً عازفة بيانو حقيقية مثل (عابدة علم) وعندما احتل البيانو مكانه فى حجرة الصالون بدأت حياتى تدور حوله وبدأت خطواتى الأولى على طريق الموسيقى .

واستمرت هذه الدراسة أعواماً طويلة وأصبحت من معالم حياة الأسرة وعندما عاد من رحلته إلى الصين عام ١٩٥٥ أحضر معه بعض النوتات الموسيقية وعرفت جمال أنشاد الربابة ، وعزف الأرغول ، والنأى ، والمزمار وروعة المواويل كأنه اتفق معهم أن يقدم لهم أولاده عن طريق الفن .

الحق أن أمين الخولي خدعه بريق الحضارة وبريق التبعية للفكر الغربي ولفاهيم المستشرقين وظن كما ظن طه حسين وغيره أنها منطلق للشهرة والتبريز ولكن أضواء الحق لم تلبث أن ظهرت فكشفت هذه البوارق الخادعة والمخدوعة على السواء .

وقد قرر العلماء إلغاء رسالة تغريد عنبر التي كتبها بتوجيه الشيخ أمين الخولي لمخافتها لروح البحث العلمي في مسائل متصلة بالدين وقد ذهبت إلى الاستشراق في روما فطبعها ونشرها في إتهام كبير .

وكان الشيخ على الخفيف قد كتب يقول : اطلعت على الرسالة فلاحظت أن بالمقدمة جمالات تدل على أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم اختبار شخصي في إبدال لفظ بآخر في القرآن يراه من المصلحة وفي تغيير جملة بتقديم كلمة فيها على أخرى لزيادة الإيضاح والبيان ، كما انتهت من بحثها في الخاتمة إلى أن الآراء في القراءات المختلفة لم يكن توفيقيا وإنما كان مرده أحيانا إلى عوامل بعضها شخصي وبعضها مكاني ، ذلك ما أثار الضجة ، وترتب عليه اتهام الكاتبة بالزيغ في العقيدة وهي شبهة لا يؤيدها دليل وهي فيها مخطئة قطعاً ولكن ذلك لا يترتب عليه اتهامها بأي زيغ ولا يستتبع إلا نسبة الخطأ إليها وتهاقها في الحكم بلا سند بناء على مجرد ظن واستنتاج شخصي .

المهم أن هناك شبهات أوحى بها صاحب فكرة الرسالة ، وضعت بين يدي طالبة قليلة الخبرة بالتحقيق العلمي وتقدير ظروف النص وليس لها أرضية أساسية في دراسات القرآن إلا ما تعلمته في كلية الآداب .

* * *

عمل الشيخ أمين الخولي في حقول خمسة :

- ١ - إقليمية الأدب .
- ٢ - طمس البلاغة العربية وتغليب مفهوم (فن القول) .
- ٣ - العامية من مولدات الفصحى .
- ٤ - تغليب الجماليات على الأخلاقيات والدعوة إلى الفن بمفهومه الغربي .
- ٥ - الدعوة إلى الاحتكاك بالغربيين احتكاكاً مباشراً وعملياً بالسفر والمراسلة .

حسين فوزى

(التغريب)

منذ وقت بعد بدأت حملة الدكتور حسين فوزى على التراث الإسلامى ووقوفه منه موقف الازدراء والانتقاص ، فقد علت فى نظره الأساطير الغربية وكتابات الجنس واللهو والموسيقى فاغتر بها وملأت نفسه وكانت كلماته دائماً تحمل ذلك الطابع من الأغضاء نحو الثقافة الإسلامية وهو من أجل هذا الاتجاه يعلى من شأن الإقليمية والفرعونية وينظر إلى اللغة العربية فى ازدهار ، وبالرغم من بلوغه سن الثمانين لمزال مبهوراً بالحضارة الغربية فى مرحلتها المضطربة الفاسدة التى تعيشها الآن ، ويتحدث عنها فى إعجاب شديد ، بل أنه يقول : إنه لا توجد إلا حضارة واحدة هى الحضارة الغربية وهو فى كل هذا الاتجاه إنما يجرى مجرى التهمية للاستشراق والتغريب ونظرتة إلى الحضارة نظرة مضطربة غامضة ، مسرفة فى التبعية والعصبية التى لا نجد فى الغرب نفسه من يتعصب لأخطائها وفسادها ، وهو يعلن دائماً أن الحضارة ليست هى البحث العلمى والمعاقل ، ولكنها هى إلى ذلك المسارح والتصوير والفنون المنحرفة كلها ومفاهيمه فى الدين هى مفاهيم التفسيرات الغربية والمادية والعلمانية ، حيث يقول : إن الدين وإن المجتمعات الحديثة لا يسرها الدين اليوم ، كذلك فهو يتنكر عن الناحية الخلقية فى المعاملات الإنسانية :

وهو يتابع الاستشراق وخصوم الإسلام فى انتقاص الحضارة الإسلامية ويرى إنها مقتبسة من الحضارات الفارسية والهندية واليونانية .
ومن أخطائه قوله : إن الإنسان حر فى عقيدته ، وأن الدين للديان ، وأن الإنسان له علاقة بالله بينه وبين نفسه وأنه من الخطأ أن يعلى على شعب متقدم نحو الحضارة أن يلتزم بمبادئ أو قواعد سلوكية وضعت فى عصور وفى أمكنة غير هذه العصور .

ومن جماع هذه الآراء نرى الدكتور حسين فوزى ليس إلا مستشرق يتحدث باللغة العربية وأنه بعيد كل البعد عن أن يعطى الفكر الإسلامى شيئاً ولكن نشره لهذه الآراء المسمومة ومداومة ترديدتها يوحى بأنه مقيم عليها فى إصرار وعناد وتعصب بالرغم من النوافذ الجديدة التى فتحت أمام الفكر الإسلامى سواء بما كتبه المفكرون المسلمون من كشف عن مفاهيم الإسلام واختلافها اختلافاً واضحاً عن المفاهيم التى كان يرددها التغريبون فى الثلاثينيات والمأخوذة من مفهوم الدين فى الغرب على أنه لاهوتاً وعبادة وهو المعنى المستمد من مفهوم المسيحية بعد أن هزمتها الدوائر العلمية وحجبتها عن المجتمع ، أم أن أمثال هؤلاء معلمون ملقنون لا يكفون عن ترديد هذه الأفكار لإفساد القلوب والعقول : إن الدكتور حسين فوزى لو قرأ - ولا بد أنه قرأ لبعض كتاب الغرب الذى يعجب به لوجد إحساساً واضحاً بالإنصاف نحو الإسلام من ناحية ، ومحاولته لتفهيمه ، ولوجد تلك الظاهرة الواضحة بين مفكرى الغرب للكشف عن زيف الحضارة الغربية وفسادها وهزيمتها وأزماتها الواضحة التى لا يمكن للنظر الصادق أن يتجاوزها ولكنها لاتسمى الأبصار ولكن تعنى القلوب التى فى الصدور ، ومارأيتك فى رجل فى سن الثمانين يتحدث عن مقارنته بين الرقص وبين الموسيقى ، ولا يخفى هذا الاتجاه ولا يخشى سحرية الناس به ويقول : (لقد نشأت فى أجيال الإعجاب بالغرب إلى درجة الإيمان بمقومات الحضارة النابضة المتحركة) وهل إذا نشأ المفكر الحصيف فى حيل وعلى مفهوم ، أفلا يمكن أن يتغير تفكيره مع الزمن وأن يكتسب معلومات أوسع وأن يغير نظراته إلى أشياء كثيرة . ذلك هو الجمود الذى يصيب بعض القلوب فيختم عليها فلا تستطيع أن تتجاوز واقعها وهو ممتلئ بالعنف والفساد .

من يتصور أن مفكراً عالمياً من العلوم تشغله تفاهات حضارة أوروبا ويقضى حياته فى البحث عن تسريحات الشعر والرقص والنظر إلى الفاتنات الخارجات فى الصباح إلى العمل فى باريس ليتحدث عن ملابسهن وأزيائهن ، ويتحدث عن الكاتدرائيات والفن القوطى فى أوروبا ، وزياراته للمعابد

والكنائس ولعل أسوأ ما يحاول الدكتور حسين فوزى أن يردده في السنوات الأخيرة هو متابعه ليثار التغريب :

حين يتحدث عن الحضارة يتحدث عن حضارة : أثينا (روما) الغرب .
وحين يتحدث عن الفن يتحدث عن الموسيقى الغربية .
وحين يتحدث عن اللغة يتحدث عن العامية .

وحين يتحدث عن التاريخ يتحدث عن الفلكور الشعبي والعامي ،
يقول : إن تحول إلى العامية في بعض الألفاظ والتراكيب مذهب قديم ،
ويقول : إنه معجب بالعامية المصرية التي تتكلمها الأمهات وهو في هذا
يزدري القصص ، ويهاجم النحو والبلاغة ويحاول استخراج كلمات من
الجاحظ ، وابن جني في الدفاع عن العامية ، فإذا عرضت له تساؤلات
حول فساد الحضارة الغربية دافع عنها بحرارة وقال : إن كل الحضارات
عرفت الخير والشر ، وأن الإنسان صانع الحضارات لم يتخل عن أسهم
البهيمية فيه ، ويشك في أنه يتخل عنها ثم يسخر سخرته فيقول :

(إذا أردت مدينة فاضلة فاحشد لها الأنبياء والرسل المعصومين ،
وانظر إلى يوم الفردوس وحضارته وهذه لن تقوم إلا بعد قيام الساعة
وبعد يوم الحساب مع التحفظ على الخور العين والحذر منهن) .

أيه سخريته بالدين واليوم الآخر ، وبحقائق الحياة والوجود ، ألا فليعلم
الدكتور حسين فوزى أن ذلك كله حق ، وأنه إن لم يرجع فسوف يجد
يديه صفراً من كل شيء نافع يوم يقوم الحساب وسوف لا يشترك في هذه
الحضارة التي يسخر منها ، ويكنى حسين فوزى لإعادة النظر في كتاباته
قوله في إسرائيل : (إن المصريين لديهم شعور عميق بأنهم ليسوا عرباً ،
كما أن العرب ليسوا فراعنة وأن جمال عبد الناصر فشل في إكراه الشعب
بالقوة على أن يؤمن بأنه عربي) ، ونقول : إن الشعب يعرف أنه مسلم ،
أما الإكراه على القومية بمفهومها الوافد فقد رفضه المصريون ولكن إيمانهم
بالعروبة متصل بمفهومهم الإسلامي الجامع .

يقول الأستاذ جابر رزق : (هذه هي المرة الثانية التي يذهب فيها
الدكتور حسين فوزى إلى إسرائيل ليحاضر هناك مفترياً بالكذب على

الشعب المصري بجاحد لعرويته لإرضاء لليهود المغتصبين لفلسطين ورغم الاستنكار الذى وجه به الدكتور (الفرعونى) لما قال فى زيارته الأولى فهو لا يزال يمعن فى التبجح والافتراء والكذب فى دعواه بأن مصر فرعونية وليست عربية ، والسر وراء تملق الدكتور المعجوز لليهود هو أنه قد باع نفسه لليهود من قديم ، من قبل أن تقوم دولة الاغتصاب الصهيونية على أرض فلسطين العربية المسلمة وهذه حقيقة تاريخية كشفت عنها الباحثة المصرية (سهام عبد الرازق) فى رسالتها صحافة اليهود العربية فى مصر ، حيث كشفت الباحثة عن أساليب اليهود فى السيطرة على أصحاب الأقلام الكثيرة أمثال الدكتور طه حسين ، والدكتور لويس عوض ، وتوفيق الحكيم ، والدكتور حسين فوزى وغيرهم .

وقد أشارت الباحثة إلى أن اليهود لجأوا بانشاء مجلة الكاتب المصرى إلى مصادقة كبار الكتاب والأدباء المصريين والتقرب إليهم حتى يمنعوهم بطريق غير مباشر من الكتابة ضد اليهود .

ومن هؤلاء الدكتور حسين فوزى فالعلاقة بينه وبين اليهود قديمة عمرها أكثر من ثلاثين عاماً .

وهكذا نرى الدكتور حسين فوزى محبوساً فى عصر الإحياء الأوربى وعصر التنوير الذى امتد عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر متضمناً الثورة الفرنسية ، دون أن يطلع أبناء أمتة على الحقيقة : من أن عصر التنوير هو عصر اليهود الذى أخذوا يزيفون الفكر العربى المسيحى ويدخلون إليه الألحاد والإباحة والمادية ليعدوه بالماسونية إلى الثورة الفرنسية التى قضت على وحدة الفكر المسيحى وأنشأت تلك التيارات التى حطمت الدين فى أوربا .

لقد كان أساتذة حسين فوزى فى الغرب ، وأساتذة طه حسين ، هم هؤلاء اليهود صانعوا علوم المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى رضع لبنائها توفيق الحكيم فى الاتجاه نحو الفن القصصى الذى تسير مصادره من التوراة والتلمود فى قصة سليمان وأهل الكهف والذى دفع حسين فوزى إلى هذه الوجهة الغارقة فى الأوبرا والموسيقى والإعجاب بهذا الجانب وحده من

حضارة الغرب ، جانب الفنون الإباحية الراقصة الماجنة ، متحدثاً عن تلك المعرفة الواسعة بالعزف والنغم والموسيقى الغربية الصاخبة ، والتي كان وسولها وداعيتها والمتحدث عنها - يقول توفيق الحكيم : لقد كتب القدر عليه وعلى صديقه حسين فوزى أن ينهيا العمر في الوحدة المظلمة المؤلمة ، ذلك أن النفوس لم تنطو على ضوء واحد من الإيمان بالله تبارك وتعالى الخالق ، إلا تلك الصيحات الهستيرية التي يصدرها توفيق الحكيم والتي لا تمثل عوده إلى الله ولا التماس التوبة .

ذلك الإصرار الذي يجمع بينهما على أننا فراعنة ولسنا عرباً ، وعلى تلك الدعوة الجريئة على الإسلام التي يدعيها حسين فوزى باتهامه بأن التشريع الإلهي لم يغطي كل تفصيلات الحياة ، وهي عبارة من عبارات المستشرقين الساذجة التي لا معنى لها ، فهل من شأن التشريع الإسلامي أن يقدم كل تفصيلات الحياة أم يعطي الخطوط العامة ويدع للفقهاء على مدى العصور إيجاد الفتوى لكل ما يطرأ من جديد وبذلك يظل الإسلام قادراً على العطاء المتجدد وفي رأى حسين فوزى أنه يمكن التخفيف من غلواء المادية وذلك بإعطاء الحياة الروحانيات التي هي في نظره هي الفنون (الروحانية هي الأدب والمسرح والأوركستر) .

فهل هذا رأى سليم يتفق مع مفاهيم العلوم ، أم أن الروحانية هي إعلاء الجانب الرباني في الحياة وكسر جمود المادية . إن الأدب والمسرح والأوركستر اليوم هو أسود صفحات المادية التي تدعو إلى الجنس والإباحية والجرى وراء الأهواء .

إن كل دعوة حسين فوزى هي المصرية (بمعناها الإقليمي) هذه المصرية المجردة من العروبة والإسلام ، مدعوة لاعتناق الحضارة الغربية بلا تحفظ ولا احتباط .

وتلك دعوة باطلة قد تجاوزها الزمن وماتت ولن تقوم لها قائمة

* * *

عباس محمود العقاد

(أخطاء المنهج)

درس الأستاذ العقاد الفكر الإسلامى فى العقود الأخيرة من حياته (سن الخمسين) ولذلك فقد درسه من خلال الفكر الغربى الذى تأثر به طويلاً ومن ثم فقد كان مرجعه فى الفهم نظريات غريبة قامت أساساً على مفهوم المسيحية أو على معارضة مفهوم الإسلام الجامع مثل كتابات اليهود والنصارى الغربيين فى مفهوم التوحيد ولذلك فقد لقى كتابه عن (الله) معارضة من الباحثين المسلمين (راجع كتابنا : الشبهات والأخطاء الشائعة) .

كذلك فإن العقاد لم يدرك الفرق بين العبقريّة والنبوة ، فوصف النبى صلى الله عليه وسلم بما وصف به أبو بكر وعمر رضى الله عنهما - مع أن النبى صلى الله عليه وسلم يتميز بأنه نبى مرسل يوحى إليه .

كذلك فإن الأستاذ العقاد حاول أن يفسر شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أساس نظرية لمبروزو فى الوراثة وليس على أساس أن الإسلام هو الذى غير السكبان النفسى له وحوله من حال إلى حال .

ومن أخطائه استعمال الألفاظ القرآنية فى المعانى السياسية الحزبية ، كقوله فى قصيدة إلى سعد زغلول (أنا جبارك) ، وكلمة جبار من صفات الله تبارك وتعالى ، وقد أخطأ سعد الذى تربى فى الأزهر فى استعمالها ، كما أخطأ العقاد فى تناولها : وفى الشعر استعمل كلمة (رحمن) للشاعر ، وهى خاصة بالله تبارك وتعالى .

ومن ذلك كتابه عن (ديمقراطية الإسلام) حيث نقل جميع ملامح الفكرة الديمقراطية الغربية وطبقها على الإسلام مع أن الإسلام يختلف اختلافاً واضحاً عن الديمقراطية الغربية وإذا كان هناك لقاء فى بعض المفاهيم

الديمقراطية أو الاشتراكية فهو لا يدل بالطبيعة عن أن الإسلام ديمقراطياً أو اشتراكياً وانما للإسلام ذاتيته الخاصة المتميزة .

كذلك فإن الأستاذ العقاد عالج الفكر الإسلامى معالجة فلسفية على النحو الذى كتب به (الفلسفة القرآنية) و (التفكير فريضة إسلامية) والإسلام منهج متميز له مفهوم قرآنى خالص ، أما التفسير الفلسفى فهو بمثابة مرحلة من مراحل التفسير الإسلامى التى مر بها الشيخ محمد عبده وأقبال وغيرهما والى لم تحقق أثراً كبيراً للإسلام .

وعندما ألف العقاد كتابه عن محمد عبده : كتب أحد الكتاب (كامل الشناوى) يتحدث عن ما أسماه صفحات ناقصة عن علاقة محمد عبده وكرومر وقال : إن القارئ فى حاجة إلى من يتحدث عن هذه الصداقة ويفسرها ويبرر موقف الأستاذ الإمام منها : وقال العقاد : إن محمد عبده لم يكن صديقاً لكرومر ولكنه كان خصماً للخديو عباس ، وسر هذه الخصومة أن الإمام أراد أن ينهض بإصلاح الأزهر وإصلاح الأوقاف وإصلاح المحاكم الشرعية وكان الخديو يرى أن هذه الإصلاحات إفساداً لسيطرته ومطامعه . وكان كرومر يعارض الخديو وكان طبيعياً ألا تقوم الحرب بين كرومر والمفتى الذى يتخذ من وظيفته وسيلة للإصلاح .

وقال العقاد : لقد استغل كرومر خصومة المفتى للخديو فكان يزور محمد عبده فاضطر محمد عبده إلى أن يرد له الزيارة ولكن هذا لا يعنى أن محمد عبده كان يخدم الاحتلال .

وعارض بعض الكتاب أن يضاف كتاب العقاد عن (بنيامين فرانكلين) إلى عبقریات العقاد : يقول سامى داود وقد مر بعد عهد الأنبياء والصحابه أربعة عشر قرناً خطاها العقاد جميعاً فلم يجد فيها عبقرية واحدة تستحق الذكر ثم جاء العصر الحديث بكل العبقریات العلمية والفلسفية والسياسية والاقتصادية فمر العقاد بهذه العبقریات جميعاً ، ثم اختار عبقرية واحدة منها ليبدأ بها عبقریات العصر الحديث : هى عبقرية بنيامين فرانكلين الأمريكى الذى نسبت إليه هذه المؤسسة . وقال إن تأثر العقاد قد جعله يرفع بنيامين فرانكلين إلى مستوى عبقریات الأنبياء والصحابه والخلفاء الراشدين أو على الأقل

نخصه وحده بهذا الارتفاع دون كل العباقرة الذين مروا بهذه الأرض :
وكان سامى داود يقصد أنه كتاب دعاية للناشر الأمريكى .

وقال العقاد فى الرد على ذلك فى إبانه أنه كتب عن سعد زغلول وغاندى
وابن الروبى وأبى نواس وبيكون ، وبرنارد شو ، ودار النقاش حول مهاجمة
العقاد لأودلف هتلر وسفر العقاد إلى السودان خوفاً من وصول الألمان
إلى مصر . ولا ريب كانت حملة بعض الكتاب اليساريين على العقاد نتيجة
كتابه عن الشيوعية وعن كارل ماركس . ولكن البعض كان يرى أن
العقريات كتبت لمهاجمة مفهوم الماركسية فى معارضة البطولة الفردية وهاجم
البعض مقالاته فى المصور عن الشركات المختلفة وقالوا انه كانت إعلانات .

* * *

(٧)

محمد حسين هيكل

(أخطاء المنهج)

لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة وهي أن الدكتور هيكل كتب (حياة محمد) في وجه التحديات التي قامت في البلاد العربية والإسلامية بانتشار التبشير وتوسعه ، وقد وقف في وجه هذه الموجة وقفه شريفة ، ولكنه حين لجأ إلى كتابة سيرة النبي الأعظم ليجعلها سبيلاً إلى مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة لم يتمكن من امتلاك الأداة الإسلامية الصحيحة فقد كان لا يزال حاضراً للأسلوب الغربي في التفكير في إطار المفاهيم العلمانية والمادية ، ومن ذلك أنه بدأ كتابة السيرة بترجمة كتاب مستشرق فرنسي هو (درمنجم) له موقفه الطبيعي من الإسلام وإن كان في كثير من مواقفه يحاول البحث عن الحقيقة ، غير أن الدكتور هيكل تبنى كثيراً من آراء الاستشراق ومفاهيمه فجاءت دراسته عن (حياة محمد) مشوبة بكثير من الأخطاء :

أولاً : محاولة تصويره أن الإسراء بالروح ، تحت عبارات براقة كقوله أن محمداً صلى الله عليه وسلم في لحظة الإسراء والمعراج انتفى لديه حجاب الزمان والمكان واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزاله إلى أبدله ليصل بعد ذلك إلى أن الإسراء تم بالروح وذلك لأن الإسراء بالجسد - كما يقول الأستاذ على العريبي في بحثه في مجلة دعوة الحق - يتنافى مع المناهج الغربية إذ العلم كما يقول هيكل في عصرنا الحاضر يقر هذه الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ويخلص من هذا إلى أن الإسراء والمعراج وقعا بالروح أو الرويا فقط .

ثانياً : يرفض الدكتور هيكل الأحاديث المروية عن شق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام في طفولته من قبل ملكين كريمين ويدعم هذه الأحاديث

في سورة الانشراح وحيثه في ذلك (١) عدم اطمئنان المستشرقين وجماعة المسلمين إلى رواية الملكين ، ويرونها ضعيفة السند ويرى المستشرق وليم موير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصابته نوبة عصبية ، وإن كان « درمنجم » يرى أنها لا تستند إلى شيء صحيح غير ما جاء في ظاهر الآيات (٢) إن شرح المصدر كان روحياً بحثاً (الغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصة ويؤديها مخلصاً تمام الإخلاص

ثالثاً : أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إلى الخوارق ، كما تيسرت لسابقه من الرسل وأن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية وينساق هيكل مع ما أسماه الموضوعية والروح العلمية حتى فيما أخبر عنه القرآن بصريح القول وواضح العبارة فيما يختص بالكارثة التي وقعت لجنود أبرهة عندما هاجم مكة بجيوشه قصد تهديمها ، ولما فر السكان لشعاب الجبال ، ونحلا الجو لأبرهة وجنوده لتخريب بيت الله الحرام ، يرى هيكل أن وباء الجندري قد تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ولا يقبل قصة الطير الأبايل التي رمت المغيرين بحجارة صغيرة فقصت عليهم ، وعلى فيلهم فهذا منطق العقل يقول بالجراثيم والوباء ، أما ما سوى ذلك من قدرة القادر الحكيم فيدعي أنه أمر لا يقره العلم وترفضه الحتمية في القوانين العلمية ، يقول على العربي : الحقيقة أن هيكل أراد أن يتقرب إلى أصدقائه من المستشرقين : كما أنه كان يتقرب إلى بعض الوزراء المسيحيين في الحكومة المصرية ، وكان السائد في عصره ١٩٣٥ موجه المناهج الغربية والروح العلمية الموضوعية التي كان يصدرها الغرب بواسطة المبشرين والمستشرقين وتلاميذهم وشعرائهم في الدول الإسلامية فنجدها تطبق على الأدب العربي ويتسلل إلى الحكم فنثار قضية الفصل بين الدين والدولة وكتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) أكبر شاهد ، ألفه بعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ .

ويقول إن الشيخ مصطفى صبري قد هاجم هذا المنهج هجوماً واسعاً في كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد أورد الشيخ محمد زهران في مجلة المنار أخطاء هيكل في السيرة

١ - أن كلامه في بدء الوحي يفيد أن أول سورة (اقرأ) نزل متاماً .

٢ - ما أورده في قصة إبراهيم والكعبة .

٣ - قصة شق الصدر .

٤ - الإسراء والمعراج .

٥ - معجزة الغار .

٦ - قصة سراقة .

٧ - إنكاره المعجزات .

وقد عالجنا هذه الظاهرة في بحث مستقل نورده بعد :

أخطاء في كتابة السيرة

إن هناك ظاهرة عميقة تبدو في أفق الفكر الإسلامي الحديث جذيرة بالرصود والدراسة : تلك هي انطلاقته إلى آفاق الرشد ودخوله مرحلة الأصالة استمراراً من المنابع الأولى ونحرراً من زيف المحاولة التي أجرتها حركة الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي خلال السنوات الخمسين الأخيرة ، وقد انبعثت هذه الحركة المتجهة إلى الناصيل على يد حركة اليقظة الإسلامية التي حملت لواء الدعوة لالتماس المنابع في المنهج القرآني بعيداً عن مناهج الفلسفات أو الاعتزال .
والظاهرة كما يلي :

في خلال فترة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي كانت المحاولة ترمى إلى (تفريغ الإسلام من مفاهيمه الأصيلة) وقد جرت هذه المحاولة باستخدام مذاهب ترمى إلى عزل مفهوم الجهاد كما حدث في القاديانية ، أو إعلاء شأن المفهوم العقلاني أو المفهوم الوجداني ، اعتماداً على صور قدسمة في الاعتزال أو التصوف الفلسفي أو الباطنية : وقد كان لهذا الاتجاه الفلسفي أثره الوقفي في رد عادية الاتهامات التي وجهت إلى الإسلام بأنه ضد العقل أو أنه جبري ينكر الإرادة الفردية .

وقد حاول كثير من الباحثين الدفاع عن الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج الغربي للبحث أمثال محمد عبده ، وإقبال ، والعماد ، والدكتور هيكمل .

ولكن منهج القرآن كالماء لا يستغنى عنه أحد ، ومنهج الفلسفة أو الكلام

كالدواء لا يحتاج إليه إلا المريض حسب ما عبر الإمام الغزالي في مثل هذا الموقف إبان هجمة الفلسفة اليونانية .

وقد مرت مثل هذه التجربة من قبل ووقف منها الإمام الغزالي والإمام ابن تيمية مثل هذا الموقف لقد كان المسلمون يرون إبان هذه المحاولات بأن علماء من المسلمين يدافعون عن الإسلام ، ويردون عادية خصومه ولكننا حين نعاود النظر الآن نجد أن هذا الأسلوب لم يكن أصيلاً وأن منهج القرآن هو الأسلوب الوحيد للدفاع عن الإسلام وليس أسلوب الفلسفة أو أسلوب المتكلمين .

وأن محاولة الرد على شبهات موجهة إلى الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج العلمي الغربي من شأنه أن يبدو بريقه فترة ما ثم تتجاوزته التغيرات وتعتوره التطورات . أما مفهوم القرآن ومنطقه ومنهجه فإنه خالد وباق لا يعثره تحول أو اضطراب .

عنى محمد عبده بدور العقل في مواجهة التحدى الذى كانت تقدمه آراء الاستشراق من اتهام الإسلام بالجبرية الصوفية أو القدرية فحاول أن يعلى العقل حتى يضع الإسلام في مستوى مفاهيم الغرب الذى كان يعلى شأن العقل والعلم إذ ذاك ولكن الأستاذ الإمام ذهب بعيداً فأعلى العقل على النص وجعل العقل حكماً على الوحى . وذلك حين قال بتأويل النص حتى يوافق العقل . (وقد تعرض الأستاذ سيد قطب إلى هذا المعنى في كتابه خصائص التصور الإسلامى) .

ولكن المنهج القرآنى يرى غير ما يرى الشيخ محمد عبده — وهو مفهوم الأصالة : وهو ما كشفت عنه مدرسة اليقظة ذلك أن للعقل مكانه وحدوده وأنه ليس الحكم الأخير (وما دام النص محكماً فالمدلول الصريح للنص من غير تأويل هو الحكم) .

وهذه الظاهرة التى اضطرب الشيخ محمد عبده أن يواجهها في سبيل الدفاع عن الإسلام قد اتخذت من بعد مغزاً ما يزال يستعمله خصومه الإسلام وإلى اليوم .

كذلك فإن حديث الشيخ محمد عبده عن أن الشريعة تتصل بأمر العباد

وأن فيها سعة للاجتهاد قد أخذها دعاة التغريب من بعد وحاولوا أن يقولوا بأن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تبرر واقع المجتمعات اليوم وهذا ما لم يقصد إليه الشيخ محمد عبده ولقد جرت المحاولة في هذا الاتجاه نحو النظر إلى المعجزات وأحصيت كتابات لفريد وجدى والشيخ المراغى والدكتور هيكل كانت بمثابة تيار خطير من تيارات إنكار المعجزات في سبيل إعلاء نظرة العقل أو المنهج العلمى الغربى .

وقد أفاض فى كشف هذه الظاهرة الإمام العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية فى كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) : وهو كتاب خطير يمثل مدى خطر ظاهرة إنكار معجزات الرسول فى سبيل أصحاب المنهج العلمى الغربى .

وحين تقرأ للدكتور هيكل محاولته فى كتابه السيرة تجده يحاول أن يواجه خطرين : خطر حملة التبشير التى اجتاحت البلاد الإسلامية فى الثلاثينات وخطر الاستشراق .

يقول فى مقاله (كيف ولماذا أكتب حياة محمد) .

إن المستشرقين الذين كتبوا عن محمد وعن الإسلام قد تأثروا فى كتابتهم بدافع من التعصب المسيحى وإن هم ألقوا على ما كتبوا صبغة البحث العلمى ولا ريب أنهم على الأغلب لم يستطيعوا أن ينفذوا إلى دقائق أسرار الحياة العربية لتأثرهم بالبيئة الغربية التى يعيشون فيها والتى ورثوا من تراثها فى التفكير والبحث ما لا يسهل عليهم معه إن يحسوا بإحساس رجل الصحراء والعائش فى الجو المكشوف وللبيئة الطبيعية كما للبيئة الوراثة على التفكير وعلى التصور أثر عميق لا سبيل إلى إنكاره » .

ثم يشير إلى أنه يريد أن يرضى العقل الحديث بكتابه السيرة وأن هناك مسائل يرى أنها من وضع بعض الكتاب الذين دسوا عن حسن نية أو سوء نية طائفة من الخرافات » .

ولقد واجه الدكتور حسين المراوى (هيكل) فى إبان كتابته للسيرة وكشف عن خطأ الاتجاه إلى تقبل وجهة نظر إميل درمنهم التى بنى عليها

هيكمل كتابه (حياة محمد) وأشار إلى تلك العبارات الماكرة التي نقلها هيكمل عن درمنجم والتي تحاول أن تصور النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تأثر بأهل الكتاب في الجزيرة العربية أو في ذهابه إلى الشام أو في إرسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية وهذا كله زيف مقصود أعده درمنجم وتابعه فيه هيكمل إلى حد ما .

وقد أشار الدكتور الهراوى إلى أن هذا هو السير في الطريق الذى رسمه الاستشراق ، وهذا شبيه بالوقوع في الفخ الذى نصبه الاستشراق في اتهام الإسلام بالجبرية مما دفع بعض الكتاب إلى إعلاء ما أسموه عقلانية الإسلام . ولقد سار اتجاه هيكمل شوطاً ولكنه عجز ، لأنه بعيد عن الأصالة واستطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تنمى (منهج القرآن) وأسلوبه في كتابه السيرة وفي التعريف بالإسلام ومنهج القرآن هو الأصالة ومنهج الفلسفة والأسلوب العلمى الغربى هو منهج (التغريب) .

وقد تصدى لذلك رجل من أجل رجال الفكر الإسلامى فى عصرنا وهو الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى فى كتابه (فقه السيرة) التى كشف بها زيف محاولات كتابة السيرة على غير الفهم القرآنى قال : إن الهدف هو تصحيح أغلاط كثيرين ممن كتبوا عن السيرة فى هذا العصر وأن نميط الغشاء عن المغالطات التى كانت ولا تزال تدهسها أقلام كثير من الكتابين المستشرقين والمستقرئين وهى أغلاط ومغالطات قامت لتغذيتها ورعايتها وترويجها مدرسة فكرية معينة نشأت فى أواخر القرن التاسع عشر وراحت تمتد من أثرها وظلالها إلى أيامنا هذه

إن هذه المدرسة لم تعد تخدع إلا قلة من بقايا المفتونين باسمها وباسم مؤسسها ورعايتها وأن الحقائق الناصعة فى حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم تظل هى المشرقة السائدة ويظل العقل الحر نزاعاً إليها موقناً بها غير مطمئن إلى أى تأويل أو تحليل يستهدف تحويرها أو التلاعب بها . ولقد علم عامة الباحثين والمفكرين أن أهم أسباب نشأة تلك المدرسة فى حينها : ذلك الانبهار الذى أصيبت به كثيراً من العقول العربية المسلمة من أبناء النهضة العلمية فى أوروبا ، فقد راحت تلك العقول تتوهم تحت تأثير ذلك الانبهار — أنه ليس

بين المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة إلا أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أوروبا النصرانية هناك ، وأن يضعوا حقائق الإسلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغيب لم يدركه علم ولا يعرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع ، فإن فعلوا ذلك نهضوا نهضة أوروبا في علومها ولحقوها في رقيها وفنونها . ومن هنا أنشأ أقطاب تلك المدرسة ما زعموه (الإصلاح الديني) والدين الصحيح ما كان يوماً ليفسد حتى يحتاج إلى مصلح أو إصلاح .

وكان من مظاهر هذا الإصلاح ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلًا يسير في خضوع منكسر وراء العقليّة الأوربية وتحت لواء ما زعموه (العلم الحديث) أجل : فقد كان كتاب حياة محمد لحسين هيكل التجربة الرائدة في هذا المضمار ، أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد صلى الله عليه وسلم إلا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات في حياته عليه الصلاة والسلام وإنما هو القرآن والقرآن فقط : وانبرى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر يقرظ الكتاب ويبارك الخطوة الرائدة وتطلق (محمد فريد وجدى) هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته داعياً الناس إلى فهم الإسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم ، ولو اقتضى ذلك الإعراض عن الخبر الصادق الذى ثبت في الكتابة والسنة وإنما كان يقصد بطريق العلم ألا يستسلم العقل للغيبيات ولا للخوارق والمعجزات وإن جاء بها الخبر الصادق المتواتر ، كأن العلم إنما يتحقق بإنكار كل ما لم يقع تحت حسك وشعورك :

كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانهيار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهيأ لها بسبب ظروف خاصة أحاطت بها أن تطلع على الحياة الأوربية فتستهوها زخارفها وملاذها فالتجذروا من نزوات أنفسهم حاكماً مسلطاً على عقولهم واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الديني وباطنها الاستخذاء النفسى والانهيار الفكرى بين يدي نهضة الغرب : ولم تكن تسبب هذه المدرسة أى نهضة علمية كالتى نهضتها أوروبا كما كانوا يوهمون أو يتوهمون ، كل ما جنته أيدي ذلك الإصلاح الديني فقدان الحقيقتين معاً فلا هم على حقيقتهم الدينية أبقوا ولا على النهضة العلمية عثروا .

ويقول : إن المسلم لا ينبغي للمحظة واحدة أن يحاول فهم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو راهب محنك ، فمثل هذه المحاولة ليست إلا معاندة أو معابثة للحقائق الكبرى التي تذخر بها حياة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أثبتت الحقائق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى ، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة واحدة كبرى في حياته عليه الصلاة والسلام ألا وهي أنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل ، ولا ينبغي للمسلم أن يتصور أن المعجزة الوحيدة في حياته صلى الله عليه وسلم إنما هي القرآن ما دام أنه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة نحاول أن نفهم حياته من خلالها .

أما إن كان ينكر وجود هذه السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضاً إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفة إلا من حيث بلغتنا منه معجزة القرآن . ١ هـ

وقد زال اللبس واشرقت الحقيقة مرة أخرى حين غلب المنهج القرآنى الذى حملته حركة اليقظة الإسلامية والى قدمت الآن جيلا أو جيلين على طريق الأصالة كان رائد هذه المدرسة فى الحقيقة هو الإمام حسن البنا ومن حوله نشأ الكثيرون : مصطفى السباعى وعمر الأميرى ومحمد المبارك ومحمد الغزالى وسيد قطب وتابعه على الطريق أجيال كثيرة :

ولا ريب أن طريق التغريب هو ما بعثه المستشرقون وحملوا عايه تلاميذهم ومن استهواهم عملهم ومن حول المنهج القرآنى والمنهج الفلسفى نجد ذلك الخلاف الواضح بين ما كتبه عباس محمود العقاد فى كتابه الفلسفة القرآنية ورد عليه فى ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوى يقول : (ينبغي أن ينبه المسلم إلى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شئ كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وما قرره القرآن لكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد ، فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية (فريزر) فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماوية ولكن أرضية

نشأت بالتطور والترقى إلى الأحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وإذن فهو خيرها ومن هنا تفضيله ما سماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات . إن لم يكن هذا هو تفسير إطلاق اسمه الغربيين على كتابيه (عبقريه محمد) و (الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن يذهب إليه قارئ الكتابين من المسلمين لينجوان ما أمكن مما توحى به التسمية من أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبقرى من العباقرة لا نبي ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة : يؤكد هذا الإحياء إن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب العبقریات الإسلامية وإن يكن أولها فالناشئ الذى يقرأ بعد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم عبقرية أبى بكر رضى الله عنه ، وعبقرية عمر رضى الله عنه مثلاً لا يمكن أن يسلم من إحاء خفى إلى نفسه أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأباً بكر وعمر رضى الله عنهما من قبيل واحد : عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً ، فالذى سمي النبي صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور ، بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحى ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير ، وكـم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين (وهذا الذى يشير إليه الأستاذ سيد قطب فى كتابه (خصائص التصور الإسلامى) الذى أراد به فى الحق أن يكشف عن الفوارق العميقة بين التفسير الفلسفى للإسلام والقرآن ، الذى ذهب إليه العقاد والتفسير القرآنى للإسلام والقرآن ، ولعل هذا كان سر الاختلاف بينهما وسر الخلاف بعد أن بدأ معاً الطريق إلى فهم الإسلام والكتابة عنه فى أول الأربعينات عندما كتب العقاد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتب سيد قطب التصوير الفنى للقرآن ، ثم اختلف الطريق ، أما العقاد فقد اعتصم بمدرسته الفلسفية الغربية وعرض عليها الإسلام فأصاب وأخطأ ، أما سيد قطب فقد خلغ ثوبه تماماً وآمن بمفهوم القرآن الأصيل ولا ريب أن ما قاله الأستاذ أحمد شكرى فى هذا المعنى كبير الدلالة :

أراد العقاد أن يجعل للإسلام فلسفة وكان يعرض العقيدة أحياناً بأسلوب الفلسفة، ونحن نختلف معه، لأنه لا بد أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة، إذ أن عرض العقيدة بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطنى شعاعها ويقتصرها على جانب واحد من الكينونة الإنسانية، وفارق كبير بين التصور الفلسفى والتصور الاعتقادى ذلك (أن التصور الفلسفى ينشأ فى الفكر البشرى من صنع هذا الفكر لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به ولكنه يبتقى فى حدود المعرفة الباردة ، أما التصور الاعتقادى فهو تصور ينبثق من الضمير ويتفاعل مع المشاعر ويتلبس بالحياة فهو وشيجه حية بين الإنسان والوجود وبين الإنسان وخالق الوجود) . وفى نفس الطريق من التبعية والتغريب إلى الأصالة والمنابع الأولى نجد تلك الأبحاث الواسعة العميقة عن استقلالية الشريعة الإسلامية عن القانون الوضعى ، واستقلالية التربية الإسلامية عن التربية الغربية وذاتية الإسلام الواضحة فى مناهج الاجتماع والنفس والأخلاق مما يختلف اختلافاً واضحاً عن الفلسفة الغربية المادية منها بنوع خاص واستقلالية الإسلام فى منهجه السياسى والاقتصادى عن الرأسمالية والليبرالية وعن الديمقراطية ، والماركسية والاشتراكية على نحو (مفرد) لأنه ربانى من عند الله . هذه هى الصورة التى تبدو فى أفق الفكر الإسلامى اليوم لتزيج ركام الفلسفات والمفاهيم التغريبية التى حملها الغزو الثقافى من الفكر التلمودى والوثنى والإباحى الغربى وألقى بها فى أفق الفكر الإسلامى وانخدع بعض مفكرى الإسلام فحاولوا أن يتخذوا من الأسلوب الفلسفى مدخلاً إلى فهم الإسلام ، وهى محاولة لهم فيها أجر واحد ، أما مفهوم حركة اليقظة الإسلامية فقد لمع فى الأفق أول ما لمع قرآنياً ربانياً خالصاً متحرراً من كل مفاهيم المذاهب والفرق .

وبعد فتلك أولى المحاولات فى الكشف عن هذه الظاهرة أرجو أن تتبعها حلقة أخرى على نفس طريق الأصالة والرشد الفكرى ولعل أهم ما يجب أن أشير إليه هنا أن (الأصالة) قد كسرت ذلك القيد المسموم الذى حاول به دعاة التغريب أن يفصلوا بين الفكر الإسلامى الحديث وبين الفكر الإسلامى فى منابعه الأولى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . . .

وأبانت أن الانطلاقة الحديثة مرتبطة ومدعمة بالسابق لها كحلقة من حلقات متصلة لا انفصام لها .

طه حسين

أهم الأخطار التي يروج لها فكر طه حسين والتي يجب الحيلة في النظر إليها :

أولاً : قوله بالتناقض بين نصوص الكتب الدينية وبما وصل إليه العلم ، وقوله : (إن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها) وهذه نظرية شاعت حيناً في الفكر الغربي تحت تأثير المدرسة الفرنسية التي يرأسها اليهودي (دوركايم) .

ثانياً : إثارة الشبهات حول ما سماه القرآن المكى والقرآن المدني ، وهي نظرية أعلنها اليهودي (جولد زهر) وثبت فسادها .

ثالثاً : تأييده القائلين بتحريق العرب الفاتحين لمكتبة الإسكندرية وهي نظرية ردها المستشرق (جريفي) في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٤

رابعاً : عمل على إعادة طبع (رسائل إخوان الصفا) وتقديمها بمقدمة ضخمة في محاولة لإحياء الفكر الباطني المحوسى الذي كان يحمل المؤامرة على الإسلام والدولة الإسلامية .

خامساً : إحيائه شعر المخون والغزل بالمذكر وكل شعر خارج عن الأخلاق سواء كان جنسياً أو هجاء ، وقد أولى اهتمامه بأبي نواس ، وبشار والضحاك في دراسات واسعة عرض فيها آراءهم وحلل حياتهم .

سادساً : ترجمة القصص الفرنسي المكشوف ، و ترجمة شعر بودلير وغيره من الأدب الأجنبي الاباحى الخليع .

سابعاً : إثارة شبهة خطيرة عن أن القرن الثاني الهجرى كان عصر شك ومجون .

ثامناً : قدم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامى كمقدمة لدفعه إلى ساحة الإباحيات والشك وغيرها وذلك باسم تحريره من التأثير الدينى :

تاسعاً : إعلاء شأن الفرعونية وإنكار الروابط العربية والإسلامية
ومن ذلك قوله : إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين ولو وقف الدين
الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبدناه .

العاشر : إشاعة دعوة البحر الأبيض لحساب بعض القوى الأجنبية
والقول : بأن المصريين غريبوا العقل والثقافة ، وأن الفكر الإسلامي قام على
آثار الفكر اليوناني القديم ولذلك فلا مانع من تبعية في العصر الحديث
للفكر الغربي .

الحادي عشر : الادعاء بأن الشاعر أبا الطيب المتنبي (لقيط) وهي
دعوى باطلة أقام عليها كتابه (مع المتنبي) متابعاً رأى الاستشراق وهادماً
لبطولة شاعر عربي نابه .

الثاني عشر : اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد
المنهج وهو ما نقله عن أستاذه اليهودي (دوركايم) .

الثالث عشر : إعادة خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية
بعد أن نقاها المفكرون المسلمون منها والتزيد في هذه الإسرائيليات والتوسع
في وذلك في كتابه (على هامش السيرة) وقد كشف هذا الاتجاه الدكتور
محمد حسين هيكل ووصفه مصطفى صادق الرافعي بأنه (تهكم صريح) .

الرابع عشر : حملته على الصحابة والرعييل الأول من الصفوة المسلمة
وتشبيههم بالسياسيين المحترفين في كتابه (الفتنة الكبرى) .

الخامس عشر : إثارة الشبهات حول (أصالة) الأدب العربي والفكر
الإسلامي بما زعمه من أثر اليهود والوثنية والنصرانية في الشعر العربي .

السادس عشر : إنكار وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام
وإنكار رحلتهما إلى الجزيرة العربية وإعادة بناء الكعبة على نفس النحو الذي
أورده العهد القديم وكتابات الصهيونية .

السابع عشر : دعوته إلى إعلاء شأن الأدب اليوناني على الأدب العربي
والقول : بأن لليونان فضلاً على العربية والفكر الإسلامي .

الثامن عشر : دعوته إلى الأخذ بالحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) في كتابه (مستقبل الثقافة) .

التاسع عشر : وصف الفتح الإسلامي لمصر بأنه (استعمار عربي) وعبارته هي : (خضوع المصريون لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب) .

العشرون : إنكار شخصية عبد الله بن سبأ اليهودية وتبرئته مما أورده الطبري ومؤرخوا المسلمين من دور ضخم في فتنة مقتل عثمان في كتابه (الفتنة الكبرى) .

* * *

هذه أبرز الشبهات التي أوردتها كتب طه حسين وقد واجهتها أقلام الكتاب في عصره ومن بعد مواجعة حاسمة وكشفت زيف هذه الادعاءات ولم يرجع الدكتور طه عن رأى واحد منها (وإن كان قد رجع عن رأيه في المتناوطة ولم نورهده لهذا) ولا تزال هذه السموم باقية في مؤلفاته وكتبه بين أيدي الناس ، ولقد هزم هذا الفكر الاستشراق التبشيري هزيمة منكرة ، وطه حسين حي ، لقد ووجه طه حسين بالرفض والمخاصمة وحرقت كتبه في بعض العواصم العربية (دمشق) وأرسل إليه كثير من المفكرين برقيات تعارضه وقد زيفت كثير من الدوائر العلمية آرائه كما فعل مؤتمر ابن خلدون ودراسات أساتذة كلية أركان حرب الجيش رأيه في العروبة :

إن النقطة الحقيقية هي (التبعة والمسئولية التي يحملها فكر طه حسين للأجيال المتعاقبة) كما أشار إلى ذلك الأستاذ الجليل أحمد حسين ، هذا الفكر الذي ما زال مطروحاً بين أيدي الشباب بكل ما فيه من تناقض وسموم واحتمالات وشبهات بعد أن مضى صاحبه . وقد قيل : إن الدكتور طه حسين قد تنازل عن كثير من آرائه في سنواته الأخيرة ، ونقول : فأين الدليل ؟ بل إن العكس هو الصحيح ، فإن الدكتور طه حسين كان حريصاً في مجموعات مقالاته التي نشرت في السنوات الأخيرة أن يستبقى هذه السموم وأن يعيد طبعها ، وأن يعلن في حديث مع فؤاد دواره بأنه لم يتنازل عن أي

رأى قال به أو أعلنه ، وكل ذلك يعزز القول : بأن الدكتور طه حسين كان مصراً على تلك الآراء حتى آخر لحظة من حياته .

وقد كان من حق الأجيال الجديدة المسلمة علينا أن نعلمهم كيف يتقنون من كل ما يقدمه الكتاب التغريبيون موقف الحذر وأن يعرضوه على قيمنا الأساسية ومفاهيمنا الأصيلة فما وجدوه متفقاً معها فليقبلوه وما لم يجدوه كذلك واجهوه بحذر واحتاطوا منه .

ولعل كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ضوء الإسلام) قد كشف عن جذور الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في مصر والبلاد العربية خلال تلك المرحلة التي عاشتها الأمة منذ جاء الاستعمار وأتى على الحياة فيها من تيارات تتصل بتثبيت النفوذ الأجنبي عن طريق الثقافة والفكر والتعليم .

ونحن نتصدى للكشف عن تلك الأخطار التي تمثلت في كتابات عدد من المفكرين الذين ظنوا أن طريق التبعية للفكر الغربي والتماس أسلوب العيش الغربي هو الطريق الوحيد لبناء النهضة العربية الحديثة ، وقد كشفت الأحداث من بعد - وقبل : إن رحل الدكتور طه حسين - عن فساد هذا الأسلوب وهزيمة تلك المدرسة ، وتبين أن الطريق الوحيد هو طريق الأصالة والتماس المناهج التي نجح بها المسلمون من قبل في كل أزمة وقد تبينت في السنوات الأخيرة من المقالات التي كتبها عبد العظيم أنيس ، يوسف إدريس ، وكامل زهيرى وغيرهم حقيقة خطيرة ظلت خافية وقتاً طويلاً ، وهى أن طه حسين كان يكن عاطفة خفية ظل يسترها وقتاً طويلاً تحت ستار من التظاهر بالديمقراطية وحب الغرب ، وهى محبة الشيوعيين ومساندتهم ومتابعة كتاباتهم وتمنيا أن تمتد دعوتهم وأن ينتشر فكرهم فهو يتابعهم ويقرأ ما يكتبونه ويعلق عليه إذا قابلهم ويقضى لهم مصالحهم وهو يوسطونه من مركز النفوذ والقوة في أمورهم .

* * *

(مقال عبد العظيم أنيس : العربي مارس عام ١٩٨١)

وهم يرونه رائداً للفكر الماركسي بكتابه (المذبذبون في الأرض) وقد كان لاتصاله بالوفد وعمله به مدخلاً للجناح الماركسي المعروف الذي كان يقوده الدكتور محمد مندور ، وهم حين يتحدثون عن حبه لمصر وولائه لها إنما يعجبون بإقليميته الواضحة العميقة ذات الطابع الفرعوني الكاره للعروبة والإسلام معاً . وقد دافع عن الماركسيين الذين فصلوا وسجنوا عام ١٩٥٠ ومنهم عبد العظيم أنيس وعمل على إعادتهم بعد خروجهم من المعتقلات ، وقال له طه حسين : إنكم تتيأسرون وتظنون أني على يمينكم هل كتب أحدهم شيئاً كالمذبذبون في الأرض وفي فترة من الفترات هاجم فتحي غانم كتاب (المذبذبون في الأرض) من وجهة نظر ماركسية وقال : إنه لغو . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى موقفه من الصهيونية .

يقول الأستاذ أحمد حسين : (كيف عملت الصهيونية على إذاعة شهرته عالمياً وذلك بمناسبة خطاب إسحاق نافون رئيس دولة إسرائيل عنه وكيف زار المستعمرات الإسرائيلية منذ عصر مبكر جداً وأن اليهود وسيطرتهم على الإعلام الدولي حقيقة مؤكدة قد عملوا على بناء شهرة طه حسين دولياً باعتباره وقف من الإسلام موقفاً معادياً في المصدر الأول والأكبر من حياته) . وقد حقق هذا الموقف الدكتور حسين فوزي مجلة أكتوبر (٢٨ أكتوبر عام ١٩٧٩) حين قال : (إن زيارته الأولى لإسرائيل مع طه حسين كانت عام ١٩٤٤ قال : في عام ١٩٤٤ ذهبنا إلى القدس مع طه حسين وكان مديراً لجامعة القاهرة بالنيابة وكان حسين فوزي عميداً لكلية العلوم ، وقد طلب إليهما ألا يخطرا أحداً من العرب أنه اتصل بأحد من اليهود) . وقد قدمت الأبحاث الجديدة التي نشرت في السنوات الأخيرة حقائق هامة في هذا المجال وخاصة بحث الدكتورة عواطف عبد الرحمن .

الصحافة اليهودية في مصر

التي تقول : (وعندما أقبلت الأربعينات وأصبح تحقيق الوطن القومي اليهودي قاب قوسين أو أدنى وانكشف تماماً الخطر الصهيوني أمام

الرأى العام العربى والمصرى من خلال الصدمات التى وقعت بين الحركة الوطنية الفلسطينية فى مواجهة الحركة الصهيونية المدعومة بالمساندة البريطانية . فقد فوجئ الرأى العام المصرى بأسلوب دعائى جديد يتلخص فى إصدار صحيفة مصرية ذات طابع ثقافى ضمنت نخبة من كبار المثقفين المصريين بتمويل يهودى صهيونى وبواجهة حضارية لا تحتل إثارة الشكوك حول انتمائها، تلك صحيفة (الكاتب المصرى) التى صدرت فى أكتوبر عام ١٩٤٥ وكانت تتولى تمويلها إحدى العائلات اليهودية الثرية وهى أسرة (هراوى) و برأس تحريرها عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وأن متابعة إعداد المحلة تثبت بالفعل نوعاً من التجاهل للقضية الفلسطينية أو معالجتها كحادث هامشى لا يحتل أكثر من عمود أو اثنين من أعمدة المحلة .

وأشارت إلى تعاطف طه حسين مع الحركة اليهودية ، فقد تتلمذ على يديه كثير من الطلبة اليهود أمثال إسرائيل ولفنسون الذى أعد رسالة الدكتوراه عن (تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية والسلام) أشرف عليها الدكتور طه حسين ، وقد أحاطت الصحافة اليهودية طه حسين باهتمامها الواضح وخاصة عندما أعيد إلى الجامعة بعد إقصائه عنها لفترة طويلة عام ١٩٣٤ ، وقد قام اليهود بترجمة كتابه (الأيام) إلى العبرية ، كما قام زيارة مدارس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية عام ١٩٤٤ وكان فى استقباله كبار الشخصيات اليهودية وعلى رأسهم الحاخام الأكبر (فتتورا) وأعدوا نشيداً خاصاً للترحيب به ، وألقى طه حسين محاضرة عن علاقة اليهود بالأدب العربى استثمرتها الصحف اليهودية فى الدعاية .

أما البحث الثانى فقد قدمته فى أطروحة الآنسة (سهام نصار) عن الصحافة اليهودية فى مصر : فأشارت إلى الدور الخطير الذى قامت به مجلة الكاتب المصرى ، ومحاضرات طه حسين فى المدارس الإسرائيلية عن فضل مزعوم لليهود على الأدب العربى .

ولقد أثبتت فى الجامع العلمية شهادت طه حسين وخاصة فى مؤتمر السنة والسيرة الذى عقد فى قطر عام ١٤٠١ هـ حيث عرض الدكتور محمد البهى ، والشيخ محمد الغزالى وغيرهم لتجاوزات طه حسين واتخذ المؤتمر قراراً بحجب مؤلفات طه حسين عن الشباب المسلم .

ومما قاله الدكتور محمد البهي : إن الدكتور طه حسين أثار في كتابه
(الفتنة الكبرى) شبهة خطيرة لم تصح مطلقاً وهي قوله : إن الإسلام بقي
على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يفرض حياة المسلمين بين
أصحاب الحضارات المختلفة ، وقد رد عليه الدكتور محمد البهي في كتابه
(الفكر الإسلامى الحديث) رافضاً هذا الرأي الضال .

* * *

الفصل الثاني

كتاب لبنان المارون

دبرت الدول الأوروبية فتنة عام ١٨٦٠ في لبنان لعزلها عن الدولة العثمانية ، وإعدادها كمنطلق لانتماء عزل العالم الإسلامي والبلاد العربية وإسقاط الدولة العثمانية ، فقد فرضت الدول على الدولة العثمانية إقامة نظام خاص بمنحه الاستقلال الذاتي تحت رئاسة حاكم مسيحي مختاره الدول الأوروبية ويصدق عليه السلطان ولم تلبث البعثات التبشيرية إن هرعته إلى بيروت وأقامت معاهدها وإرسالياتها في محاولة لفرض نفوذ ثقافي غربي على أبناء المارون وقد بدأت الإرساليات الفرنسية هذا العمل ولحقت بها البعثات الأمريكية ولم تلبث بعد قليل أن أصبحت مصدراً خطيراً لتصدير صحفيين وكتاب إلى مصر ومختلف أنحاء العالم العربي ، ومما يذكر أن : (سركيس ، وصروف ، ونمر ، ومكاريوس ، وزيدان ، وفرح أنطون ، وشبلي شميل) كانت الدفعة الأولى من خريجي هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية في مصر وكانوا أصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبد الحميد وهم الذين مهدوا للنقوذ الاستعماري والصهيونية ولتفصل العرب عن الترك وتقسم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وإنجلترا . وقد حمل الصحفيون الشاميون المتعاونون مع الاستعمار لواء الآراء الهدامة والمادية والإلحاد والشعبوية والتغريب ، وقد وصف (اللورد كرومر) هذا الفريق في مذكراته بأنهم منحة من السماء ، وأنهم خيرة البلاد ، وقد وصل بعضهم إلى أعلى المراكز الإدارية وفي فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ (الفكرة العربية في مصر) يتحدث عن الأقليات فليرجع إليه من يشاء ومما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مرابين ، ففهم من أنشأ صحفاً وأشهرها صحيفتي المقطم والمقتطف اللتان أصدرهما فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وإسكندر مكاريوس ، وكانت

الصحيفتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية ، فأيدتا ذلك الاحتلال وقاومتا الحركات الوطنية بكل ما في لفظتي تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الإنجليز بمصر ، ويصفون حسنات الاستعمار ويمجدون أبطاله ، ويطالبون باستمراره ، ويدعون أهل مصر إلى الإذعان إليه لأنه يحميهم من داء (الوطنية) ولم تمر بمصر حادثة واحدة إلا وقفوا فيها موقفاً معارضاً لأمانى الشعب ، اتخذ الصحفيون وأصحاب الأقلام الشاميون والمسيحيون منذ اللحظة الأولى موقفاً موالياً للاستعمار والفكر الغربى بشقيه ، وكانوا أعواناً لكل النظريات والمذاهب والأيدولوجيات الوافدة .

لماذا اختار المسيحيون الفكر الغربى ؟ اتخذوه بحكم الولاء العقائدى ، ولأنه معارض للفكر الإسلامى الذى يمثل نفوذ الجماعة القائم ، وقد علمتهم معاهد الإرساليات أن يتقضوا على الفكر الإسلامى وأن يعملوا على احتواء المسلمين فى الفكر الغربى ، يقول :

لم يكن المفكرون المسيحيون فى هذا المضمار خاصة الصحفيين والناشرين مجرد مراقبين سلبيين بل كانوا مفكرين متمردين لعبوا دوراً مهماً فى تحييد الفكر المعاصر ، فلم يكن غريباً أن يبدو هؤلاء المفكرين المسيحيين أمام المسلمين ليس مجرد مجددين بل مفسدين للتراث والقيم التقليدية ، وقد تضمنت أقوالهم والطريقة التى قاموا بها هذه الأقوال : أكثر من مجرد انتهاك للعادة ، كان هناك تجاوز ونوع من الهرطقة ، كان المسيحيون المتعلمين مهيثون بكل قلوبهم لتبنى حضارة أوربا الحديثة أكثر مهماتهم أهمية فى المجتمع العربى الإسلامى من خلال كونهم مفسرين للغربيين ومبشرين لقيمه .

ومن هنا كانت صيحات ضد التراث الإسلامى عندما بدأ تجديد التراث وفى اللغة كانت دعوتهم إلى لغة وسطى للكتابة ، ولغة عامية للإنجيل ، وظهر سليم سرקيس ، وفرح أنطون ، وسلامة موسى ييثون سمومهم ، وظهر الصراع بين أسلوب القرآن وأسلوب التوراة فى كتابات المنفلوطى وجدان وفى أحضان الكتاب المسيحيين ظهرت فكرة القومية العلمانية وهم الذين هاجموا ارتباط الدين بالسياسة فى الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى .

فارس نمر

أبرز كتاب (المقطم) ومنشئيه ورأسم سياسته من بدء صدوره عام ١٨٨٩ إلى وفاته عام ١٩٥١ خلال أكثر من ستين عاماً قضاها في العمل الصحفي ، قدم إلى مصر مع صروف حيث التقيا باللورد كرومر ، الذي اتفق معهما على إنشاء جريدة تواجه الصحافة الوطنية وقد اشتغل نمر بالمقطم . وكان صروف ، ونمر ، ومكاريوس والمجموعة كلها من بعد فرح أنطون ، وسلم سركريس ثمرة الإرساليات ، وحمة لواء الصحافة والقلم في مواجهة :

١ - السلطة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد فقد حمل حملة عنيفة عليهما ومهداً لإسقاطهما .

٢ - تأييد المحتفل الماسوني والدعوة الماسونية .

٣ - مقارعة الصحف الوطنية .

٤ - مدح المحتلين ورفع شأن دورهم في خدمة البلاد .

٥ - نشر الدعوة إلى الانتداب على سوريا ولبنان .

وأشار الباحثون إلى أن فارس نمر هو الذي سعى لقبول سعد زغلول في الوزارة وكان صاحب الفضل في إسناد عرش مصر إلى السلطان أحمد فؤاد ، وقد هاجم فارس نمر كل الشرفاء الأبرار : مصطفى كامل ، محمد فريد ، عبد العزيز جوايش ، أمين الرافعي وكانت أقسى مقالاته في الهجوم على مصطفى كامل : تلك التي نشرها عام ١٩٠٤ تحت عنوان : (شحات برند نجوت) وهو (نمر) الذي كان سبباً في تحول قاسم أمين من الدفاع عن المرأة لمسلمة إلى الدفاع عن المرأة العصرية لإرضاء لنازلي فاضل .

وقد وصف فارس نمر ما قاساه في مواجهة حملته على الخلافة والإسلام وحمل وجهة الاستعمار في وجه المصريين والعرب والمسلمين فقال : (إنه كان يبيت مؤرقاً ، يتقلب على فراش الهموم والعموم من تعاقب الأحداث وبما يسميه الدسائس التي تحاك لهم في الظلام وكان يكتم خبرها عن شركائه) .

* * *

فرح أنطون

يمثل فرح أنطون أجراً أطراف الدعاة إلى التغريب في عصره ، وهو الرائد الحقيقي لسلامة موسى ، ولويس عوض ، وأكثرهم قدرة على التحرر من قيود التقاليد والأساليب والأفكار ، فكان يصدر الأراء بالتغريب المثير ، وصفه لويس شبحو بأنه مغرم بدراسة الكتبة المتطرفين في آرائهم الدينية والشيوعية من فرنسويين وروسيين وحرمانيين كرينان وكارل ماركس وتولستوى ونييتشة فمشمعشت أفكارهم في دماغه فصار يجاريهم في كتاباته وهو لا يزال حيثما حل يعالج المواضيع الاشتراكية والديمقراطية المتطرفة المجردة من روح الدين لا تأخذه في كتاباته ملل بل تجاوز في ذلك حدود الفطنة دون مراعاة لصحته .

وقال مارون عبود : إنه فتح باب التفكير الحر وشرعه للناس ، وقد تعمد في مجلة (الجامعة) مواجهة الإسلام بعبارات متعصبة وعنيفة ، حتى وصفها رشيد رضا بأنها تصدت للفتنة في الإسلام وفي أئمة الإسلام ، عن طريق خدمة العلم دون الدين ، ودعوى إرادة النصيحة للمسلمين وهي تظن أن المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماقة مبلغاً جعله يتمثل بهذا الكلام ، وهو يزعم أن الجمع بين الرئاسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاض يهدم الإسلام ، ومؤخر أهله عن جميع الأمم ودعا إلى جعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا .

وقد رد عليه الشيخ محمد عبده في عديد من مقالات نشرت في المؤيد والمنار بدون توقيعه ولكنها هزت المجتمع ، وكشفت عظمة الإسلام وتكامله ونظرته الجامعة بوصفه متبع حياة ونظام مجتمع .

* * *

سليم سر كيس

أما سليم سر كيس فهو صاحب الهجوم العاصف على السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية وقد كانت كل رحلاته وأحاديثه بعده لغات أوربية وسعة معارفه وتنوعها كلها في خدمة النفوذ الأجنبي وفي خدمة الماسونية

والصهيونية وفي حقد جارف على الدولة العثمانية ، والخلافة والسلطان
عبد الحميد :

يقول مؤرخه أحمد حسين الطهاوي في مجلة الثقافة (ديسمبر عام ١٩٨٠)
وهو يسرد تاريخ حياته : إنه سافر إلى فرنسا وبريطانيا وفي باريس التقى
مع بعض رجال تركيا الفتاة (الاتحاديين) ولابد أنهم ساوموه على الخطر
التي سيقوم بها من تأليف كتاب كله خيالات وأوهام وأحقاد عن السلطان
عبد الحميد . كما أنه زار مجلس العموم البريطاني - لنفس الغرض ، كما أنه
ألقى خطاباً وأحاديث في تاريخ التوراة وهذه توحى بالوجهة الصهيونية .

قال : ولما أصدر مجلة المشير عام ١٨٩٤ حمل فيها على الدولة العثمانية
واستخدم الصور الهزلية في ترسيم الحوادث المحلية والعمومية ، وقد سبقه إلى
ذلك يعقوب صنوع ، ولما حوكم دافع عنه صحفي فرنسي هو هنري روشفور
في خمس مقالات ولما توقفت الصحف التي يكتب فيها عن الدخول إلى الدولة
العثمانية (لما فيها من طعن ضد الباب العالي حتى قال عنه السلطان عبد الحميد :
إنه خائن للدولة والأمة وحكم عليه بالإعدام) ، حاول بالمكر إدخال أفكاره
فأخرج مجلة باسم امرأة وقد استغلها في توهين القيم الإسلامية في مجال المرأة
والأسرة ، فكان يعنى بوصف حفلات الرقص والأزياء ، أى أنه أدى خدمة
أخرى للماسونية ، وكانت أحاديثه مع عملاء الاستعمار والنفوذ الغربى في
مقدمتهم (نازلى فاضل) التي كانت تفتح صالونها لأعوان كرومر ومع
أمثال شبلى شميل .

أما كتابه (سر مملكة) الذي أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً عاصفاً
حاقداً على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وإذا كان قد تنبأ بسقوط
عبد الحميد قبل سقوطه بسنوات على أيدي رجال الاتحاد والترقى ، فإن
سركيس ، وفارس نمر ، وجرجى زيدان ، هذه العصاة كانت تعرف
مدى أبعاد المخطط المرسوم ، وقد شاركوا في تنفيذه والنخاص بالتخلص من
السلطان عبد الحميد ، بل إن عملهم في مجال الصحافة والنشر لم يكن أكثر
من إعداد الناس لتقبل محاولة قتل أو إسقاط السلطان عبد الحميد ومن بعده
الخلافة الإسلامية ، وذلك بعد أن اتصل به هر تزل ورده السلطان في عنف
وعرف أنه (سبيل إلى تحقيق غايتهم في فلسطين إلا بإسقاط عبد الحميد ، ومن

ثم سلطوا عليه تلك الطغمة الظالمة المعتمدة في مصر وهم المارون الماسون أعداء الخلافة والدولة العثمانية والإسلام . وقد تكشف هذه الصفحات الظالمة من بعد وكان على الأستاذ أحمد حسين الطهاوى أن يتنبه إلى ذلك ويشر إليه ، أما كتابه عن المكتوبجي الذي أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً على رقابة الصحافة في الدولة العثمانية ، فإن رقابة الصحافة ليست عيباً وهي موجودة حتى الآن في كل مكان ، وإن أخذت أساليب جديدة وكان السلطان يعلم مخطط الماسونية وهدف مدحت وزعماء الاتحاديين وكان يعلم مدى اتصافهم باليهودية العالمية والنفوذ الأجنبي ، فكان لابد من مراقبة كتاباتهم في الشام التي كانت بؤرة المؤامرة ، ولقد كان هؤلاء جميعاً من المستأجرين ، فإذا دفع لهم السلطان صمتوا ثم عادوا مرة أخرى إلى التآمر ليدفع لهم مرة أخرى أما لغة سر كيس التي كانت موضع الإعجاب فإن لغة سر كيس هي مقدمة العامية ومحاربة الفصحى وهذا الحوار الذي دار بينه وبين إبراهيم اليازجى صاحب الضياء يكشف عن أوائل تلك الحرب ضد الفصحى الذي عرفناه بعد في كتابات لطفى السيد وسلامة موسى ، وكان علينا أن نعرف أعماق الأمور فإن سر كيس كان يعمل على نفس خطة أستاذه يعقوب صنوع . وهو إشاعة العامية والأزجال والسخرية للقضاء على الفصحى وعلى الأدب الرفيع ، وذلك تحت اسم لغة العصر ، وهي القضية التي ما نزال نعانى منها .

يعقوب صنوع

هو أحد أعمدة دعاة الغزو الثقافي الغربي ، وقد خدع الكثيرين حتى وضع اسمه في صفوف المجاهدين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ، ولقد أضيف اسمه إلى قائمة تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، بينما كان هو خادماً للأهداف الاستعمارية شأن جرجى زيدان ، وسليم سر كيس ، وفرح أنطون ، وولى الدين يكن وغيرهم ، فيعقوب صنوع يهودى أساساً وقد حمل الدعوة إلى العامية وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وإدخال عنصر الفكاهة والسخرية بكل شيء . من النكتة المكشوفة إلى الكلمة الجريئة ، وهو الذي فتح هذا الباب في صحافتنا العربية والمصرية .

ولم يكن يعقوب صنوع إلا واحداً من هذه المدرسة التي عملت في صف الاستعمار وخدمت أهدافه بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح ، وقد حمل معه سموم القصص والمسرحيات الفرنسية المكشوفة فعرّبها ومصرها ، وساهم بجهد ضخم في إنشاء المحافل الماسونية في مصر عام ١٨٦٥ والواقع أن يعقوب صنوع كان صنيعة الخديو إسماعيل أساساً وكان يعلم أولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة في مدحهِ والإشادة به ، وتردد أنه كان أستاذاً في علم الرقص وأنه علمه في قصور الخديو والباشوات .

وكان أمراء عابدين قد أرسلوه إلى باريس ليتعلم بها فهو ربيب لغتهم أصلاً وليس خلافة مع الخديو إسماعيل مرتبطاً بهدف أو إيماناً بفكره ، كما حاول بعض التغريبيين أن يصوروه ، بل على العكس كان جرياً وراء التيارات الصهيونية والاستعمارية التي حملت على الخديو عباس ومهدت لإسقاطه وقد ألف يعقوب صنوع محفلين في مد خدمة الماسونية طليعة الصهيونية وفي ذلك العهد .

ولا ريب أن يعقوب صنوع هو رائد تنفيذ مشروع الدعوة إلى العامية بالكتابة العامية ، وتنفيذ مشروع الكاريكاتير والمسرح العامي . أنه يهودى فرنسي الجنسية يدعى يعقوب روفائيل ويطلق على نفسه اسم جون سانوا ، كان يسمى الخديو شيخ الحارة .

شبل شميل

هو أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية ، ولم يكتف بذلك بل كان يصرح قولاً وكتابة بالتعطيل والإلحاد ، ولم يتجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه كما ذكر السيد رشيد رضا في (يناير عام ١٩١٧ - المنار) .

وكان الدكتور شبل شميل من دعاة الاشتراكية (المادية) وكان مادياً في أفكاره وأرائه وقد ترجم (مقدمة بختر على مذهب دارون) ونجد هو أشد تلاميذ دارون إلحاداً وتعطيلاً ،

يقول الدكتور يعقوب صروف :

أساس الفرق بيننا وبينه في الأمور العلمية والاجتماعية إننا نميل إلى الحذر

ونرى أن نذكر كل أمر بما يستحقه من الاحتمال والتبرُّجيح أو التحقيق ،
إثباتاً كان أو نفياً ، مدفوعين إلى ذلك بما أثرته فينا العلوم الرياضية التي
تعلمناها وعلمناها ، وقلمنا يستطيع هذا التدقيق من لم يبحث في الموضوع من
أما الدكتور شمیل فلم يدرس العلوم الرياضية ، وكان حاد الذهن سريع
التصور فيبادر إلى المحاضرة بما يعتقد صواباً ولو خالف المؤلف ، ولم
تقم أدلة قاطعة على تأييده ، وقد صرح بذلك منذ عهد بعيد حيث قال :
(أما أنا فآفتي إذا كان ذلك يعد آفة ، إنني متى بدت لي حقيقة تستهويني
فإنني لا أعود أحفظ نفسي من إبدائها) .

إن هذه الحماسة لا يقدم عليها المرء في عمله الخاص الذي يحبه من كل
جوهرو عرف دخائله وتشعب الآراء فيه بل من يلم بالموضوع المساماً أو يكون من
الغادين فيه ، فلم يكن الدكتور شمیل كذلك في علم الطب بل كان يجري معالجة
مرضاه ووصف الأدوية لهم حسب القواعد المقررة ، ولا يأخذ بالمحتملات
ولا تستهويه المكتشفات الجديدة ، وهذا شأن كل متعمق في علم من العلوم
أو موضوع من الموضوعات ، ألا ترى أن دارون نفسه صاحب المذهب
الداروني مضت عليه سنون كثيرة وهو يبحث ويحقق ويكتب ويستشير قبل
إن يجهر بمذهبه لأنه كان يرى أما كن الضعف فيه ولم يبادر إلى نشره إلا إجابة
للإحاح أصدقائه الذين رأوا أن ولس يكاد أن يسبقه إلى نشر مذهب مثله .

والخلاصة أن دكتور شبلی شمیل لم يكن متخصصاً في العلوم الطبيعية
ولكنه كان طبيباً ، غالباً في نزعة في كراهية الشرق والإسلام والخلافة
والدولة العثمانية وموالياً شديداً الموالاتة للغرب وللتغريب وقد اختير ليحمل
هذه الرسالة ، وقد نقل مذهب دارون عن أشد غلاة المسادية ، (نجر)
وكان يهدف إلى ما بعد المذهب وهو التصور المادي للحياة الاجتماعية كلها
وكانت أهمية شبلی شمیل تنحصر في محاربة الغيبيات ، وكان يرى بنقل الدارونية
إلى وضع أقدم المقدسات الدينية بين قوسين أو وسط علامة استفهام
كبرى ، ولما وجدوا أن دعوته لم تثمر وقوبلت بالمعارضة الشديدة جاء
إسماعيل مظهر ليقدمها بأسلوب جديد مختلف ، في إطار كلمات براقة :
التطور ، التجديد ، الديمقراطية ، وجاءت بعد ذلك كلمات الفرعونية
والاشتراكية ، والديكارتية والماركسية على ألسنة طه حسين ، وسلامة موسى

أديب إسحاق

لقد ادعى أنه تلميذ جمال الدين ، وبرقت كلماته في الصحف التي أصدرها في مقاومة الاستعمار البريطاني ولكنه كان واحداً من مجموعة من خريجي إرساليات التبشير تحارب الاستعمار البريطاني وحده وترى الالتجاء إلى فرنسا هو الحرية منبى الحرية ، اتصل أديب إسحاق بجمال الدين وادعى أنه من دعاة الحرية ، فما أن أخرج جمال الدين من مصر حتى والى النفوذ الفرنسي ، فكتب في باريس يهاجم مصر ، ثم عاد إلى مصر مع أعلام الاحتلال فأعطى جائزة ومنصباً وهكذا نجد الجماعة كلهم : يوسف الخازن . رزق الله حسون ، سليم عنحورى ، لويس صابونجي ، كان هدفهم تدمير الدولة العثمانية وتخطيم الجامعة الإسلامية وفصل مصر عن تركيا لحساب النفوذ الأجنبي ، تلك هي مدرسة الإرساليات التبشيرية التي صنعها النفوذ الأجنبي في بيروت لإعداد تلك القاعدة الضخمة التي انطلقت منها بعد ذلك كل قوى الفكر والصحافة والأدب وفي مقدمتها أصحاب المقطم عملاء كرومر ودعاة الاحتلال وسركيس وشاهين مكاربوس الذين كانوا جميعاً يعرفون طريقةهم : محاربة الإسلام تحت اسم محاربة الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد والدعوة إلى تحرير الوطن باسم الإقليمية وتمزيق تلك الجبهة الصامدة ، تلك هي دعوة الصهيونية والاستعمار الكامنة وراء الإرساليات التي أطلقت خريجيها فانبثوا في مصر وتونس والمغرب يقودون الصحافة لحساب النفوذ الإنجليزى والفرنسى ومن ورأهم الصهيونية كانوا يعملون في البلاد العربية فإذا ضاقت بهم ذهبوا إلى إيطاليا أو فرنسا يصمدرون صحفاً صفراء يهاجمون منها الخلافة والإسلام .

وأديب إسحاق وسليم نقاش : أصدرا جريدة التجارة وجريدة مصر كتباً في مواجهة الاستعمار البريطاني (ولم يهاجما الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا) ، بل كانا فرنسي النزعة ، ورداً على المقطم ، ولكن كانت كتاباتهم في الحرية والربية والدستور كتابات غربية تقهر مفاهيم الرأسمالية والديمقراطية الغربية .

لويس صابونجي

أما لويس صابونجي فقد وضع برنامج الحرب الوطنى عام ١٨٧٩ ونشره بلنت فى التيمس عام ١٨٨٢ وناصر عرابى وسافر إلى لندن وهاجم الخلافة والسلطان عبد الحميد ، تحت اسم تشخيص أمراض الدولة العثمانية . وقد تبرع له أحد الممولين فى إنكلترا برأس مال قدره عشرة آلاف جنيهه لنشر هذه الجريدة (الخلافة) عام ١٨٨١

وكانت هذه الصحف الصادرة فى الغرب من المارون فى حضانة النفوذ الاستعماري والصهيوني ، وكانت الأهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى والمقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى . ولم يكن تأييد الأهرام للحركة الوطنية إلا معارضة لبريطانيا . وقد حمل هؤلاء جميعاً على الدولة العثمانية والخلافة تحت اسم الوطنية والحرية والدعوة كذباً وتضليلاً إلى إعادة الخلافة إلى العرب .

ونجد فى وقائع (رزق الله حسون) مثلاً لهذا فهو قد سخن وفر من السجن وهرب إلى روسيا وهناك هاجم السلطنة العثمانية وسافر إلى لندن وأصدر جريدة عربية عام ١٨٧٢ وحمل على العثمانيين ودولتهم وهاجمهم هجوماً شديداً ، يوصف بأنه أقسى من هاجم الدولة العثمانية وعاون المستشرقين فى إنكلترا وفرنسا وروسيا ، وكتب ضد العرب والإسلام بلهجة قاسية ، وقد وصفه الاستعماريون والتغريبيون بأنه رائد الصحافة العربية الذى كافح الطغيان .

هؤلاء عملاء الماسونية والاستعمار :

الدعوة إلى اللغة العامية ، والزجل ، وكلمات عامية فرنسية كما يقول يعقوب صنوع (أبو نظارة رزقاً) : (دخلنا الرستوران وأكلنا بشمبانية) أما خليل عبد السيد فقد عنى بمهاجمة التراث الإسلامى .

* * *

جبران خليل جبران

(أدب المهجر)

إن من أبرز أعمال دعاة التغريب (إعادة إحياء الموقى) فهم لا يلبثون بين آن وآخر أن يجروا إعادة الحياة للموقى تحت دقات الطبول وصيحات الإذاعات ، وإقامة المهرجانات ، ثم يتبين لهم بعد قليل أن محاولتهم باطلة وأن من مات لا يبعث ، خاصة إذا كان من هذا الفكر الوثنى الضال المنحرف الحاقط على اللغة العربية وعلى قيم الأخلاق والفضيلة على النحو الذى عرف عن جبران خليل جبران الذى صفت له قوى التغريب عند بزوغ فجره ، وظنت أنها ستقضى به على البلاغة العربية وسترفع به أعلام الأسلوب التوراتى الذى حاولته جماعة المهجرين من أمثال ميخائيل نعيمة ، وأمين الريحانى وجبران خليل جبران واليوم وبعد مائة سنة تعود طبول التغريب لتدق مرة أخرى مترجمة كتب جبران ومحتفلة به ، ولكن بعد ماذا ، بعد ما ارتفعت الغشاوة عن العيون التى خدعت فى الثلاثين ، والواقع أن الأدب المهجرى قد اعتمد على مصدر أساسى ، هو الحملة العنيفة على الدين واللغة ، ومقومات المجتمع العربى الإسلامى ، والثورة على كل القيم والعقائد والإفراط فى الإباحة ومهاجمة القيم الأخلاقية فى الحب والزواج من إدخال الأسلوب جديد مستغرب يصادم الحس الإسلامى ويعارض مفاهيم البلاغة ، ويعلى من صيغة التوراة والحجاز الغربى .

وقد تصدر جبران خليل جبران هذه المدرسة .

ويمكن القول بأن المدرسة المهجرية الشمالية التى كونها جبران ورأس ناديتها كانت ثمرة من ثمار الإرساليات التبشيرية التى وردت لبنان وسيطرت على وحدة التعليم والثقافة فيه ، ومن ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية ، وخاصة مدينة بوسطن التى اتخذها المهجريون مقراً لهم وهى منذ قديم مقر الإرساليات التبشيرية فى الولايات المتحدة . ولعل أصدق ما يمثله

الأدب المهجري ما كتبه جبران نفسه عام ١٩١٩ في خطاب إلى إميل زيدان
(مجلة الهلال) : إن فكري لم يثمر غير الحصرم وشبكتي ما برحت مغمورة
بالماء .

ومن الحق أن أسلوب جبران قد بهر كثيراً من الشباب وسرى سريان
النار في الهشيم ، ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره ، وذلك لمصادمته
لطبيعة النفس العربية ، ومعارضته لمهجها ، وتضاربه مع مزاجها النفسي
والاجتماعي ، ذلك أن جبران كان إقليماً مغرقاً في الإقليمية ، إباحياً مسرفاً
في الإباحة ، وقد حاول في الكثير من نثراته محاكاة مزامير داود ونشيد
سليمان وسفر أيوب ومرثي أرميا وتخيلات أشعيا على حد تعبير ميخائيل نعيمة
- فكان بذلك وكان إخوانه طلائع الغزو الصهيوني - وكان أسلوب التوراة
هو المثال الأدبي الأول الذي تأثر به وقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور
والتعبيرات ، التي استقهاها من الأسفار فهو يقدم أشباه الجمل والظروف ،
والأحوال ، ثم يمزج ذلك بفن (ولت وبتان) الشاعر الأمريكي ، كما أشار
كثير من مترجمي سيرته إلى أنه بعد حرمان الكنيسة له وهو في العشرين
من عمره على أثر قصيدته التي هاجم بها الأديان ، اندفع في طريق إحياء أجداد
فينيقية وحضارة الكلدانيين . وقد أشار في خطاب له من بوسطن سنة ١٩٢٠
لصديقه نخلة إلى هذا المعنى فقال : إن القوم في سوريا يدعونني كافراً
والأدباء في مصر ينتقدونني قائلين : هذا عدو الشرائع القديمة والروابط
القديمة والتقاليد القديمة ، وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة : لأنني بعد
استفسار نفسي وجدتها تكره الشرائع ، بل لقد صور جبران مفاهيمه وانحرافات
في مقال مطول استهله على هذا النحو ؟ « هو » متطرف بمبادئه حتى الجنون ،
هو خيالي يكتب ليفسد أخلاق الناشئة ، هو فوضوي كافر ملحد : . هكذا
يقولون غنى وهم مصيبون فأنا متطرف حتى الجنون ، أميل إلى الهدم ميل
إلى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس وحب لما يأبونه « ولا ريب
أن كتابات جبران هي طابع النفس المنحرفة ، وقد التقطه الغزو الثقافي ودفعه
إلى الأمام وفتح له آفاق الشهرة ومع ذلك فقد سقط أدب جبران ولم يحقق
النتائج التي عول عليها دعاة التغريب .

وقد جرت محاولات لضرب أسلوب المنفلوطى الذى برز فى هذه المرحلة بأسلوب جبران على فرق ما بينهما من نهج ومضمون فأسلوب جبران هو أسلوب الخيال والإباحة والهدم ومعارضة الأخلاق والعقائد وهو معارض لطبيعة النفس العربية والمزاج العربى ، أما أدب المنفلوطى فقد كان موازياً لهذه النفس ، مستمداً من أسلوب القرآن فى الأداء ، حتى قبل أن قلب جيل كامل من دمشق إلى فاس قد حقق من خفقات قلب المنفلوطى .

ويمكن القول أن الأدب المهجرى قد كشف عن زيفه (أولاً) حين انفصل عن قيم الأمة العربية والأدب العربى فى البلاغة والأسلوب ، وخاصة حين حاول النيل من اللغة العربية وإشاعة طوابع الظلال والأضواء والرمز ، وهى بعيدة عن طابع اللغة العربية وأدبها الصريح الواضح .

ثانياً : حين اتصل بقيم الأدب الغربى وفلسفته المادية والإباحية ، فأعلى من شأن وحدة الوجود واللاأدرية وفلسفة نيتشة الشيو صوفية المستمدة من الأفلاطونية الجديدة ، ومذاهب الكشف الجنسى وذلك حين أسرف (جبران ونعيمه) وكسرهما فى احتقار القيم العربية والعقائد الروحية مع الدعوة إلى الكشف الغربى والإباحية والانفصال عن القيم الوطنية والقومية والهروب من الواقع والإيمان ، واتخاذ الأهمية أساساً لفكرة الدعوة الإنسانية مع الإقليمية والخصومة للدين والأخلاق .

ولقد أسرف الذين تحدثوا فى مهرجان جبران وغالوا فى محاولة تصوير أثره حيث كانت كل الدلائل والوقائع تكذبهم ، ولكنهم صدقوا حين قالوا : إن جبران كان ثورة على القديم ، وعلى كل الأشياء التى تربطنا وتشدنا إلى الماضى . ولقد حاول جبران كما حاولت مدرسة المهجرين إحياء العرفية الفينيقية الوثنية ، ومهاجمة قيم العروبة والإسلام فأعادت وأحييت كل ما رددته فلسفات زرادشت والمجوسية ووثنية اليونان والرومان هرباً وراء فرويد ونيتشه وغيرهما وكان هذا كله مصاعاً فى إطار التوراة وأسلوبها من خلال المزامير وأسفار الجامعة ونشيد الأنشاد وسفر أيوب ودخيلاً على الأدب العربى ، وعلى الذوق العربى وعلى المزاج العربى ، ومن هنا كان سقوطه واندحاره .

جرجى زيدان

(روايات الإسلام)

منذ توفي مؤسس الهلال عام ١٩١٤ ، ولا تزال آثاره تجد اهتماماً كبيراً من جهات بعينها ، فماتلبث بين وقت وآخر أن تظهر روايات الهلال مطبوعة طباعة فاخرة : هذه الروايات التى تسمى روايات الإسلام والتى خدعت كثيراً من شبابنا بذلك الأسلوب القصصى الذى كان يغريهم بالقراءة ثم يدس لهم سموماً كثيرة من شأنها أن تغير نظرهم كمسلمين إلى زعماء الإسلام وأبطاله وتجعلهم يحسون نحوهم بانتقاص شديد ، يزيل من هيبتهم ويقلل من مكانتهم ويصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على منصب أو حب أو مال . وهذه هى المحاولة الخطيرة التى يستهدفها الكاتب أساساً وإن أخفاها وراء مظاهر براقة من التصوير الفنى والعاطفى ، وقد كان لا بد من «إعادة النظر» فى أعمال هذا الكاتب الذى حاول كتابة تاريخ الإسلام من خلال كتابة تاريخ التمدن الإسلامى ومن خلال رواياته ، وقد اكتشف أمره مبكراً ، فلم يخف على أهل بجيله أنفسهم وقد نشرت مجلة المنار عدداً من الدراسات حول مؤلفاته من أهمها ما كتبه الشيخ شبلى النعمانى (المجلد ١٥ - ١٩١٢) فى نقد كتابة تاريخ التمدن الإسلامى والذى قال فيه : إن الغاية التى توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية ، وإبداء مساوئها ، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق ، وكذلك نشر الأستاذ أحمد السكندرى دراسة فى المنار عن مؤلفات جرجى زيدان ومنهجيه فى البحث ، وتحدث كثيرون عن (جرجى زيدان) : (الذى شوه التاريخ الإسلامى برواياته الفاسدة حيث اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية ، وكان عضواً فى الجمعيات الماسونية فى الشرق العربى ورافق الحملة النيلية إلى السودان عام ١٨٨٤ بصفة مترجم فى قلم الاستخبارات ، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية ورحل إلى لندن (١٨٩٠) ورجع إلى مصر فأنشأ مجلة (الهلال)

الذى كان موازياً لحلة المقتطف ، وكان محتضناً بالدراسات التاريخية في الأغلب وقد خدم الاستشراق والتغريب في هذه المرحلة خدمات جلى منها موقفه من السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية وهو موقف خصومة وكرهية (فقد كان كتاب المارون اللبنانيين هم عصبة الحرب على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد الذى وقف في وجه الصهيونية فسلطوا عليه كذلك كان موقفه المؤسف من الإمام مهدي السودان ، الذى تؤكد وثائق التاريخ أنه قام بحركة استقلالية إسلامية ناصعة ، كذلك فقد وسع دائرة الخلاف بين الصحابة وجمدة الخلافات بين الأمويين والعباسيين وجرى في ذلك مجرى المستشرقين الذين حاولوا إثارة هذه السموم .

والواقع أن طبيعة تكوين جرجى زيدان وقائع حياته توحى بأنه عمل في دائرة الاستشراق والتبشير الغربى وفق مخطط دقيق مآكر ، لم يكشف إلا بعد وقت طويل ، ومطالع حياته تعطى إشارة واضحة لذلك ، كما أشرنا وفي هذه الفترة وضع تحت إعداد دقيق وخاصة خلال إقامته في لندن حيث اتصل بمعاهد إعداد غير المسلمين للعمل في الشرق ، وفي هذه الفترة اتصل بالماسونية ولما عاد ألف كتابه (تاريخ الماسونية) الذى ما زال أكبر مراجع الماسونيين وهو في صف دعوتهم ، وقد كانت مجلة الهلال محاولة لنقل مفاهيم الفلسفة الماسونية الملحدة الإباحية إلى أفق الفكر الإسلامى بذكاء ومكر شديدين .

(وما يذكر أن صروف ، ونمر ، ومكاربوس ، أصحاب المقتطف) كانوا ماسوناً أيضاً وكذلك سليم سرديس ، والدكتور شيلى شمىل وجماعة الصحفيين المارون الذين انتشروا في أوروبا لحرب السلطان عبد الحميد والإساءة إلى سمعته ووصفه بالسلطان الأحمر . وكانوا جميعاً أولياء الاستعمار البريطانى ، وقد وصفهم اللورد كرومر بأنهم هبة الساء له .

فلما وقع حادث إسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وتولى الاتحاديون السلطة في الدولة العثمانية بدأ بالدفاع عنهم وسافر إلى هنالك وتلقى تعليمهم يقول السيد رشيد رضا (م ١٧ المنار - ١٩١٤) : ثم ظهر منه رأى من جرجى زيدان -- بعد الانقلاب العثمانى نزعاً جديدة تقدمتها نزعاً عدت أحياء المذهب

الشعوبية ذلك بأنه زار الآستانة ولقي فيها بعض زعماء جماعة الاتحاد التركي ثم عاد مشجعاً بالنهضة التركية مستنكراً مجازاة العرب لإخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوباً خطة الاتحاديين الأولى في تترك العنصر وإرغام العرب في الترك ، وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج ما كتبه جماعات فتیان العرب في الآستانة وسوريا وكادوا يحملون عليه في الصحف . أما النزعة التي سبقت هذه النزعة فهي مطاعن له في العرب أودعها كتابه تاريخ التمدن الإسلامي فطن لها أخيراً من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتاً إليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ التمدن الإسلامي ونشره منها بالتتابع فتشاور كثير من الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منه شيء . وقد أشار العلامة شبلى النعماني في نقده لكتاب التجديد الإسلامي إلى أن الغاية التي توخاها جرجي زيدان ليس إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساوئها ، ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول وألبس الباطل بالحق ، وبيان ذلك أنه جعل العصر الإسلامي ثلاثة أدوار فدح الدور الأول ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ، ومدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي ، ورأى أن بني أمية ليست له وجهة دينية فلا ناصر لهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة إلا وغزاها إليهم وما وجد حسنة إلا وابترها منهم وقال العلامة شبلى النعماني : لقد تعود المؤلف (جرجي زيدان) قبول مختلف أهل الكتاب وادهامهم ، وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامي بميزان غيرنا ولذلك يصغى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل . لا يعرف أن هذا الفن أى : كتابة التاريخ — له أصوله وقواعده ما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية فلا يلتفت إليه أصلاً ، فكان الناقل للرواية لا بد أن يكون قد شهد الواقعة فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية إلى من شهدها بنفسه ، ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم ومنها ألا تكون الرواية مختلفة الدراية ومجاري الأحوال ، ولذلك اهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شيء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم ودياناتهم ومحلهم من الصدق ، فدونوا كتب أسماء الرجال وكتبوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتباً غير محصورة منها الكامل لابن عدى والثقة لابن حبان وتهذيب الكامل للغري وتهذيب التهذيب لابن حجر

وطبقات الصحابة لابن سعد ، وميزان الاعتدال للذهبي ، ونجد كتب القدماء من مؤرخي الإسلام كلها أو أكثرها كسيرة بن إسحق ، وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره سلسلة الاسناد مبيّنة الأسماء ليتمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها .

ومما أخذ عليه وقوفه في صف خصوم المسلمين القائلين بأنهم (حرقوا) مكتبة الإسكندرية ، فقد أشار إلى ذلك أكثر من إشارة ثم عقد باباً لإثبات أن خزانة الإسكندرية حُرقت بأمر عمر بن الخطاب وقد أطنب في ذلك واستدل عليه بدلائل ، وأشار النعماني إلى أن المؤلف اعتمد على روايات ثبت كذبها وقال : إن أقدم من روى هذه الرواية هو البغدادي ، ذكرها من غير إسناد ومن غير إحالة على مصدر ، وقال إن أول شيء يهمننا هو : هل ذكر القفطي والبغدادي هذه الرواية مستندة وذكرنا مصدر الرواية واسم رواها أم لا .

وأنت تعلم أن البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول ، يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة على كتاب أما كتاب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين ، وهذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة والأخبار الطوال للدينوري وفتوح البلدان للبلاذري ، والتاريخ الصغير للبخاري ، وثقة ابن حبان ، والطبقات لابن سعد ، وقد تصفحناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الإسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر . (المنار م ١٥ - يناير ١٩١٤) .

وقال شبلي النعماني : واعلم أن مسألة إحراق خزانة الإسكندرية موضوع مهم عند أهل أوروبا ، وقد أطال البحث فيه نفياً وإثباتاً ، ومن ألم بهذا البحث جملة وتفصيلاً المعلم وايت والمعلم دى ساسي الفرنسي في ترجمة كتاب الأفادة والاعتبار واشفقن أردنك ودربير الأمريكاني ، صاحب كتاب الجدل بين العلم والدين ، وكرجين وسيديو في تاريخ الإسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبته عن الإسلام والعلم ، وقد طالعت كل هذه الأبحاث والمقالات ، والحاصل أن محقق أهل أوروبا قضوا بأن الواقعة غير

ثابتة أصلاً ، منهم جيبون المؤرخ الإنجليزي ودربير الأمريكاني ، وسديو
الفرنسي وكرديل الألماني ورنيان الفرنسي وعمدتهم في إنكار ذلك أمران :
الأول : أن الواقعة ليس لها عين ولا أثر في كتب التاريخ كالتطري
وابن الأثير والبلاذري وغيرهم ، وأول من ذكرها عبد اللطيف بغدادى
والقفطى وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرها مصدراً للرواية
والاستدلال .

والثاني : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام : أثبتوا ذلك بدلائل
لا يمكن إنكارها .

هذا مجمل ما أشار إليه العلامة شبلى النعماني . أما العلامة أحمد السكندري
فقد أشار إلى أن مما يؤخذ على جرجى زيدان أنه كثير النقل من مستعري
الإفرنج من غير تمحيص للدعواهم وأنه يخطئ في الحكم الفنى ، أى أنه
يقرر غير الحقيقة العلمية ، وأنه يخطئ في الاستنتاج ، وأنه يقيم الدعوى بغير
دليل ويخطئ في النقل وأنه قليل تحرى الحقيقة ، ويروج الدعوى بغير دليل
وتروج عند المؤلف أقوال الخصوم من خصومهم وأقوال الكتب الموضوعة
لأخبار المجان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها وأنه يستدل بحجائية واحدة .
على الأمر الكلى .

وعن كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أخذ عليه السكندري أنه
أغفل مدة حكم الفرس في اليمن بعد ذى يزن وكثرة شكه وتردده وتناقضه
في أكثر الحوادث وتخرجه الإعلام تخريجاً غريباً واختصاره التاريخ جداً
وإنكار بعض الحقائق البديهية في موضع وتشبهه بتحقيق بعض الظنون في
موضع آخر : ومما أخذ عليه ما أسماه (جسارته) في وضع الأسماء ،
والتقسيمات التاريخية ، مع ضعف الاستظهار كتقسيم أدوار تاريخ العرب
وتسمية الأمة التى سماها (استرابون) اليوناني جرهين بالقريتين نسبة إلى قرية
وهم اسم الإمامة أغنى أهل الأرض :

وكذلك أخذ عليه تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة
وتصديقه خرافات استرابون وهيردوت مع أنهما لم يندخلا بلاد العرب ولم
يرياها . وكذلك أخذ عليه سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات المكاتب

كفوله : (أقدم المصادر العربية المعروفة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة : القرآن) .

راجع : المنارم ١١ ص (٨٦٣ ، ٧٨٧) .

إن إعادة النظر في كتابات جرجي زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل اتجاه الاستشراق والتبشير والتغريب ، حاملاً شبهاته وسمومه وعاملاً على غرسها في أبحاث التاريخ الإسلامي ، وقد كانت هذه الكتابات مجهولة المصدر حتى إذا ترجمت دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها متعصبوا المستشرقين تبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر ، ثم جاء بعد ذلك طه حسين ، وأحمد أمين . وأمين الخولي وغيرهم فأدخلوا التاريخ الإسلامي مراحل جديدة أشد خطورة ، ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الذى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جرجي زيدان

أما المجال الذى استطاع جرجي زيدان أن ينفث سمومه فيه بحرية فهو مجال القصص فقد ألف عدداً من القصص تحت اسم روايات الإسلام دس فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية حيث أساء إساءة بالغة إلى أعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبي ، هارون الرشيد ، السلطان عبد الحميد ، عبد الرحمن الناصر ، أحمد بن طولون ، الأمين والمأمون ، عبد الرحمن الداخل ، شجرة الدر . وقد أقام تصوره على أساس خطير :

أولاً : تصوره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول إلى الحكم بأى وسيلة ولو كان على حساب الدين والخلق القويم مع تجريخهم واتهام بعضهم بالحق وتدبير المؤامرات .

ثانياً : تزييف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبني عليها قصصاً غرامية باطلة .

ثالثاً : استهدف من حشد القصص الغرامية ذات المواقف المسفة داخل روايات تاريخ الإسلام إثارة عزيمة الشباب وتحريك شهوة المراهقين مستغلاً ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التي يرمى إليها في روايات مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المكشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدنيا .
رابعاً : تبين من البحث الذي قدمه عالم أزهري درس باستفاضة روايات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في رواياته قد حرفت وبُنيت على أساس فاسد .

فقد ظل جرجي زيدان على حد تعبير الباحث الدكتور . . . ينقب وينقر ويجهد نفسه في مزج الحق بالباطل وتقديمه في أسلوب براق جذاب معتمداً على فن أدبي ذي أثر بالغ وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصاً على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحكمة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقاً ، وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالمة بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضي آبائهم المجيد .

خامساً : من أخطر شبهاته : أنه قال ببشرية القرآن وشك في مصادر العربية الأولى ، ومدح بني العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة الكلب (على حد قوله) ونسب إحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد طبع اللبنانيون روايات جرجي زيدان مزادته بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استمراء الشباب وحملهم على قراءة هذه الكتب التي لا تعطيهم إلا صوراً مشوهة لتاريخ أمتهم وأخباراً ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ :

سادساً : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متمسكة متكلفة في محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعاً : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخته العباسية وجعفر البرمكي بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاماً ويفزو عاماً بل وبما لا يتفق مع أيسر قواعد التفكير والمنطق السليم ، وفي رواية

أرماتنوسة المصرية حاول أن يقول : إن الحب بين أرماتنوسة وأركاديوس قائد حصن الروم هو السبب في هزيمة الروم وانتصار المسلمين وأتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلييس وهو مناقض تماماً لما أورده المؤرخون المتصفون .

ثامناً : في رواية فتاة غسان أورد شبهة بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخذ تعاليمه عن الرهبان وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا ، واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثنائق العهد النبوي ووصف حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالغرابة وادعى أن هناك خصومة بين خالد ابن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ، وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين .

تاسعاً : في رواية عن ذراء قريش أقام منطقته على تجريخ الصحابة وأتهم بعضهم بالحقق وتدمير المؤامرات وأتهم السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والنزوع إلى الشر ، ووصف الخليقة عثمان بأنه رجل إمعه وذليل ومستسلم لابن عمه ، وافتري على علي بن أبي طالب وفهسر الفتنة تفسيراً مغرضاً وأتهم علياً بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

العاشر : وفي رواية العباسية اتهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيراً خاطئاً ومغرضاً لقتل بني برمك ، وشوه شخصية العباسية أخت الرشيد .

الحادى عشر : في روايات (شارل وعبد الرحمن) : زعم بأن القواد وأمراء الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى وقد فتنوا بجمالهن وإن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم في ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من اهتمامهم بمسا عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم :

الثانى عشر : أجرى على لسان أبي مسلم الخراساني من الافتراء ما قال : من أن العرب كانوا يحتكرون غير العرب ويسومونهم سوء العذاب ثم يفتخرون عليهم بالنبوة وطمس معالم التاريخ الإسلامى في هذه الرواية بالدس

والافتراء وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهبانها ، وأشاد بالأديرة والرهبان
حيث جعلها ملجأ للضعفاء وملأذ التائبين والخائفين .

وفى رواية الأمين والمأمون كان واضح التحامل على العرب واصفاً
إياهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التى تربطهم بهم
رابطة الإسلام قبل كل شئ .

الثالث عشر : فى رواية فتاة القيروان حاول التشكيك فى أنساب الكثيرين
من حكام المسلمين وكذلك عمد إلى التشكيك فى نسب الخليفة المعز لدين الله
واعتمد فى قصصه الغرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف
فى جميع كتب التاريخ ، وخاصة حاكم سلجاسة الأمير حمدون ، بل أن صاحب
سلجاسة فى كتب التاريخ يختلف تماماً عما جاء فى رواية زيدان مما يؤكد
ميل زيدان إلى التزوير والتحريف :

بل أن صاحب سلجاسة هو محمد بن داسول وليس الأمير حمدان ولم
يقبل ابن الأثير : إن له بنتاً شغلت القائد جوهر فخطبها لابنه وقد أعطى زيدان
اليهود فى روايته دوراً إيجابياً وجعلهم أصحاب الفضل الأول فى إزالة الدولة
الإخشيدية وإقامة دولة الفاطميين مقامها .

الرابع عشر : فى رواية صلاح الدين تلقى وتزوير وإفساد للمجتمع ،
فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره أستدعى صلاح الدين
وأوصاه بأهله خيراً ، وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويغات وحاصر
قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه ، ولا ذكر فى كتب التاريخ لتلك
الوصية ولا إشارة فى كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه ، وهذه الوصية
التي ذكرها زيدان لم ترد فى الكامل لابن الأثير ولا غيره ، فهى ملفقة
مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير وحولها
تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة
ولم يعن المؤلف بالتصوير الحى لشخصية صلاح الدين ولم يسجل مواقفه
الحاسمة وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذى قام به صلاح الدين
بالحديث عن مكائد الحشاشين وتهديدهم لصلاح الدين واعتمد على روايات
طائفة الحشاشين تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح
الدين قصصاً غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية شجرة الدر حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتآجرن بأعراضهن في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه ، وليس معه أى دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التى أوودها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة فى الكتب التى أرخت لهذه الفترة من أمثال :

النجوم الزاهرة : لأبى المحاسن .

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار : للمقرئ .

صبح الأعشى : للقلقشندي .

السادس عشر : وخلاصة ما يصل إليه البحث حول روايات جرجى زبدان

١ - تحوير مواقف الشخصيات التاريخية :

٢ - إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية .

٣ - تعمد إغفال الحوادث التاريخية المهمة .

٤ - إضفاء هالات مثالية على الأديرة والرهبان .

٥ - التلاعب بالمصادر والمراجع .

* * *

قالت مجلة الموسوعات عام (١٨٩٩) لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية فاختلق شخصاً ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية البارزة ما ليس فيها مما أثار جمهور المسلمين : فعذراء قریش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها إلا في ذهن المؤلف وقد يكون له بعض الحق في هذا ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبي بكر المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء . بل إن صاحب الهلال بنى على هذا الباطل باطلاً فاختلق سبباً من عنده ليس له أساس تاريخي في تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبي بكر كان سبباً في ازدياد هياجه على عثمان ونسب إلى الحسن ابن علي عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيره محمد بن أبي بكر منه وادعى أن الإمام علي أعجب بعذراء قریش عندما دخلت عليه في زى رجل مع أن الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وقد عرف عن علي تمسكه بالدين مما ينفي عنه أن يعجب بمثل هذا وقد أقر جرجي زيدان بخطاه في هذه الوقائع (هلال مايو عام ١٨٩٩) ويحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذي وقع في شبكته الصياد ، ويقول : (إن المحلة انطوت وبقيت القصة في أيدي القراء يعاد طبعها دون التفات إلى هذه الملاحظات) ، وقد أرسل العلامة رفيق المعظم إلى جرجي زيدان (مايو عام ١٨٩٩) يؤاخذ على إغفاله الاعتبارات التاريخية ويستنكر تأليف التاريخ الإسلامي برمته في قالب قصصى . وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين فقد انتقد في شأن هذه القصص الأخبار الكاذبة ، وثانياً نسبة العشق والغرام إلى رجال سلفنا الكرم ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك في التعليق على قصة الحجاج بن يوسف فقالت : الحوادث الغرامية لم تسند إلى أحد من رجل السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن هذه الانحرافات ، هذا فضلاً عن الأخطاء في الأمور التاريخية المستورة .

* * *

الفصل الثالث

الفن والمسرح

١ - نجيب الريحاني .

٢ - زكي طليمات .

٣ - يوسف وهبي .

جاء هذا الفن الوافد إلى المسلمين من الغرب ، واستطاع أن يسيطر ويتسع خلال أكثر من قرن من الزمان دون أن يتمكن المسلمون من توجيهه وجهة صالحة أو خالصة تتفق مع أخلاقيات الإسلام وقيمه ، بل استطاعت القوى المسيطرة أن تفسد به مفاهيم الإسلام الأصيلة وأن تحرف به كثيراً من القيم ، وأن تدخل به على الأصالة الإسلامية تحريفات ضالة وآراء فاسدة ، وبالرغم من الدعوة إلى إقامة مسرح إسلامي وفن إسلامي فإن عائلة المسرح الغربي الوافدة لا تزال مهيمنة في مختلف المجالات بعيدة الأثر في إيجاد الانحرافات في نفوس الشباب والفتيات ، بل الآباء والأمهات يقول زكي طليمات وهو من دعاة المسرح الوافد :

إن المسرح يعكس الحياة في مختلف صورها ، ويقدم المحاسن والأضداد والخير والشر ، والقصص والابتذال ، هذا إذا كان الهدف طيباً ، أما إذا كان الهدف سيئاً فإن الخير والتصون والمحاسن تختفي تماماً ، وإن قلم الكاتب المفسد يستطيع أن يرسم الجانب الهابط وحده وجانب الرذيلة بدعوى أن هذا هو واقع المجتمعات ، وإن هذا هو الأدب الواقعي ولا شك أن الشرير في الرواية يعدد فوائد الخمر ويصفها بالساحر الذي يبدد الهموم وبالبلسم الذي يداوى كل الأمراض ، وهذه المعاني تدخل إلى النفس وتستقر فيها ولا يخرجها منها تلك النهاية التي نراها في آخر المسرحية ، ويقول : إن خدعة النهاية هذه من مؤامرة المسرح وصناعته ، فبعد أن يرى المشاهد ساعتين كاملتين من السموم والإباحية والفساد والانحراف ويستمتع إلى قاموس كامل لكل

الألفاظ القبيحة ، يكون من الخلداع المضلل أن تأتى النهاية فيهنزم معها الشر وينتصر الحق : بعد ماذا وقد تركت هذه المفسدات على ذلك المدى الطويل أثرها في النفس وهبطت إلى قاع الأحاسيس ، وأحسن المشاهد أن ذلك كله مشروع ومباح ويمكن أن يقع ويصنع .

إن من أكبر عيوب المسرح أنه يجسم الخطيئة والزبيلة ويقدم الدفاع عنها في ثيابا مهاجتها ، فهو أسلوب رديء في عرض الشر بينما يمكن أن يكون العرض في مجال الكتابة أخف من ذلك أثراً .

ولا ريب أن المسرح فن غريب على الأدب العربي دخیل على الفكر الإسلامى ، قد فرض فرضاً في وقت لم يكن المسلمون يملكون إرادة الأخذ والعطاء من الحضارة الغربية ، بدأ تحت اسم الإضحاك والتسلية ، ثم لم يلبث أن فرض نفوذه وسلطاته وأصبحت له تقاليد ومدارس ودعوى عريضة بأنه فن) .

وما أعطى المسرح هذه الأهمية أن القوى التغريبية أرادت أن تقتل به قيم المجتمع الإسلامى وأن تدخل مفاهيم جديدة معارضة للإسلام في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة ، بل أن بعض الأبدولوجيات كانت ترى أن المسرح هو بديل الكنيسة ، ولما كان المسرح في الغرب قد بدأ في خدمة الوثنية ، ثم تحول إلى خدمة الكنيسة ، فإنه لم يلبث أن عمل في خدمة الماركسية والوجودية ، وحمل جميع سموم الدعوات الضارة وطرحها على المشاهدين والمتفرجين الذين لا يملكون المعارضة أو المناقشة فيما يقدم إليهم وهذا أخطر ما هنالك ، ثم جاءت قوى خادمة للتغريب والغزو الثقافى فسيطرت على هذه الملاعب (كتابة وإخراجاً) على نحو غاية في الإفساد والإجرام .

وعندنا أن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية الهاوية هي محاولة تصوير الإضحاك والرقص والعري والكشف والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها فن رفيع ، له أصوله العلمية وضوابطه التى يتخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتى يتقدم فيها البعض بأطروحات دكتوراه ، فهناك دكتوراه في الرقص ، ودكتوراه في المسرح ، ودكتوراه في الديكور ، والإخراج ، كلنا هذا الفساد والتبريج البالغ

حدده من الإقذاع هو بمثابة فن عال وعلم رفيع ، بل أن هناك من يصف المسرح بصفة القداسة ، ويصف الفن بصفة الخلود ، وقد خالت هذه الأباطيل المضللة على قومنا فصدقوها ، وكان عليهم أن يكونوا أشد حنكة وحكمة فلا يسقطوا هذه السقطة وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع والتضليل البالغين حد الفساد والإفساد .

إن مفهوم الإسلام للفن يختلف اختلافاً واضحاً عما يقدمه هؤلاء الذين تعلموا في الغرب من خلال العقدة والمأساة والصراع بين الإنسان والآلة فالفطرة الإنسانية الإسلامية لا تقبل هذا المفهوم الوثني الضال .

إن الإسلام يجعل أخلاقية الفن مقدمة عن جماليته ، ولا يضحى بالقيم الأخلاقية في سبيل التسلية أو الإضحاك أو الترفيه . واستخدام الفن إنما يرمى في الإسلام إلى إبراز قيم الحق والاستقامة والخير وليس لاعتبار الجمال أو الحرية المطلقة بمثابة القيمة المطلقة وليس الهدف في مفهوم الإسلام غاية وإنما هو وسيلة إلى تربية الذوق والارتفاع بالإنسان فوق الأهواء والشهوات وفوق الرزيلة والحس الشهوانى .

والفن من وجهة نظر الإسلام ليس مستقلاً ولا كاملاً بذاته ولكنه تابع لحياة البشر وميدان الفن هو الحياة ذاتها وليس للفن معنى إذا لم يرتبط بالحياة والإنسان والمجتمع .

فالإسلام يقدم الأخلاق على الجمال ويقدم المضمون على الإسلام وهدف الفن في الإسلام هو نقل أو إيصال اسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل ومؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم (على حد تعبير الأستاذ محمد شمس الدين صديق) ولكن هل يتوفر هذا الآن والمسرح بأيدي أولئك العتاة من أولياء مدرسة التغريب والشعوبية ؟ وهل هناك أى طريق لإمكان قيام مفهوم إسلامي للمسرح .

• • •

خضع رجال الفن لتيارات التغريب والغزو الفكرى التى هبت على العالم الإسلامى وكانت الفنون والثقافة من أكبر أهداف المؤسسات التى قامت

لهذا الغرض ، وقد استطاعت الماسونية احتواء عدد كبير من المشتغلين بالفن والمسرح وكان عبد العزيز حمدي قد كون محفلاً يسمى : محفل الفنان المصري عام ١٩٤٧ وذلك بهدف توظيف الفن في خدمة الماسونية . وقد قام هذا المحفل باحتواء عدد كبير من الأسماء اللامعة في سماء الفن والمسرح في ذلك الوقت وكان لهذا أثره في تحول هذه الأداة في خدمة أهداف النفوذ الغربي ، باستهواء الجاهل بالإنماء والإشارة ، وكان من نتيجة ذلك تلك المحاولة التي خطط لها أعداء الإسلام بإعطاء الفن لفظ القداسة والفن الراقى . وقد اتسع نطاق ذلك إلى المسرح والسينما وحفلات الرقص والإخراج ، بل إن المحاولات التي جرت ولا تزال تجرى لإخراج أفلام أو مسلسلات إسلامية فإنها تقدم من وجهه نظر مخططات معادية للإسلام ترى إلى تصوير أعداء الإسلام في صورة البذخ والقوة والتملك وترسم دعاة الإسلام في صورة الفقر والتخلف وترى هذه الخطه إلى :

أولاً : إفساد الذوق الإسلامى ونشر الرزيلة ومحاربة العادات والآداب الإسلامية بمختلف الوسائل كالإكثار من عرض مناظر الجريمة والقتل والعنف وشرب الخمر والفسق حتى يعتادها الناس .

ثانياً : أفلام الجريمة التي هي درس للمراهقين في السرقة والاعتصاب والاحتتيال .

ثالثاً : أفلام الجنس الخليعة التي لا تهدف إلا نشر الإثارة ونشر الرزيلة .

رابعاً : الأفلام الدينية تهدف إلى الخط من شخصيات الإسلام ، وإبرازهم في صورة باهتة وتزوير تعاليم الدين أو نقدها .

خامساً : إعلاء شأن العامة وتسجيل أحاديث العاهرات وتصرفات اللصوص والقتلة وتخيل الرقصات والمهرجين :

* * *

الفصل الرابع

دعاة التغريب

- ١ - ساطع الحصري .
- ٢ - سلامة موسى .
- ٣ - توفيق الحكيم .
- ٤ - لويس عوض .

(١)

ساطع الحصري

(القوميات)

قال عنه الأستاذ على الطنطاوى : هو الذى جارب الدعوة الإسلامية عمره كله بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته حرباً علمية منظمة وكان أسلوبه فى محاربتها هو العمل على إحلال « العربية » محل (الإسلامية) وهى بذاتها دعوى الجاهلية التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وبين أن صاحبها ليس منا وإقامة برامج المدارس على هذا الأساس الواهى ، وهو أنصح ثمرة من ثمار المدرسة الاتحادية التركية تعلم فى مدرستها وآمن بفلسفتها ونقل فكرها ومضامينها إلى العرب . ومدرسة الاتحاديين التى أنشأت تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى ، هى صناعة النفوذ الغربى لتحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة التى كانت تمثلها الخلافة الإسلامية العثمانية وخلق القوميات والأقليسيات ، وقد عاشت هذه المدرسة فى حضانة الفكر المادى الفرنسى ، وكان رجالها من أتباع هيجل ونيتشة والفلسفة الوضعية أوجست كمت ، والتشبع بالنظرة الطورانية العدوانية ، وقد نادى ساطع الحصري بمفهوم القومية العربية الوافد الممتد من النظرية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا ، وقد ركز على اللغة وعزلها عن الفكر الإسلامى ، كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن الفكر الإسلامى وفق نظرية ضيقة أوربية وقد اعترف بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ، ورفض اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً . ومفهومه

للإسلام ناقص ، وهو مفهوم العلمانيين الاتحاديين في تركيا ، وقد فهم الإسلام على أنه دين ، كما فهم الأوروبيون المسيحية لم تفرق بين الدين ثقافة أو الإسلام ولم تفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التي تختلف فيها عن مفهوم القومية وقد قاوم التجزئة والإقليمية ولكن ليس بأسلوب الأصالة بل بأسلوب وافد وقد هاجم القومية السورية ، ثم هاجم البعث في سنواته الأخيرة ولكن دون أن يصل إلى أصالة مفهوم العربية وتربطها مع الإسلام ، هذا الترابط الجذري الذي لا سبيل للانفصال عنه .

وقد حمل فكر ساطع الحصري من حيث هو فكر في داخله تناقضاً كبيراً بين موقفه من الماركسية ومن الإسلام ومن الاحتلال الغربي ، مما تبين معه صعوبة تماسك منهجه الملتق ، الذي كان يهدف مع فكر الأرسوزي وعقليته وآخرين إلى انفصال نظرية القومية عن مفهوم الترابط والتكامل القائم بين العروبة والإسلام وتفريغ العروبة من مفهومها الجامع روحياً وفكرياً وعقائدياً بالإسلام ، واستبقاء روح الصراع بين القومية ودول الغرب .

وقد تبين اليوم أن العالم الإسلامي قد تجاوز القومية وأن العرب أنفسهم قد تجاوزوها ولكنها تحاول أن تستيقظ من جديد في إطار من الماركسية والبعثية والناصرية القديمة بعد أن قضت الأحداث عليها وأثبتت الوقائع التاريخية أنها ليست صالحة للعطاء وأنها محاولة باطلة إذا استقلت بذاتها ولم تكمل تسلسلها التاريخي والاجتماعي .

* * *

سلامة موسى

(التغريب)

إن إعادة النظر في كتابات سلامة موسى في مطالع القرن الخامس عشر إنما تأتي نتيجة لتلك المحاولات التي ترمى إلى طرح فكره ونظرياته ومطبوعاته مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامى بعد أن تجاوزها الزمن .

ومن أسوأ سمومه مهاجمته للفصحى ، ودعوته إلى العامية ، ودعوته إلى العلمانية والاشتراكية ودعوته إلى تفريغ التعليم والثقافة من مفهوم الإسلام الذى يسميه (الدين) وحرية المرأة كما يفهمها الأوربي ، مع حملة ضخمة على الإسلام والشرق فيقول .

(أنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، إني أجعل قرأى يولون وجوهم نحو الغرب ويتصلون من الشرق) .

وهو الذى روج للراون وفرويد سنوات طويلة ثم تبين أن آرائه كلها منحرفة وناقصة ، وقد حاول أن يغير رأيه في السنوات الأخيرة بعد أن تجاوزته متغيرات الفكر والحضارة :

بل إن سلامة موسى يرفض الحقيقة القائلة بأن الغرب قد أخذ من الشرق الثقافة في القديم وحتى بالنسبة للمسيحية فإنه يمارى في مغالطة واضحة فيقول :

لا يمكن القول أن أوروبا استفادت ديانتها الراهنة من الشرق ، ولكن يجب أن لا نلقى القول جزافاً ، فالديانة المسيحية مؤلفة من عنصرين أحدهما خاص باللاهوت والآخر خاص بالأخلاق ، فالأول وهو اللاهوت يرجع الفضل فيه إلى المصريين ، فإن النظريات الخاصة بالثالوث المقدس أو التجسد أو البعث هي نفسها تلك النظريات التي كانت شائعة عن المصريين ونظرية الثالوث هي أهم أركان الديانة المصرية القديمة فإن الربة أبيس هي العذراء التي تلد هورس من رب الأرباب أوزوريس ، ويمكن أن نتتبع تطور الفن لمسيحي حتى تصير أبيس وابنها هورس كلاهما مريم وابنها السيد المسيح

أما من حيث الآداب المسيحية فالفضل فيها يرجع إلى الإغريق ، فإن من يقرأ
لمجادلات الرسل يشعر بالروح الإغريقية الذي كانوا متشبعين بها في تبشيرهم
الأهم الوثنية) .

وسلامة موسى في هذا الاتجاه يعارض الحقائق الصحيحة لتطور الفكر
المسيحي والغربي ولكنه يجرى وراء غايته الأساسية وهو التنكر لكل فضل
للشرق أو لميراث الإبراهيمية الحنيفية الذي ظلل هذه المنطقة قبل رسالة موسى
ورسالة عيسى عليهما السلام .

وقد صدق الأستاذ عباس العقاد حين قال : أن سلامة موسى جمع
من متناقضات العلم ما لا يفوقه فيه إنسان في هذا الصدد ، ومن ذلك قوله
أن أكبر تأثير في مصر في العصور الحديثة هو إسماعيل باشا الذي حاول
أن يجعل مصر الشرقية الآسيوية أمة حديثة غربية وبلغت ثورته أن حض
المصريين على الزواج من الغربيات ، ذلك لكي يجعل بيوتنا وعاداتنا المنزلية
غربية ؛ وأن عرابي كان من العامة فلم تفلح ثورته وانعكست على يده الغاية منها .

وقال العقاد : إن سلامة موسى يشتري الأرض ويتجر بتربية الخنازير
ويسخر العمال ويتكلم عن الاشتراكية التي تحرم الملك وتحرم سلطان رأس
المال وهو يعيش من التقدير عيشة القرون الوسطى في الأحياء العتيقة ويتكلم
عن التجديد والمعيشة العصرية ، وهو ينعى الحضارة الآسيوية وأنه لنرى
طواياه يذكرنا بخلائق البدو والمغول في البراري السiberية : ذلك أن الكاتب
الذي يكتب ليحقق ويحقق ليكتب ويدين بالمذاهب ليربح منها ولا يتكلف
لها كلفة في العمل أو في المال : وأنصف السخف قول هذا الكاتب :

إن اليساريين يفضلون اللغة العامية لأنهم شعبيون مستقبليون ومصيبة الدنيا
أن تحشو هذه البيغاوات أفواههما بما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهي
لا تعرف ما تحت أنوفها مما تسمعه بالأذان وتبصره بالعيون :

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليست بلغة الشعبيين ولا من يحبون
الخير للشعوب لأن الغنى الجاهل يتكلم العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز
بفهمها على الفقراء .

عندما فتحت أبواب الحرية في الكتابة انطلق أصحاب الأهداف التغريبية يؤيدون العهد الجديد ، ليتاح لهم بث أفكارهم التغريبية الخطيرة بحرية وعن ذلك نجد سلامة موسى يبرز بكتابه (الثورات) الذي هو خدعة أساسية للفكرة الماسونية التي تعمل على تحطيم الأنظمة الروحية والأحكام الأخلاقية في العالم الإسلامي ، معلياً من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها قمة الثورات وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الدوافع والغايات التي أحاطت بها وأنها هي ثورة الماسونية الحقيقية التي أخذت تعد لها منذ : فولتير وروسو وديدرو التي غيرت وجه أوروبا كلها في سبيل تمكين اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الانتماء الوطني بديلاً للانتماء الديني والقضاء على التنظيمات المسيحية التي حاولت وقف خطرهم وسيطرتهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية في أوروبا بل إن البروتستانتية كما تبين من بعد كانت في خدمة أهداف الماسونية والصهيونية . وتتجلى بوضوح هوية سلامة موسى في أول عدد أصدره من المحلة الجديدة (ديسمبر عام ١٩٢٩) كأنما أراد أن يسجل برنامجاً التغريبى كاملاً فأورد هذه الموضوعات : العلم وحده ، المحددون يقولون بالتطور ، دارون ، ، الفرعونية ، الإغريق ، الصراحة في المسائل الجنسية ، البهائية ، الرجعية ، الوطن والعالمية ، التجديد في تركيا ، الشرق شرق ، والغرب غرب ، الأزمة الدينية في العالم ، اللغة العربية ، المادية ، العقل وحده ، غاندى ، السفور في العالم الإسلامى ، فولتير ، هافلوك أليس ، نيتشة ، البشرية دين جديد ، التعليم ، السلفيون والمحددون .

ويقول نعمان عاشور عن سلامة موسى وهو أحد تلاميذه : إن آراءه واتجاهاته كانت تنجح في معظمها للتطرف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفى نزعته الطائفية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه اضطر أن يكشفها في جريدة مصر ، وكان يكشفها لتلاميذه في اجتماعاته الخاصة مع دعواه الدائمة في كتاباته على نبذ التعصب وإبعاد الذين عن الخلافات السياسية والمذهبية الاجتماعية والتطلعات الوطنية والقومية .

وكانت أهم أعماله :

١ - دعوته إلى الفرعونية .

٢ - مناداته بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .

٣ - نظراته الإباحية في معالجة الجنس .

٤ - النظرة الماركسية .

عمل سلامة موسى في جمعية الشبان المسيحية ، وما وصفه نعمان عاشور بأنه حديه على الشباب ، والندوات والمحاضرات والمناظرات التي كان يشترك فيها وملتقى كثير من الشبان المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون بما يعتقد على أساس الإيمان بالغرب وكراهية الإسلام ، وكان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة يكتب كل منهم رده على ما يوجهه إليهم من أسئلة كشباب ليعطوها له في آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميداني لمشاكل الشباب :

* * *

(٣)

توفيق الحكيم

(التغريب)

بالرغم من أن توفيق الحكيم قد جمع أوراقه منذ وقت طويل وأعلن أن شجرة الموز لم تعد تطرح ثمراً فإنه ما زال ينثث سمومه في كل مناسبة فقد أثرت عليه الفائرة دعوته إلى فندق العالم ، وقد كانت آثار كتابه عودة الوعي لا تزال تكشف عن تراجمه الخطير في تأييد مواقف الأمس ، وكان أخطر ما ذكره في كتابه وثائق في طريق عودة الوعي (ص ٧٧) قوله أننا نحتاج إلى ثورة علمانية وإعادة العقل وسيطرة العقل . ومن قبل كان موقفه في ندوة القذافي وحديثه عن تطوير الإسلام ، والإسلام لا يتطور بمفهوم الأيدولوجيات والنظريات التبشيرية وهو ما زال يتمخبط بين الدعوة إلى (تحرر الفن) أى تمكينه من الرذيلة والإباحية إلى الاشتراكية إلى العلمانية وفي هذا كله يبدو توفيق الحكيم الملقن الصادع بالدعوات التي تمزق إطار الفكر الإسلامى الأصيل :

ولست أدري من الذى يقول كلمة حق عن هذا التراث الطويل المضطرب هل هؤلاء الذين كتبوا : توفيق الحكيم (رائد بلا نظرية) ومن ذلك قولهم : يعيش توفيق الحكيم في إطار الأساطير

١ - ويعتمد وجهة نظر الكتاب المقدس في القصص : أهل الكهف وسليمان الحكيم .

٢ - ويعتمد وجهة نظر المأساة اليونانية : في الملك أوديب وبجماليون : فهو محصور في الجو اليونانى الأصلى ، لم يخرج عن دائرة النص ، ولم يخطم الأسوار اليونانية بل التزم بها .

٣ - الحضارة الفرعونية ، وفيها يعود إلى النصوص الفرعونية وكتاب الموقى - إيزيس .

٤ - الأفكار الوجودية : مسرحية السلطان الحائر :

- ٥ - مدرسة اللامعقول : يا طالع الشجرة (بكيت ويونسكو) .
٦ - تأثره بالمذ اليسارى والاشتراكى (١٩٥٥ - ١٩٥٨) الواقعية
الاشتراكية فى الفن والأدب .

ويقولون : إن شخصية توفيق الحكيم من الشخصيات الحساسة التى تتأثر
بالأفكار السائدة تأثراً سريعاً وملموساً .

ولقد سار على طريق طه حسين فى إفساد المفهوم الإسلامى السائد
فى تفسير التاريخ وعنده تغلب الصورة الفنية على الحقيقة التاريخية ،
ومنذ وقت بعيد كان توفيق الحكيم شأنه فى ذلك شأن كل دعاة التغريب
يلتقط المواقف ليحدث الدوى ويطرح النظريات الوافدة وفى (عام ١٩٣٧)
كتب مقالته المشهورة (آن الأوان أن نلبس القبة) وقال أياها الشباب أقدموا
على لبس القبة ولا تخشوا شيئاً ما دمت مقتنعين بأن الطربوش لم يعد يصلح
لحاضرهم ولا لمستقبلهم .

ورد كثيرون على توفيق الحكيم : قالوا إن هدفه من لبس القبة إعلانه
انسلاخ ذلك القطر عن الجانب الذى فيه التاريخ الإسلامى والالتحاق بالجانب
الذى فيه القافلة الأفريقية ، ولا يدعو شخص إلى تعميم القبة فى قطر إسلامى
إلا إذا كان الإسلام هيناً عليه وإلا إذا كان يرتاح فيما بينه وبين نفسه
إلى تقليص ظله . وقال الأمير عمر طوسون فى الرد على توفيق الحكيم :
فى اعتقادنا أن الذين يدعون الآن إلى لبس البرنيطة إنما يريدون لأنفسهم
الانطلاق من قيود الدين والعرب والعادات القومية الشرقية ، وقال السيد
محب الدين الخطيب : فالدعوة التى بينها توفيق الحكيم لتكوين عصاة
من المصريين تخرج فى وقت معين بالبرانيط هى وليدة الاقتناع بضرورة
انسلاخ المصريين عما كانوا فيه وأخذهم بالتفرنج بحذافيره تقليداً لما فعلت
أنقرة ، ولكن أنقرة فعلت ذلك اعتقاداً بأن الإسلام عربى وأنه أجنبي عنها
وأنها تريد الرجوع إلى القومية التركية وتترك كل ما يحيط بها فهل لتوفيق
الحكيم لغة غير اللغة العربية وقومية غير القومية العربية ، ولكن لطمه القبة
التي تلقها دعوة البرنيطة من شباب الجامعة هذا الأسبوع كانت أليمة جداً وقد
دلّت أن البرنيطة ليس لها عروس تقبلها فى هذا الوطن .

وفى مجال آخر عرف الإسلام والأديان تعريفاً استشرافياً علمانياً ، فقد قال فى مقال نشرته الرسالة تحت عنوان نجم أحمد عام (١٩٣٧) : إذن فالإسلام وكيف ظهر الإسلام بظهور محمد ، والمسيحية بظهور المسيح ، واليهودية بظهور موسى . وبعد أن ذكر أن كل الأديان تتحد فى الجوهر وتختلف فى المظهر قال : هنا نخطر بالبال سؤال ، هو تجوز المفاضلة بين الأثواب وهى كلها من صنع الخالق المعصوم الذى لا يبيغى أن يخطئ ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه . إذ أن جوهر الحق وحده من شأن الله ، أما الأسلوب الذى يعرض على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قبل الإجابة إلى هذا السؤال يجب النظر فى قضية أخرى ، هل للطبع والمزاج والخلق الذى ركب عليه النبى أو الرسول أثر فى رسالته ؟ هل شخصية الرسول تطبع بنجاحها شكل الدين الذى يدعو إليه ؟ هل بطروف العيش التى نشأ عليها النبى دخل فى اتخاذ القالب الذى أفرغ منه . موضوع النبوة أن أجب على كل هذا الإيجاب ، فإن التبعة فى أسلوب الأديان تقع بلا مرأى على كاهل الأنبياء . والنبى مسئول عن الطريق الذى اتبعه للإبانة عن (الحق) مسئولية ملقاة على شخصيته التى صبغت الشريعة بصبغتها .

قال فى الرد عليه محمود أبو رية : الكاتب يعنى إنه ما دامت الأديان تختلف فى المظهر فإن هذا الاختلاف لا يكون من الله لأن الله سبحانه لا ينبغي أن يخطئ ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه ، وإنما مصدره الرسل والأسلوب الذى يعرض به الدين على الناس هو من شأن الرسل فقط وكل أسلوب خاضع بطبع الرسول ومزاجه وخلقه . أى أن كل دين من وضع من يدعو إليه وبهذا رأى الجبار الذى بعث به تفكير الأستاذ توفيق الحكيم يكون دين الإسلام هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الأسلوب أثر من طبعه ومزاجه وخلقه ، وأن شخصيته هى التى طبعت نجاحها شكل الدين الإسلامى ، هذا هو الإسلام فى نظر الأستاذ توفيق الحكيم فهو ليس وحى من الله ، وليس هو منزل من عند الله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع شكله وصيغ قالبه ثم خرج يدعو الناس إليه ألا فليعلم الأستاذ توفيق الحكيم أن دين الإسلام الذى اصطفى الله له من عباده من بينه للناس لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدرى منه شيئاً ولا يعرف قبل أن يبلغ

الأربعين أنه سيوحى إليه : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإليك التهدي إلى صراط مستقيم » ، وأنه ما كان يؤمل أن ينزل عليه وحى وأن الله قد علمه ما لم يكن يعلم ، وأنه كان لا يتبع إلا ما يوحى إليه ، هكذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم (وكل هذا وارد في آيات القرآن الكريم) . إن دين الإسلام ليس من طبع النبي ولا من مزاجه ولا من خلقه ولا من شخصيته ولا من ظروف عيشه في شيء ، وإنما هو وحى نزل عليه وأوجب الله عليه أتباعه والدعوة إليه وتبيينه للناس .

وإن اختلاف الأدبان في المظهر يرجع إلى أن كل رسول يبعث إلى أمة بآتيها من الأحكام والتكاليف بما يطابق حاجتهم في مجتمعهم ، والأستاذ وهو رجل قانون يعلم أن طبائع العمران تختلف باختلاف الأزمان فيما يصلح للناس في زمن لا يكون صالحاً لغيرهم في زمن آخر ، وظل الأمر كذلك إلى أن أدركت البشرية رشدتها وأصبحت في حاجة إلى دين عام دائم لا يتبدل ولا يتغير ، صالح لكل زمان ومكان ، ومن ثم بعث إليه محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الكامل والكتاب الخالد والاختلاف في الأدبان لم يتناول أصولها ولم يمتد التغيير إلى أركانها ، وإنما كان هذا الاختلاف في بعض الأحكام والتكاليف ليكون بحسب مزاج كل أمة ، والشرائع كالقوانين تتبع البيئة والاجتماع ، أما أصول الأدبان وهى الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهى لا تتغير أبداً .

ولا يكتفى توفيق الحكيم بمتابعة الفكر الاستشراقى الوثقى بل أنه ليذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد كتب يطلب تعميم اختلاط النساء بالرجال ويقول : إذا كانت إخلال الرجل والمرأة متينة فلا ينبع عن هذا الاختلاط خطر ، وإذا كانت النتائج سيئة فهذه مرجعها سوء خلق هذين الشخصين ، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : وهى مغامرة لابد منها في هذا العصر الحديث وما الغم والكسب إلا ثمناً للخطر ، وهذا أسلوب الماسونية والمبادئ التلمودية التى نشرها فرويد ، ودوركايم ، وسارتر فجري في هذا الطريق ، هذا فوق موقفه من الوحدة الإسلامية وعلاقة العروبة بالإسلام مما تبناه في مجالات أخرى .

ويمكن تلخيص أخطاء توفيق الحكيم فيما يلي :

أولاً : افترى على الحق حين جعل العز بن عبد السلام عاشق غانية يلين لها ويتوسل وما هكذا كان العز ولن يكون .

وقد يكون هذا الانحدار الشائن (وهذه عبارة الشيخ محمد مدعاة غضبه عندما انتقده أمين الخولي في الأهرام قال : إن الروائي لا يتقيد بالتاريخ وإنما يريد أن يصور النفس البشرية ولكل نفس مهما ارتفعت مثالب ومحرجات ، والعز وإن لم يكن في تاريخه ما يوحى ذلك المسلك فهو بشر ينتظر أن يحدث منه هذا وإن لم يحدث ، وهذا كلام باطل لأن العز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا في أفق الطهارة ، فمحاولة إلصاق التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة ، ولا تشرف كاتباً كالحكيم) .

ثانياً : لم يكن توفيق الحكيم أكثر من قنطرة لمروء الأفكار الواهية ، المسأسة اليونانية ، نقل الفكر اليوناني الإغريقي الإباحي الضال (لم يحطم الأسوار اليونانية بل التزم بها) .

الأفكار الفرعونية ، تابعها وعرضها بكل ما فيها من أساطير ووثنيات ، الاشتراكية ، الوجودية ، الالامعقول في مسرحيات الصيفة ، والسلطان الحائر ، ويا طالع الشجرة . وهكذا عاش حياته الفكرية كلها خاضعاً للتيارات التي تضرب موجاتها في جدار الفكر الإسلامي دون أن يستطيع أن يقدم شيئاً فيه أصالة عربية أو إسلامية حقيقة . ومن أخطائه أنه يقدم الفكرة الفنية على الحقيقة الإنسانية ، وقد كان على مدى حياته تابعاً للفكر الغربي ، الفن للفن ، تحرير الشباب من قيد الأصالة . سوء رأيه في العرب .

(٢)

الولاء للفكر اليهودي لتوفيق الحكيم ظاهر في اعتياده التوراة في كتاباته عن الملك سليمان وعن أهل المكهف ومعارضة مفهوم القرآن فيهما ، ومن ذلك دعواه إلى التقريب بين الأديان الثلاثة ، مع جماعة من الصحفيين ورجال القانون ، وهذه أخطر مراحل حياة توفيق الحكيم . فلما تغيرت الظروف .

بدأ يعمل في ميدان آخر أشد خطراً ذلك الذي أسماه (الحوار مع الله تبارك وتعالى) والذي خاض فيه خوفاً شديداً .

إن مرصد التغريب قادرة على أن تواجه ذلك الضياء الذي بدأ يغمر المجتمع الإسلامي بالاحتفال بمرور ألف عام على الأزهر وإسلام فيلسوف كبير كان له أثره في تنظير الماركسية في البلاد العربية أربعين عاماً ، وذلك بإهالة التراب الذي قام به توفيق الحكيم ، فالحقيقة ليست كما ظن البعض أن (جازودي) يريد أن يسحب البساط من الاحتفال بالأزهر ، بل الحقيقة هي أن توفيق الحكيم هو الذي اتخذ من هذا الوقت مناسبة لهذه الضربة التغريبية الخطيرة التي تفوق ما قام به طه حسين ، وذلك بإزالة قدسية مناجاة الله تبارك وتعالى وإسقاط أسلوب الحديث الرفيع من الذات العلية وكسر هذه القداسة وهبات فإنه هو الذي سقط وانكشفت صلته باليهودية التلمودية التي عاش يخدمها منذ كتب أهل الكهف وقصة الملك سليمان على مفاهيم التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار .

وكان موقفه من العرب والإسلام وولائه لليهود وترجمتهم لمؤلفاته هذا يكشف زيف هذه الشخصية التي خدعت الناس طويلاً . ومن العجب أن يسخر توفيق الحكيم في حديثه مع الأخبار (١٣ / ١٠ / ١٩٨٢) فيقول : لن يتأخر لقائي بشخص مهم جداً لا بد أن يحضر في يوم أو في شهر أو في سنة ، ولما سأله عن هذه الشخصية المهمة التي ينتظرها قال : إنه الأستاذ الكبير (عزرائيل) ! وأخشى أن يسألني سيادته مهما صنعت بحياقي الطويلة فلا أجد غير اجابة واحدة : (عبثت بقلمى على الورق) فهل الذي يقول هذا تكون له مناجاة مع الخالق الأعظم ؟ !

• • •

توفيق الحكيم

محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام

إن محاولة (تغريب الإسلام) ، خطة قديمة لها أبعادها ولها أبطالها وهي لا تتوقف عن العمل ، وما يقوم به الأستاذ توفيق الحكيم اوم ليس إلا وجهاً جديداً من وجوهها وحلقة أخرى من حلقات بدأها طه حسين ، وسلامة موسى ، وعلى عبد الرازق ، وحسين فوزي ، ولطفى السيد ، وزكى نجيب محمود ، ولويس عوض .

ذلك أن تاريخ الأستاذ توفيق الحكيم حافل بمعارضته للفكرة الإسلامية منذ اليوم الأول لظهور مسرحية أهل الكهف عام ١٩٣٢ وحتى اليوم في خلال نصف قرن لم يتخلف عن مواقفه التي تجرى مع أهواء التغريب وليس موقفه اليوم في التهجم على أدب الحديث مع الحق تبارك وتعالى إلا ذروة هذه المحاولة المستمرة الخطيرة التي واجهها كثير من الباحثين الإسلاميين في وقتها كاشفين عن الهدف الدفين من استغلال منبر من منابر الصحافة كالأهرام لإذاعة هذه الأفكار .

ومنذ صدرت (أهل الكهف عام ١٩٣٢) انكشف هذا الاتجاه . واستخدم الحوار لخدمة مفاهيم القصة الغريبة القائم على الخطيئة والمأساة والكشف والإباحة ، والمعارضة للمفهوم الإسلامى الذى لا يعرف الخرافات أو الوثنيات أو الأساطير المستمدة من عقائد تقوم على تعدد الآلهة وعلى صراع الآلهة مع بعضها ومع الإنسان ، لتعارض هذه الأفكار والصور مع إيمان المسلمين بالخالق الواحد وإكباره وتعالى عن مثل ما توصف به القصة اليونانية من صراع وشبهات وما تقسمه إلى ذكور وإناث وآلهة للصيد والخمر والحب ، فقد نأى الأدب العربى عن ذلك وسما بالآلوهية عن مضاهاة البشر لا يقرها عقله ولا يرضاها مزاجه النفسى كذلك فإن مفهوم الأدب العربى (الإسلامى المصدر والانتباء) يتعارض مع فلسفة المأساة

الغربية القائمة على الخطيئة والقصاص والغفران والتي ترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية هي (خطيئة آدم) (في الفكر الغربي والتي لا يقرها الإسلام) وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطيئة ، ويبدو البطل في صورة المتحدى لإرادة الله والمتحدى للقدر .

ومن هنا فقد حاول توفيق الحكيم بعد عودته من الغرب (دون أن يحصل على شهادة القانون ورضى بأن يكون خادماً للأسطورة الإغريقية) إخراج الأدب اليوناني القائم على علم الأصنام والمتمثل في صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية الإسلامية وكان في مقدمة من نقلوا القصة العربية والمسرحية إلى إحياء الأساطير القديمة . ومن هنا كانت فرحة طه حسين التي لم يخفها حين أعلن أن هذه القصة فتح لم يسبق في تاريخ الأدب العربي كله ، لأنه كان يعرف مدى السموم التي يمكن أن تنثرها في جو الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وخاصة إذا كانت هذه المسرحية قد وردت في التوراة وفي القرآن وهي تختلف في كل منهما عن الآخر . وقد اختار توفيق الحكيم أن يعتمد رواية التوراة في كلتا قصتيه عن أهل الكهف وعن النبي سليمان عليه السلام .

وقد كشف كتاب اليقظة عن أن هاتين المسرحيتين ليسنا سوى نسخ ممسوخة عن أسفار اليهود وأن المفهوم الذي قدمه توفيق الحكيم في مسرحية سليمان قد جرد النبي من النبوة ، وحاول أن يصوره على أنه رجل جنسي تحكمه شهوته في اقتناء النساء وهو مفهوم التوراة التي كتبها يهود والذي دحضه القرآن حين كشف عن نبوة سليمان التي تعلو على الأهواء فسليمان (عليه السلام) في مفهوم الإسلام نبي معصوم ، وفي قصة (أهل الكهف) يخرج توفيق الحكيم عن المفهوم الأصيل لقصة هذه الجماعة من المؤمنين ونجد ذلك التجاوز والمعارضة من توفيق الحكيم للنصوص القرآنية الصحيحة والاعتماد على الكتب الأخرى من كتب النصارى واليهود والأساطير القديمة دون أن يعتمد على مفهوم القرآن ، يقول السيد أبو الحسن الندوى : إن قصة أصحاب الكهف والرقم هي قصة الأديان والقوة والثبات والتضحية والجهاد التي تتكرر في تاريخ الإنسانية وفي تاريخ الحق والعقيدة وهي برهان على أن الأسباب خاضعة للإرادة الإلهية صديقة للإيمان والعمل الصالح ، فسبيل المؤمنين أن

يستميلوا هذه الإرادة بالإيمان والعمل الصالح مما يستحق نصر الله وتأييده
نقول : أما في أهل الكهف لتوفيق الحكيم فإن الصورة تختلف ، فهؤلاء قوم
لم يكن في قلوبهم إلا حب الدنيا والحديث عن أهوائها ، فقد أجرى بينهم
أحاديث تختلف تماماً عما كان يشغل أهل الكهف الفارين بدينهم من بطش
الظالمين من أهل الوثنية ، وكيف يمكن أن يفكر هؤلاء في تلك الشواغل
الدنيوية من حب وعواطف في موقف قد نصبت فيه المذابح وجرى تخطف
الناس ليقرؤا بالكفر وإلا فالموت الزوأم .

وكان هذا من أقسى ما حملته رياح التغريب ويرتبط هذا برأيه الذي أعقبه
في (العرب) . وقد نسب إليهم الجحود والتخلف وصور حضارتهم الإسلامية
بصورة رزية . وقد وصل في ذلك إلى الحد الذي فاق فيه المستشرقين
المتعصبين أمثال دوزي ، ومرجليوث بشهادة الدكتور طه حسين نفسه .
وقد رفض السيد محب الدين الخطيب رأى توفيق الحكيم في قوله : (هل
يوجد اليوم شرق ؟) وقال له : إن الذي يقول : بأن حضارة الغرب كل
لا يتجزأ ويدعو إلى الانسلاخ من الإسلام والأخذ بالنفrench بكل ما فيه من
قوة وضعف ، فهو رجل يغش المسلمين ويؤخر نهضتهم ويشغلهم عن
الحقائق لأن في الغرب جانباً قوياً هو العلم ، كما أن في الشرق جانباً قوياً
هو هدايته المحمدية التي أوجدت ألمع نهضة في تاريخ الإنسانية ولن تصلح
الإنسانية وأحد جانبيها ضعيفاً نتيجة إبطاؤه في الأخذ بالعلم الإنساني المشاع
الذي كانت له حلقات ذهبية في سلسلة تاريخية ، وستكون له حلقات ذهبية
أخرى في سلسلة مستقبلية ، ولقد أجمع الناصحون للشرق بأن نهضته إذا لم
تردوج فيها علم العصر وأنظمتها وصناعاته وروحانية الإسلام وهدايته ونوره
فعاقة الشرق المسخ والبوار ، ولا يرضى عن ذلك إلا شائئاً أو غي . ثم ومن
أخطر الأفكار التي يطرحها توفيق الحكيم بين حين وآخر فكرة (تطوير
الشرعية) وقد أعادها ورددتها مرات عديدة كأنه مصر عليها بالرغم مما كتب
في الرد عليه حولها والحقيقة أن طرح هذه المفاهيم يوحي بأن الدعاة إليها
يعرفون الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الفكر البشري ، وهو الذي يتحدث
الناس عن تطوره والذي يستلزم إجراء تطوير فيه بالإضافة والحذف حتى
يستطيع الملازمة بينه وبين متغيرات الزمن والبيئات .

أما الإسلام فإنه بوصفه منهجاً ربانياً فهو لا يخضع لهذا المفهوم ، فقد وضعه خالق السموات والأرض والعارف بالعباد والنفس الإنسانية ومراحل التغيير والتطور على مدى الأزمان ، ومن ثم فقد جاء منهج الإسلام مرناً واسع الأطر قابلاً للمتغيرات قادراً على الاستجابة لاختلافات العصور والأزمان والبيئات . وقد أقام الإسلام منهجه على أساس واضح هو (الثوابت والمتغيرات) وربط (الإلهي والزمني) دون أن يحدث هذا اضطراباً على النحو الذى يفهمه أهل الفلسفات المادية والغربية والانشطارية التى تفصل بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة ، فللإسلام ثوابته الواضحة التى لا يمكن التحدث عن تطويرها أو تغييرها ، وله حركة المتغيرات المستمرة داخل إطار الثوابت فهو لا يتوقف عن تطور فى الفروع ، والاستجابة للظروف المتغيرة ، أما فكرة تطوير الشريعة التى تجول بفكر بعض الغربيين من أجل تقبل الإسلام للربا والخمر والزنا والميسر والانحلال الاجتماعى وللقضاء على المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقى فإن هذا كله مستحيل وغير مقبول ولن يكون الإسلام يوماً مبرراً لفساد المجتمعات القائمة الآن ، وعلى المجتمعات نفسها أن تصحح طريقها على أساس حكم الله وأن تلتزم بالضوابط والحدود التى أقامتها الشريعة الإسلامية من أجل سلامة الحضارة والمجتمع وحماية الأسرة والأفراد ، وأن كل ثرثرة فى هذا المجال لا تستطيع أن تخدع أحداً اليوم فى العالم الإسلامى الذى أجمع على أن الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع وإن الذين يقولون بتطوير الشريعة لا يستهدفون الحق أو الخير لأمتهم وإنما يرغبون إلى تحقيق غاية من غايات النفوذ الغربى والاستشراق والتغريب بإخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل ومن العجيب أن يحدث هذا فى الوقت الذى يتجه فيه نوابغ الغرب ومفكروه إلى الإسلام والإيمان بأنه أصلح منهج للحياة ، بل ويعتقونه تاركين مفاهيمهم السابقة ، أمثال الدكتور موريس بوكاى ، والفيلسوف رجاء جارودى .

وقد جرت فى السنوات الثلاثين الماضية محاولات لعقد مؤتمرات فى بعض الجامعات الغربية دعى إليها بعض علماء المسلمين من أجل ما أسموه تطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبرير القيم الغربية ومن أساليبهم فى هذا التطوير استدراج علماء المسلمين للكلام فى نقاط معينة من نظم الشريعة

تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين مما يجرى باسم المدنية وذلك لكي
يلجئوهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والميل بها إلى ما يوافق العادات
الغربية السائدة . والجانب الخطر في هذه الوجهة هي محاصرة الدين لتضييق
دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات وإلغائها المعاملات التي يقوم
عليها تنظيم المجتمع ، أو فكرة إعادة النظر في الدين وتطويره ووضع تجربة
الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الأخرى موضع البحث
وإخضاعها لقوالب علم النفس الحديثة التي يقوم على الحدس والتي تخضع
نفسها للتغيير والتبديل ، وهي بذلك تجعل الدين مسألة ذوقية وهمية ليس لها
وجود حقيقي . وهناك التطاول عن أسلوب الله تبارك وتعالى في العمل .
ولما كانت هذه المخططات لم تمت وهي تبعث بين حين وآخر فإن محاولة
توفيق الحكيم الأخيرة هي حلقة على هذا الطريق ومحاولة لتقديم مجموعة جديدة
من الأفكار المسمومة فيها الجرأة على الله تبارك وتعالى بمثل هذا الحوار الذي
يكشف عن خطوة خطيرة في وقت تحاول الأمة الإسلامية أن تجمع شملها
وتتجه إلى الله تبارك وتعالى بالعمل بمنهجه حتى يكشف عنها هذه الأزمات
الثقيلة منذ علت صيحة (العودة إلى الله) بعد نكسة عام ١٩٦٧ وتوفيق
الحكيم يبذل اليوم محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام وستلقى نفس
الهزيمة والفشل الذي لقيته سابقاتها هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

لويس عوض

(التغريب)

إن ما كتبه لويس عوض في جريدة الأهرام في الفترة من سنة ١٩٥٨ - ١٩٧٢ لنى حاجة شديدة إلى المراجعة ، فقد أفرغ الدكتور سموماً كثيرة في الصفحات الأدبية للأهرام ، تمكن بعض الكتاب من مراجعة بعضها ومضى البعض الآخر دون مراجعة وكان من أبرز ما روجع فيه الكتاب تلك الكلمات العنيفة المتعصبة التي ردها الأستاذ محمود محمد شاكر في مقالاته التي نشرتها الرسالة وجمعها في كتابه (أسرار وأباطيل) ومن هذا الركام تلك الألقاب التي وزعها على متابعيه من أمثال دعواه بأمارة الشعر إلى صلاح عبد الصبور الذي رد الجميل للدكتور لويس عوض بعد قليل حينما أصدر كتابه (مدخل إلى فقه اللغة العربية) الذي حشاه بكثير من الأباطيل والزيوف وذلك بوصفه رئيس أكبر مؤسسة للنشر في القاهرة .

وقد كانت وجهة لويس عوض وخطته مكشوفة وليست في حاجة إلى تفصيل كثير . إنها تتلخص في الدعوة إلى تعلم اللغات الأوروبية وترجمة كل ما كتب في الغرب . بدون قيد أو شرط ، دعوة مطلقة ليس لها ضوابط ولا قيود يرمى بها إلى أن يتساقط الشباب كالطير الأعمى في شباك المستشرقين في أوروبا من غير حصانة أو فهم للأخطار المحيطة به ، بدعوى توسيع آفاق الثقافة والفكر ، ونحن نعرف ماذا سيعلمونه هناك : سيعلمونهم احتقار دينهم ولغتهم وثقافتهم ، وإكبار شأن التغريبيات والشعوبيات . وتمجيد مذاهب التفسير المادى للتاريخ . ومفاهيم تين وبرونتيير في الأدب من حيث أن الإنسان حيوان واحتقار التراث الإسلامى ، والاعتزاز بشكسبير ، وفرويد ، وسارتر ، ونييتشة وفلاسفة المادة . يقول لويس عوض : أوجه الشباب إلى قراءة الأدب العالمى والفكر العالمى والفن العالمى ، وأن طه حسين ، وسلامة موسى ومندور . وعبد الرحمن بدوى لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه

إلا من خلال استيعابهم للتراث الإنساني في مجمله من مصر القديمة إلى اليونان القديمة إلى الآداب اللاتينية ومن أدب الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين إلى أدب الروس .

هكذا تتمج الدعوة إلى الشباب ليقرأ دون وجهة محددة أو هدف واضح عمله هذا الشباب ودون تعريف له بهذا التراث الإنساني الضال الملىء بالخرافات والوثنيات والأساطير .

والمثل الأعلى الذى يرفع آمالم دائماً هو طه حسين ، وسلامة موسى وغيرهم من دعاة التفرغ ، ماذا يفيد شبابنا المسلم من تراث اليونان ومن أساطير الفراعنة ، والفرس ، والهنود ، بعد أن جاء الإسلام وجاء بالفكرة الناصعة ، والدعوة الساطعة ، دعوة التوحيد الخالص وقد اعتبر المؤرخون أن كل ما سبق الإسلام كان مقدمة له ، وفي الإسلام غنى عن كل ما سبقه ، فقد قدم الإسلام للإنسان منهجاً كاملاً من الميثافيزيقا لم يعد معه فى حاجة إلى دواسة هذه الفلسفات ، ويكفى أن ينتفع المسلم المثقف بالمعطيات التى جاء بها العلم التجريبي فهى وحدها التى تحتاج إليها والتى هى ملك مشاع للبشرية كلها والتى لا دخل لها فى تكوين العقائد والثقافات للأمم . من حيث أن كل أمة لها ثقافتها الخاصة المستمدة من عقيدتها وتراثها ولغتها .

وما هى الفائدة التى يجنيها المسلم من إقامة هذه الجسور من الأساطير القديمة والخرافات والمفاهيم الضالة التى صورت الإنسان حيواناً مادياً ونفت عنه التكامل بين الروح والمادة .

ويتحدث لويس عوض مع الشباب عن فرويد ، ودارون ، وسينسر وهو يعلم أن جميع كتابات العلم الصحيح قد كشفت زيف ما دعا إليه هؤلاء ، وما ذهبوا إليه وأن العلم التجريبي قد تجاوزهم الآن .

ويدعو لويس عوض الشباب إلى إحياء الأساطير فى فاوست ، ورميثوس وماكبث ، وأجاممنون ، وعطيل كأنما هذه الأساطير تمثل قيماً حقيقية أو مفاهيم اجتماعية خالدة للإنسان تستطيع أن تعيش فى كل زمان ومكان ولا ريب أن لويس عوض يريد إفساد عقليات الشباب المسلم بدعواه

هذه وكيف يتجه الشباب المسلم هذه الوجهة وعنده من عطاء القرآن والسنة وراث النوايع الأجماع في كل جوانب الفكر الإسلامى ما يكفيه ، ولماذا يرد على أعقابه لتدريس أساطير الأولين وقد جاءت الأديان المنزلة لتحرر الإنسان من هذه الزيوف ، ثم جاء الإسلام ليقدّم للبشرية نظاماً عالمياً إنسانياً جامعاً إن لويس عوض ودعواه قد تجاوزها الزمن لأنها ليست تقدمية بمعنى العطاء الحقيقى المخلص الصادق المنبعث من النفس المؤمنة بحق هذه الأمة في امتلاك إرادتها وإنما يراوغ لويس عوض ليحقق هدفاً وغاية حمل لوائها منذ وقت بعيد ، ولويس عوض يعلم أن شبابنا المثقف لا يثق به ولا يقرأ له إلا سائراً من صيحاته التى نعرف مصادرها ولذلك فهو كنافخ في قربة مقطوعة ، وكل محاولة لاستبقاء نفسه على قمة الفكر هى محاولة باطلة ، فقد علت صيحة الوعي الصحيح للفكر الإسلامى ولم تعد تخدعها تلك المحاولات التى يقوم بها في عدة ميادين :

أولاً : مهاجمة اللغة العربية وحملته عليها ودعوته إلى العامية وكتابته بها متابعة للخط الذى رسمه سلامة موسى من قبل .

ثانياً : الغمز للتاريخ الإسلامى والعربى والتقليل من شأن بطولاته ومواقفه والتشكيك في مصادره وكتابته - ومحاولة الاستفادة ببعض النصوص في الجبرق أو في غيره لخدمة أهدافه .

ثالثاً : الاهتمام بإذاعة ذلك التراث المسموم الضال : تراث الوثنية اليونانية وخاصة ما يتعلق بصراع الآلهة ، والحديث عن قرابين الآلهة وسرقة النار وكلام الساحرات وهذه الجولة مع الأساطير القديمة .

رابعاً : مصافحة ذلك التيار الذى قام عليه في بيروت يوسف الخال ، وأدونيس وتزويده بأحمد عبد المعطى حمجازى ، وصلاح عبد الصبور هؤلاء الذين يرددون المصطلحات الكنيسية والمسيحية :

يقول الدكتور رشاد رشدى في مناقشة أفكار لويس عوض :

في أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أو هام في عقله أو مناهات في وجدانه أو أغراض له شخصية بحثية . ثم يتبع هذه

الأحكام ببراہین وأدلة بعيدة عن الحقيقة كل البعد ، ولكن صحتها أو زيفها لا تهم ما دامت تعاونه في إيهام القارئ بأن الأحكام المغرضة والتي يعلم هو جيداً أنها خاطئة ومع ذلك يصدرها على الناس والأشياء ، على أنها أحكام سليمة ، وهذا منهج أقل ما يمكن أن يوصف به أنه غير علمي . فضلاً عن أنه يخاطب القارئ في شيء كثير من التعالي فيحشو كلامه بعبارات مبہمة مثل الاسططاليسية والطوبونية وغيرها مع أنك مع دكتور عوض لا تعرف أين أنت فهل هو يتكلم من منطلق فرعونى أو يسارى أو يمينى أو فاشى أو ليبرالى . أو من كل هذه المنطلقات معاً وفي وقت واحد .

المفاهيم الخاطئة :

١ - الإصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوروبا خلة وتفصيلاً .

٢ - محاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيد انتمائها إلى الغرب .

٣ - الإقلال من شأن الثقافة العربية .

٤ - إعلان الإفلاس العام للثقافة المصرية وأنها بحاجة إلى الاتصال بثقافات راقية .

يقول الدكتور عبد العزيز الدسوقي :

إذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا ينفعل أو لا يغضب ولكن لأنه تمرس على القتل العمد ، فالهدوء ليس ازاناً وإنما هو احترام للظلم ودلالة على ما درج عليه من براعة في صناعة السموم .

إن مهمته في إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدد إلى قلبه سهماً نافذاً لولا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من الحبر الأسود ويتساءل :

ما هو الحجم الحقيقي للدكتور لويس عوض وهل أصبح حقاً من الأساتذة الكبار ؟ ويقول : بالرغم من مرور الأعوام الطوال لا أظن أنه أبدع شيئاً مهماً أو حصل علماً نافعاً أو اكتشف خبرة أو صقلته الأيام ، فقد أقحم نفسه في أشياء كثيرة لا يجيدها .

١ - حاول الشعر في مطلع حياته وبشر بموت الشعر العربي وطالب بكسر عمود البلاغة العربية ، ولم يمت الشعر العربي ولم تنحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن شعر الدكتور لويس عوض هو الذى مات واندثر وبادت نظريته في إحياء البلاغة العامية وتهشيم عمودها .

٢ - حاول أن يكون مؤرخاً ومع أنه لم يتخصص في التاريخ ففشل فشلاً ذريعاً ، وكثرت سقطاته وتضاعفت عثراته ويكفى أنه أشاد ببعض الخونة والجواسيس الذين تعاونوا مع الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفعهم إلى مصاف الأبطال .

٣ - حاول دراسة الأدب العربي فاستقام له منهج وما حقق شيئاً في هذا المجال ودليل فشله يحقق بشكل واضح في دراسته على هامش الغفران (الأهرام في الستينات) وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود محمد شاكر فعلق على الموضوع في مقالات متعددة صارت فيما بعد كتاباً في جزئين بعنوان : (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التي صدرت في تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلاً للمنهج العلمى في الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمال في العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلاً عميقاً على أن الدكتور لويس عوض في حجم البعوضة وأن الهالة التي منحتها له ظروف الحياة في عقد الستينات (عقد الهزيمة للعين) لا تساوى جناح تلك البعوضة ، بل سيظل هذا الكتاب صحيفة سوابق أدبية للدكتور لويس عوض تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تهلل كل قيمة علمية وأدبية له ، ويكفى أن شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءة الشعر العربي ، فبيت شيخ المعرة المشهور :

صليت خمر المهجير نهاراً ثم باتت تغض بالصلبيان

الصلبيان : بالباء المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعنى نباتاً صحراوياً كانت الإبل تأكله نهاراً في القيظ والهجرة ، قرأها لويس عوض (الصلبان) بالباء المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحوّلت إلى الصلبان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرقه ، ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام

تصيدها تصيداً من نقول مبتسرة لم يحسن نقلها كاملة وبالتالي لم يفهمها ومن ذلك أنه حدثنا أن أبا العلاء تعلم في اللاذقية كما تعلم في أنطاكية ، وأنه في إحدى رحلاته نزل بدير ولقي راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدبهم فشك في دينه وحصل له انحلال . وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين ، تلك هي الصيغة التي سجلها الأستاذ شاکر على الدكتور لويس والتي تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخي والدرس الأدبي وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير القاروس التي وهم فيها الدكتور عوض . والذي يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويجد بدون عناء مكانته العلمية وقيمته الأدبية . إن أى كتاب يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرابيل المعري من ارتكب تأليف كتاب على هامش الغفران

ولقد كشف كثير من الباحثين خبيثة لويس عوض فقال توفيق صايغ : إنه في كل ما يكتبه يحاول تغطية اتجاهه الفرعوني وكل كتاباته (ابعدوا شبح العرب عن مصر ، العرب استعمروا مصر وشوهوا وجهها الحضارى) هو وكمال الملاخ على هذا الطريق الذى رسمه لهم من قبل زكى شنودة في كتابه تاريخ الأقباط - ونضيف سلامة موسى .

وفي كشف آخر يقولون : إن لويس عوض أهدى كتابه (بلوتولاند) وقصائد أخرى الذى ألفه سنة ١٩٤٧ إلى رجل يدعى كريسيوفر سكيف وهو جاسوس بريطاني محترف ألف في مصر جماعة (إخوان الحرية) . وقد كشفت كل خفاياها في محاكمات الثورة وكان يقوم في الجامعة بعمل تبشيري سياسى في آن وكان لويس عوض من أبرز تلاميذه ومما يذكر أنه ألقى محاضرة في قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٨ تحت إشراف مستر سكيف ومما لقنه ودعاه إلى نشره من الطلاب موضوعها (الأديان في ميزان الفكر) قال : إن لكل عصر تقاليده وتفكيره وهذه التقاليد والأفكار تتطور بتطور العصور والأجيال وأن الأديان التي فرضت على الناس قواعد ونظماً ومناسك تعبدية وتطالبهم بأداء هذه القواعد والفرائض ، وهذه لا يمكن أن يستجيب لها المثقفون من الناس ولا تكون في مصلحتهم لأن هذه القواعد إنما تصلح للعصر الذى جاءت فيه ولهذا فهي لا تصلح للعصر الحديث . وقد قال له مستر سكيف

منهمكاً: إنك تحسن الكلام بالإنجليزية وقد رد عليه الأستاذ أحمد جلال :
إن قواعد الإسلام لا تخضع لتطور الأجيال لأنها من وحي الله ولأنها تعالج
الفطرة الإنسانية التي يعلم أسرارها عالم الغيب والشهادة والسر والنجوى
والذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء فى النفس ولا فى الجسم
فليس فى الإسلام قديم ولا حديث فى ميدان الأحكام والإصلاح ، إنما هو
دين الفطرة الذى يعالج كل نفس فى كل عصر ويعالج النفس الإنسانية
فى مختلف ألوانها وأجناسها وعصورها وكل نظام يضعه انسان فى عصر يهدم
إنساناً فى عصر آخر .

* * *

الفصل الخامس

نجوم الصحافة

١ - مصطفى أمين .

٢ - إحسان عبد القدوس .

٣ - أمينة السعيد .

٤ - حسين مؤنس .

٥ - صلاح جاهين .

٦ - يوسف إدريس .

٧ - أنيس منصور .

(١)

مصطفى أمين

يقسم مصطفى أمين صحبته اليومية تحت عنوان (فكره) الذى ورثه عن
على أمين حول ثلاث أهداف أساسية :

الأول : رعاية الرافعات والممثلات والفنانين والدفاع عنهم وحماية
هذه المؤسسة الخطيرة التى أفسدت المجتمع الإسلامى إفساداً تاماً وكتاباته
فى هذا الاتجاه هى كتابة المنافع المدافع المؤمن بقداصة الفن الحافز للفتاة
المسلمة إلى هذه الوجهة دون خوف أو تردد .

الثانى : إعلان الشغف البالغ والتقدير الوافر والإكبار لكررة القدم
ورجالها ولعباتها ومتابعة هذا الأمر بشيء كبير من التقدير وهذا يوحى
بالخلقيات التى تحمىها أقلام بعض الكتاب فى متابعة أهداف الماسونية
العالمية فى دقة ومكر ، ويحاول مصطفى أمين أن يغلف هذه الأهداف
بتلك الصور من الرحمة والحنان والتوجه إلى الله وهى التى علمهم إياها
(الدعاة الكبار) ليكونوا قريبين من القلوب فى هذا ، فتقبل آرائهم تلك
المسمومة فى يسر وتعاطف من القراء الطيبين السذج الذين لا يعرفون الخفايا .

ولكن إذا تحدث مصطفى أمين عن أدواء المجتمع ومشاكل الأسرة فهل
ينسى أن الخطئة التى رسمها منذ عشرين عاماً هى التى أوصلت المرأة والمجتمع
والشباب إلى تلك الأزومات التى يواجهونها الآن ، حين فتحت لهم أبواب
الصور العارية والقصص الجنسية وترجمة الكتب الإباحية واعطاء ذلك كله
صفة الشرعية حتى تظن الفتاة أن السقوط والانحراف ليس إلا عملاً عصبياً
لا عيب فيه ، هذه المحاولة فى تغيير الأعراف والقضاء على مفهوم
الأخلاق الاجتماعية كانت الصحافة التى قادها مصطفى أمين من أكبر العوامل
فى حجبها . وقد اعترف مصطفى أمين مرة فى فكرة بهذه الآثار الخطيرة
حين قال :

« فتاة من الجيل المتعجل الذي نراه حولنا في بعض الأحيان ، فتيات صغيرات يجهن كل شيء عن الدنيا ويتصورن أنهن صاحبات تجربة طويلة ، أولاد صغار لم يتعلموا وهم يتوهمون أن من حقهم أن يكونوا فلاسفة . هذه الظاهرة ليست غلطة الصغار ، ولكنها هي جريمتنا نحن الكبار . نحن الذين لم نفرق بين الحرية وقلة الأدب ، وبين الديمقراطية واحترام الأكبر سناً . نحن الذين حطمنا كل تماثيل آباءنا وأجدادنا ، ولم نحاول أن نقدم لهم قima جديدة تستحق تقديرهم وإعجابهم ، ولا أمثلة كبيرة يقلدونها ، نحن الذين عبدنا المادة وكفّرنا بالروح ، ولم نفرس في أولادنا التقاليد الجميلة » . . . ولكن هل هذا الكلام يعني أن مصطفى أمين قد اتخذ خطأ جديداً يحرر الصحافة من انحرافها . .

هل يعلم مصطفى أمين أن متابعته للمرأة والتصفيق لها في كل مجال هو الذي خلق هذا الجو المضطرب ، إن مصطفى أمين ، يقف هنا في إصرار على دعم الهدف الذي عاش له : إن المرأة في المخططات الماسونية والتغريب هي مصدر التدمير الحقيقي للأسرة والمجتمع كله . إن مصطفى أمين يصر على أن عقارب الساعة لن تتردد إلى الوراء ، ولا يمكن انتزاع الحقوق التي حصلت عليها المرأة . وهذا دليل على الإصرار على الهدف . فهل إذا ثبت أن هذه التجربة فاشلة ولم تحقق شيئاً ، وأنها حققت نتائج سيئة في مجال الأسرة والطفل ، أليس من حقنا أن نرجع عنها ، وأن نختار أسلوباً آخر ، أليس الحق أحق أن يتبع ، لا ، إن مصطفى أمين هنا في هذه النقطة بالذات يتكشف في صورته الحققة . إنه لا يتصور أن يرجع عن هذه الخطوة التي غداها وكان لعمله في الصحافة أكبر الأثر في تمكينها ، وإذا كان يرى هو أن أحداً لا يوافق على أن تعود المرأة إلى البيت ، فإننا نقول له إن المرأة نفسها هي التي تطلب ذلك وتري أنه خطأ يجب الرجوع عنه ، وأن تربية أولادها وأمان أسرتها أهم وأولى . دعك من خداع الرجل الذي يدعي أنه لا يستطيع أن يفتح بيته بدون زوجته العاملة ، ومثي كانت قروش المرأة تفتح بيوتاً وأى بيوت هذه التي تقيمها قروش المرأة ، إن هذه المبالغ تنفق على الزينة والملابس ومصاريف الانتقال ، وما نريد الرجل الذليل الذي يأخذ مرتب زوجته ليستعين به على تكلمة مصاريف منزله ، ولقد قامت البيوت بأجور الرجال دائماً وقديماً وستقوم ،

وتلك دعوى باطلة يرددها مصطفى أمين وأمينة السعيد ولم تعد تخدع أحداً ،
إن الأسرة المسلمة التي تقتنع فيها المرأة بأن بيتها أولى بها لا تحتاج إلى هذا
المورد لتأكل منه ويكفيها القليل ، فهي لا ترغب في الترف ولا في الملابس
الزاهية التي حرمها الإسلام .

* * *

تقول مجلة الحرية اللبنانية : إن مصطفى أمين عاش في ميدان الصحافة
مغامراً ضخماً يبحث عن الجواد الرابع ويراهن عليه ويتأمل الصراع السياسي
والاجتماعي في مصر بعين بقطعة وفي اللحظة المناسبة يغير مواقفه وينضم
إلى الحركة التي تكسب المعركة فقبل عام ١٩٣٧ كان الوفد هو الحزب الذي
يضم الجماهير الشعبية وكان رغم إقصائه عن الحكم ورغم حرب الاضطهاد
التي تعرض لها معروفاً تماماً أنه الجواد الرابع ، وأن حكومات الأقليات
السياسية سوف تقصى عن الحكم عاجلاً أو آجلاً تاركة مكانها لحزب الأغلبية ،
كان المحيطون بالملك فاروق يحاولون خلق تيار صحفي مضاد للوفد ومؤيد للقصر
وهكذا صدرت أخبار اليوم تحمل تحقياً صحفياً مسلسلاً بقلم مصطفى أمين
تحت عنوان (لماذا فسدت العلاقات بين الوفد والقصر) تحاول اتهام الوفد
بأنه عييل للاستعمار وتظهر الملك بمظهر الوطني الأول في مصر ، وواضح
أن أخبار اليوم قد راهنت على الجواد الرابع في هذه المرحلة وقد اعترف
كريم ثابت أنه هو ومصطفى أمين وادجار جلاد ، كونوا ثلاثياً يتولى عملية
الدعاية للملك فاروق ، ولما تولت وزارة صدقي في محاولة لدفع مصر إلى توقيع
معاهدة تجر أقدام مصر نحو الدفاع المشترك أيدتها أخبار اليوم رغم ثورة الشعب
العنيفة ضدها وكتب مصطفى أمين في آخر ساعة ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٦ مدافعاً
عن المعاهدة مؤكداً أنها خطوة نحو هدف عظيم ، كتب تحت عنوان خادع
براق : « أوقعها والعنبا » ولما حدثت حركة الجيش وأقصى فاروق لم يكتب
مصطفى أمين إلا قليلاً حتى قدم حلقات عن فاروق بكشف فيها خفايا وليه
السابق وكذلك فعل بعد وفاة عبد الناصر .

* * *

• يحاول مصطفى أمين في هذه السنوات (١٩٨٠ وما بعدها) أن يخفي صورته الحقيقية وراء قناع براق من التحدث عن القدر وعن الدعوة إلى إصلاح المجتمع وينسى أنه في مفاهيمه وخطته كان من الأسباب الرئيسية في كل ما يحق بالمجتمع اليوم من أسباب الانحطاط والاستهتار ، ولكنه في صلف عجيب يدعو إلى الإصلاح بعد أن فتح أبواب أخبار اليوم لأسلوب عجيب من الكشف والإباحة سواء في أبواب السينما والمسرح والكرة أو في تحسين الجريمة ووضع التفاهات المثيرة ، الزاعقة في الصفحة الأولى وهو لا يستطيع مهما أخفى هدفه إلا أن يظهر ، يبدو ذلك واضحاً حين يتحدث عن تربية الأنبياء فيجئ به القول ، إلى أن يجعل الرقص من وسائل التربية فيقول (لا أريد أن أصف اختفاء الرقص التوقيعي في مدارس البنات حتى لا تقوم على الدنيا) أعتقد أن نقطة العمل الأساسية في رسالة مصطفى أمين حياته كلها هي إخراج المرأة من رسالتها ودفعها إلى طريق آخر لتؤدي دوراً آخر وهي محاولة باطلة سيشهد مصطفى أمين نهايتها ويتحمل تبعاتها وهي تحمل نفس الادعاءات التي تحملها كتابات أمينة السعيد ومصدرهما واحد .

ومن ذلك قوله : « هل نستطيع أن نعقد مؤتمراً اجتماعياً ندرس فيه أمراضنا الاجتماعية كما نجعلنا أمراضنا الاقتصادية ، هل نستطيع أن نجتمع بين رجال الدين والمصلحين والباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس وعلماء التربية في مكان واحد ونبحث في شجاعة ما أصابنا من انحلال والأزمة الأخلاقية التي نشكو منها وحدها فقد أصبحت أزمة عالمية تهدد مستقبل مجتمعاتنا بالفناء أو نبحث بصراحة وشجاعة مسألة السكان ، كل جديد منهم بأنه إلحاد وكل قديم منهم بأنه رجعي ، منذ أكثر من سنتين كنا أكثر انطلافاً ونحرراً مما نحن اليوم ، هل نستطيع أن يقوم عالم مثل عبد العزيز فهمي ويطالب بأن نكتب العربية بحروف لاتينية ولا يتهم بأنه خائن للعروبة وعدو للإسلام ونطالب بقطع رأسه ، هل من الممكن أن يصدر قاض شرعي كالشيخ علي عبد الرازق كتاباً يهاجم فيه الخلافة ويقول أنها ضد الإسلام ، هل يمكن أن يكتب قاسم أمين كتابه الذي دعا فيه إلى حرية المرأة وصمد للحملات » ويزعم أننا كنا في الماضي أكثر استعداداً لتحمل الحوار والمناقشة مما نحن اليوم (الأخبار

١٧/٢/١٩٨٢) ومعنى كلام مصطفى أمين هذا مفهوم ، نعم لم يعد يجرؤ أحد على ذلك لأن الوعي الإسلامى أصبح قوياً وقادراً على مواجهة محاولات التغريب والشعبوية والماسونية ولتعلم مصطفى أمين أنه عضو أساسى فى كل ما أصاب بلادنا من أزمات اجتماعية بدعوته التى حمل لوائها إلى التحلل والكشف وصفحات أخبار اليوم تشهد بذلك ، فمصطفى أمين هو الذى أنشأ هذه المواجهة الجريئة حين حول الصحافة إلى عملية تجارية بصرف النظر عن الهدف الوطنى والأخلاق واستطاع أن يدفع بالكثيرين إلى مجالات الحصول على الإعلانات والتعرف بأصحاب الشركات عن طريق أو آخر وعلم جيلاً من الصحفيين تقديم كل ما يغذى أهواء القارئ ونزواته وغرائزه فى سبيل زيادة التوزيع وأخطر أسوأ أعماله مسألة المرأة وحريتها وعملها تحت تأثير الوجهة التى قدمتها الماسونية ويفخر مصطفى أمين بهذا الاتجاه فيقول (الأخبار ١٨/١٠/٨١) هنا منارة التقدم فى الشرق الأوسط ، هنا نزع أول امرأة مسلمة الحجاب عن وجهها وتبعها كل نساء الشرق ، هنا دخلت أول فتاة مسلمة إلى الجامعة ، أول طيارة ، أول نائبة ، مصر هى الجريدة المصرية والكتاب المصرى والمسرح المصرى والفيلم المصرى والأغنية المصرية (ألا ما أسوأ ما قدمت مصر من أفلام ومسرحيات وأغان) ولقد كان مصطفى أمين وأخبار اليوم حرباً على كل وطنية وعربية وإسلامية ، وكانت منذ اليوم الأول نخادماً لهدف معروف يسرى وراء كل هذه المظاهر البراقة ، ومن أجله تعاون مع كل تيار وكل وجهة وكل حكومة .

أما قصة خدمة الفلاح والعامل ، فهذه كلها باللونات ملونة خادعة إن مصطفى أمين يحاول فى عاموده البوى أن يعطى صورة الخادم للمجتمع المتصل بالجماهير الذى يزوره أصحاب الشكاوى والحاجات ، فهو يتحدث دائماً عن هذه وتلك وهؤلاء الذين (دخلوا إلى مكتبي) فهو مركب نقص شديد يريد أن يستعلى على هذه الصورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى بالحديث عن نفسه وعن والده وعن سعد زغلول فى محاولة لإبراز دور وإخفاء أشياء كثيرة معلومة للناس جميعاً وخلق حالة كبيرة تضنى بطولة ومجداً بينما يعرف التاريخ الدور الحقيقى الذى قام به (مصطفى أمين) فى تحديث الصحافة

ودفعها نحو الجنس والإباحة والإثارة وإعلاء شأن السينما والكرة والفنانات وإعطاء المرأة دوراً مخالفاً لكل مفاهيم الأصالة والفطرة ومقومات المجتمع الكريم، إن عليه مسئولية دفع التغريب في مصر خطوات واسعة ما كان يصل إليها في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفن لولا هذه القوة الضخمة المتمثلة في أخبار اليوم، ويتحدث مصطفى أمين عن جده الشيخ أمين يوسف الذي كان من رجال الثورة العربية، ولكن ما هي مسئولية الأجداد إذا جاء من الأبناء من أخذ الطويق الآخر، طريق سعد زغلول الذي أخرج الوطنية المصرية من إطار الإسلام ودفعها إلى مفاهيم ميكافيلي والخصوع للممارسات الاستعمارية وتوجيهات كرومر: إن كتابات مصطفى أمين عن سعد زغلول لا قيمة لها أبداً من الناحية التاريخية ولن يعتمد عليها باحث، لأنها تقوم على مصدرين:

١ - على مصدر أهواء الوراثة.

٢ - على معارضة حقيقية لكل الوثائق التاريخية التي هي في أيدي الناس من كتابات عبد الرحمن الرافعي، ومحمد علي علوبة، وعبد العزيز فهمي وغيرهم، فكل الذين يقرأون لمصطفى أمين كتاباته عن سعد زغلول لا يستطيعون أن يثقوا بأنها ذات مصدر علمي، وإنما هي رواية خيالية، وإنما تقوم على هوى خاص وهو صلة القرابة التي لا تقوم على تحري الحق، دون سند تاريخي حقيقي، ومهما حاول مصطفى أمين على طول السنوات وعلى مدى اليوميات أن يثبت لسعد زغلول في نظر القارئ في هذا العصر (شيئاً) يضعه موضع البطولة فإنه وأهم ولن يصل إلى شيء مما يريد.

إن محاولات مصطفى أمين في التباكي على الأخلاق ونقد أخلاقيات المجتمع المنهارة اليوم لا يمكن أن توصف إلا بأنها إحساس بالذنب، فمصطفى أمين في نظر كثير من علماء الاجتماع منهم بأنه شارك بقدر كبير فيما وصل إليه المجتمع من انحراف وفساد مما يتباكى عليه اليوم، من صور الفساد الاجتماعي الذي تمر به مصر والبلاد العربية بواسطة ما قدم من منهج صنف عن طريق الأخبار منذ صدورها عام ١٩٤٣، بل أن البعض ليرى أن مصطفى أمين أخطر من حيث الأثر التغريبي من طه حسين، فقد كان

ولا يزال مدرسة قائمة لم تتوقف عن العمل ولقد أدى دوراً خطيراً في تحويل الأعراف الأخلاقية العربية الإسلامية في مدى عشرين عاماً بأسلوب غاية في المكر والبراعة ، ودون أن يصطدم بأحد ، طه حسين عمل في ميدان التربية والتعليم ، ومصطفى أمين عمل في ميدان الصحافة وتحويل الرأي العام من معالم الغيرة على العرض والكرامة والأخلاق الإسلامية وحماية المرأة المسلمة من الأخطار إلى الففز فوق ذلك كله وصولاً إلى طريق مخوف بالمخاطر تصل إليه اليوم المرأة تحت تأثير مغريات العصر ، لقد هدم مفاهيم الأخلاق الإسلامية مما قدمه من تطورات في الصحافة الاجتماعية والسياسية لقد فتح الباب واسعاً أمام مفاهيم وافدة ليست من مفاهيم الإسلام في الفن ، والمسرح ، والرقص ، والككرة ، والجنس عن طريق القصة والسينما والغناء وغيرها ، وجعل للفنانة كرامة قداسة وجعلها من المثل العليا التي تتطلع إلى تقليدها الفتاة المسلمة في حركتها وفي لوى الكلمات وفي لحن القول ، وجعل للإباحيات أهمية ومكانة وسائر كل عصر وكل حكومة وكل زعيم من أجل تحقيق هدفه في القضاء على أخلاقيات التعامل بين المرأة والرجل وفي مجال الحياة حيث انفتح الباب واسعاً أمام الانتهازية وأخذ يبيث مفاهيم مسمومة عن المرأة والعمل والكسب وزيادة إيرادات البيوت وكلها مفاهيم غير صحيحة وغير إسلامية أصلاً وغير مقبولة في تقدير الإسلام ، وحارب كل نهضة إسلامية ، وكل وجهة دينية ، لقد حاول أن يجعل للمرأة مكاناً واضحاً خارج البيت وبطولة ظاهرة في عوالم الرياضة والرقص والفن والتجرد ، وأثنى على الشيوخ الذين أخرجوا بناتهم إلى عالم الرياضة . واحتضن بعض الأزهرين وجعلهم نجوماً .

إن التحول الخطير الذي قامت به الصحافة بتجاهل الروح الإسلامية في الأمة وآثار الصحوة الإسلامية وكل ما يتصل بذلك من تقييم حول مظاهر حقيقية انطلقت من قلب الأمة حول تطبيق الشريعة وحول بناء أجيال جديدة مؤمنة بالله وحول تطلع نحو قيام مجتمعات إسلامية ، كل هذا كان لمصطفى أمين دور كبير في حجبهِ وتشويههِ والاستماتة في حماية مكاسبهِ الزائفة في الإباحيات وتهديم المجتمع والأسرة وإعلاء شأن المرأة الخارجة عن البيت ، ولقد كانت

وراء هذه التجربة قوى كبرى تدفعنا إلى التغريب والخروج عن أصلتنا
وقيمتنا وهدم أصول أخلاقنا وتغيير للعرف والقيم والمؤسسات بحيث يمكن
أن تستسلم الأمة للانصهار فى بوتقة الأمية تحت أسماء لامعة كالديمقراطية
وحرية الفكر وغيرها من كلمات التقدم والتجديد .

إحسان عبد القدوس

(القصة)

وصف الأستاذ يحيى حتى كتابات إحسان عبد القدوس بقوله :

(لا عجب إن كانت ألفاظه كبالونات المراقص المتواثبة أمام عينيك ، فكيف تريد منها أن تستقر على الورق ، الويل له إذا كان فتي يافعاً أو فتاة في مقتبل الصبا ، فإن السحر يصبح نوعاً من التخذير كبقية المخدرات لا تخاو من خطر) ، وهى عبارة رمزية تحاول أن تصور مدى الخطر الذى يواجه الشباب القارئ لكتابات إحسان عبد القدوس التى تحاول أن تصور الجريمة الجنسية والمطاردة والاعتصاب شيئاً مشروعاً وطبيعياً ، ولا بأس به ، بل وتحاول أن تقول : إنه نشأ مع المجتمع وهو ما تقوله المدرسة الفرنسية الاجتماعية التى أنشأها اليهود (دوركايم ، ولينى بريل ، وفرويد ، وسارتر) لإفساد المجتمعات الغربية وتدميرها وإذا كان قد وجد من يروج لهذه الآراء فى مجال الفلسفة والأدب والاجتماع من أمثال لويس عوض ، وحسين فوزى ، وتوفيق الحكيم فقد وجدوا إحسان عبد القدوس فى مجال القصة التى يقرأها الألوف وينخدع بها شباب ليس له خلقية عقائدية تحميه من السقوط ، يتطاع إلى صور الهوى المحرم ولطالما واجه النقاد إحسان عبد القدوس بالتساؤل عن سر هذا الإصرار على تلك العبارات الزاعقة فكان يقول لهم :

إننى بطبيعتي لا أستطيع أن أتوقف عن فكرى الفنى . الفكر الذى عشت فيه منذ كنت أقضى طفولتى وصباى بين كواليس المسارح وفى استديوهات السينما وبين أحضان كل الفنون .

قال الكاتب : لماذا هذا القدر الكبير من الجنس ؟ أنت تجعلنا نشك فى أن كل الفتيات يسلكن سلوكاً سيئاً ، وكذلك كل السيدات فى أصابع بلايد ، البطلة سيدة قد مارست الجنس مع كل شخص وكان كل عملها هو ممارسة الجنس حتى مشاكلها تتجمع حول هذا الأمر . لماذا ؟

قال إحسان : أعتقد أن طرح السؤال على هذا النحو فيه مغالطة ، أنا روائي ومن حق اختبار نماذجي من عينات اجتماعية ونفسية معينة ، أنا لا أتهم أحداً : أنا أتحدث عن شخصية اخترتها بعناية من بين ملايين السيدات وكتبت عن ظروفها وملابسها حياتها . هناك الملايين من الفتيات البريات الشريقات وهذا لا شك فيه ولكن هناك عشرات من الفاسدات .

ونحن نسأل : لماذا لا يتجه إحسان إلا نحو هذا الصنف من الساقطات وكل يمكن أن تكون هذه النماذج النادرة مما يقدمه القصاص الأمين على شرف أمته وعلى عرضها وعلى كرامتها بهذه الصورة العنيفة الصارخة المبالغة فيها إلى آلاف الفتيات البريات اللاتي يقرأن هذا على أنه واقع وما دام قد وقع فهذا مبرر لوقوعه مرة أخرى وتقليده أو للاتجاه نحوه ، هل هذه مهمة صاحب القلم الذي كرمه الله وأناط به أمانة حماية أعراض هذه الأمة ؟ ، وهل يمكن أن يكون مثل هذا يسمى : (مصلحاً اجتماعياً) هذا الذي يريد أن يجاهر بالجرمة ويذيع بها ويقدمها على أنها شيء مشروع ويعطيها مزيداً من البريق والإثارة . كم كان هذا العمل دافعاً لعشرات من الفتيات إلى الانحدار والسقوط بدعوى أنها ظاهرة اجتماعية ، وهل يمكن أن يكون اختبار هذه العناصر عاملاً على أن يحول دون سقوط المزيد ، وهي تعرض على هذا النحو من الإعجاب والتقدير ومع هذا العرض المثير لدقائق هذه الاتصالات ووصف النهود والأجساد والقبيلات في تلك العبارات المثيرة الصاعقة ؟ ولماذا تخصص الأستاذ إحسان عبد القدوس في قصة الخيانة الزوجية وحدها ، وأنفق فيها كل وقته وجهده ؟ ، ولماذا حرص على إعطائها هذا القدر من الإضاءة والكشف « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم . . . » .

ويسأل السائل الأستاذ إحسان عبد القدوس فيقول :
لو أن لديك بنتاً هل كنت تسمح لها بالعمل أو تسمح لها بحرية الاختلاط ؟

ويجيب بعد مقدمة طويلة :
إذا كان لي بنت فسوف أطلب منها ألا تعمل : إن زوجتي لا تعمل ،

بل أنها تعيش وفق تقاليد وعادات أهل العائلة الشرقية القديمة ، ولو رزقت
بنثاً كنت سأعاملها بعقد الفلاح الذى جاء من شبرا الخيمة . إننى أعرف أننى
أعيش بين عالمين متناقضين : عالم عقلى كونته التجربة فى الصحافة والسياسة
والأدب والاحتكاك بكل تجارب الإنسان مع معظم بقاع العالم ، وعالم نشأت
فيه وتعلمت تقاليده : إننى أكثر محافظة فى عادائى وتقاليدي من أى فلاح
نشأ فى القرية ومع هذا فإن دورى كأديب وروائى هو دور المصلح الاجتماعى
(كذا) .

ولا ريب أن هذه الإجابة واضحة وصريحة وكاشفة لحقيقة عرفناها
عن كل دعاة تحرير المرأة وكتابه القصة الجنسية ، وكتاب الإثارة جميعاً أنهم
يوصدون بيوتهم ويعيشون حياة رجعية كاملة فى حياتهم الخاصة ، ولكنهم
يخرضون الناس على الكشف عما يقدمونه من آثار قصصية .

* * *

يقول الأستاذ فتحى سلامة : لقد أطلق على (إحسان عبد القدوس)
روائى الجنس : ظل يكتب بطريقته الخاصة متحدياً التيار الأخلاقى الذى
طالب بتحرّم كتب إحسان عبد القدوس . يقول : (وكان يمكننى أن أتجنب
كل هذه المتاعب لو رفعت بضعة سطور من كل قصة ولكنى رفضت إنى
لا أستطيع أن أشوه الحقيقة) .

ما هى الحقيقة التى لا يريد أن يشوهها إحسان عبد القدوس ؟ هذه
الحقيقة يسميها توفيق الحكيم : الطريق الوعر .

يقول توفيق الحكيم : إذا كان إحسان عبد القدوس يسلك هذا الطريق
الوعر ليجول دون وقوع خطر من الأخطار فيجب أن نعدّره وأن نتحمّله ،
فإن كثيراً من الكتاب الاجتماعيين والأخلاقيين ، قد تعرضوا لسمخط الناس
فى مبدأ الأمر) .

ولا ريب أن عبارة توفيق الحكيم عبارة ضالة ، فما هى الأخطار التى
يدافع عنها إحسان عبد القدوس ، أنها ممساحكات باطلة ، فإن إحسان يتابع
هذا توفيق الحكيم الذى ابتدع ذلك بكتابه الرباط المقدس ، وماذا يمكن

أن يكون من إصلاح اجتماعي من كاتب يصبر في أعماق نفسه على أن يذيع روح الإباحية والاعتصاب ويتخصص في الحياة الزوجية ليجعل من آحاد الأحداث (ظاهرة كبرى) مروجاً يصرار مستمر على تحويل القصص الخيالية إلى صور لها طابع الوقائع لتكون أعمق أثراً في النفوس .

ولكن عندما يعرف الشباب الآثار النفسية التي تشكلت في نفوس الكتاب في مطالع حياتهم فإن ذلك يفسر لهم الاتجاهات نفسها : أما الأستاذ إحسان عبد القدوس فهو صريح في هذا ، يقول : إن جدى هو الذى أشرف على تربيتي حتى أول دخولي الجامعة في ظل تقاليد ذلك الزمان وعندما وعيت الدنيا كان أبى قد انفصل عن أمى ، لهذا عدت للإقامة مع عمى حتى بلغت الثامنة عشرة ، ودخلت الجامعة وعشت مع أمى .

وقد تعلمت أن أقبل يد كل شخص يكبرنى ويدخل دارنا : دار جدى وعندما انتهيت من تقبيل أيدي الجميع أخذتني أمى ونهرتني بشدة وقالت : يجب ألا تقبل يد أحد غيرى . وهكذا عشت في تناقض بين بيتين لكل منهما تقاليده وعاداته .

ونحن نعلم أن كثيرين قالوا له : إن والدته كانت أكبر ممثلة في مصر فلماذا لا يكون هو (. د هـ . لورنس مصر) وقد كان فقد سلك أسلوب لورنس في الكتابات المكشوفة ثم فلسف هذا الاتجاه بدراساته لقرويد ، وسارتر ، ودوركايم ، وهافلوك إليس وكل الإباحيين .

ولقد استطاع إحسان عبد القدوس أن يغلف أفكاره ودعاواه وإباحياته بأن يدبرها في إطار قصة سياسية أو وطنية ليخدع بها الشباب ، وهو نفس العمل الذى قام به جرجى زيدان عندما أفسد تاريخ الإسلام وهو يعرضه للشباب في قالب قصص غرامية .

ولعل أجمل ما في الأمر كله أن طه حسين قال لإحسان عبد القدوس عندما سأله عن قصصه التي يرسلها إليه إن زوجتي تضع الكتب التي تأتيني في البانيو ثم تختار منها أسبوعاً وبعدها تأمر بقذفها إلى الشارع :

• • •

يقول محرر مجلة حضارة الإسلام: إنه ضمن مسلسل التهوديد الثقافي صدرت رواية لإحسان عبد القدوس تحت عنوان : (لا تتركوني هنا وحدي) والتي يروى فيها قصة فتاة يهودية مصرية تزوج مسلماً وتعشق الإسلام ، ثم تضطهد من المجتمع المصرى بعد وفاة زوجها ، هذه الرواية وغيرها جزء من عملية تهويد ثقافى قدمت للأمة على مراحل لم يقدمها كتاب يهود ولكنها قدمت من كتاب أمثال إحسان عبد القدوس ، طه حسين ، لطفى السيد ، سلامة موسى ، لويس عوض ، نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم ، ممن مثلوا طيلة ربع قرن طلائع الفكر التلمودى بدأوا من دار الكاتب المصرى التى قام على رأسها طه حسين ومولها أحد اليهود ومروا بالعلاقات الأدبية والشخصية ، والتى أقامها توفيق الحكيم مع الجامعة العبرية ، فقيل : وبعد إنشاء دولة إسرائيل والتى أخذت تعد ذلك الطابع السرى ثم عادت لتظهر إلى العلن . قال إحسان عبد القدوس فى الأهرام : ليست هذه أول قصة أكتبها عن المجتمع اليهودى ، فقد سبق أن كتبت منذ عشرين عاماً قصة (بعيداً عن الزمن) ، وفى عام ١٩٧٥ كتبت قصة (أين صديقتى اليهودية) بل أننى ذهبت عام ١٩٤٥ إلى فلسطين وزرت الوكالة اليهودية ودرست المجتمع اليهودى .

وبالجملة فإن إحسان عبد القدوس فى نظر الباحثين يحمل لواء —
الدعوة إلى :

أولاً : (انتقاص المقدسات) وهذا يتمثل فى قصة (منتهى الحب) التى يتحدث فيها عن ثورة قامت فى اللجنة يقودها الأنبياء يطالبون بإلغاء الجمعيم
ثانياً : الدعوة إلى انتقاص القيم والأخلاقيات .

ثالثاً : التفكير فى رفع مستوى التوزيع أكبر من التفكير فى العمل
الأدبى وقد واجهه نبيل راغب بهذا المعنى فى مناقشة معه حيث قال له :

أجمع الكتاب على أنك كاتب تسرف فى نشر التوابل الجنسية فى رواياتك
ويرون أن رواجك بين القراء يرجع إلى هذا العنصر ، بينما تؤكد أنك
كاتب اجتماعى تتحرك تحت تأثير أفكار محددة هى الجنس والهدم ومن ذلك

تساؤله : هل الحياة الزوجية مبرر كاف لهدم الحياة الزوجية ؟ ، وهذه التساؤلات من صميم دستور الماسونية التي ترغب إلى الكتاب أن يقتنعوا الناس به ودعوى إحسان بأنه لم يكن محترفاً هي دعوى مزورة ، فقد كانت مجلة روز اليوسف تعتمد على قصصه في التوزيع ، وكانت الكتابة الجنسية هي المصدر الحقيقي للتوزيع وكذلك المحلات والصحف التي ينشر بها تنحو هذا المنحى .

رابعاً : إن العناوين التي يقدمها إحسان عبد القدوس لقصصه إنما هي مصطلحات يرغب دعاة التغريب في ترويجها لكثرة تردها في الإعلانات وفي غلاف المحلات (أنا حرة) هي ليست اسم قصة ولكنها دعوة إلى الفتيات للتحرر من كل القيم والأخلاقيات ، وكذلك مصطلح (لا شيء يهم) هي دعوة إلى اللادارية وانكار الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الفردية ومفهوم الحرية عند إحسان عبد القدوس هو مفهوم الوجودية وأصحاب الفكر الإباحي وهو امتداد للطريق الذي شقه توفيق الحكيم بقصة (الرباط المقدس) ، ولا شك أن هدف القارئ مما يكتب مرتبط بموقف صاحبه وسلوكه الشخصي في الحياة .

خامساً : إن إحسان عبد القدوس يقدم إيضاحات حقيقية عن منهجه في الكتابة من خلال عرض ذكرياته ، يقول : لأن أمي فاطمة اليوسف كانت ممثلة شهيرة اسمها روز اليوسف في العمر الأول لحياتها ، اعتزلني الصبية في طفولتي وتحفظوا في معاملتهم لي ، هذا جعلني في حالة دفاع دائم عن النفس وما زلت ، وكان جزءاً من دفاعي عن نفسي ألا أرسب حتى لا أعطي مجتمعي الصغير سلاحاً يحاربني به بشماته .

* * *

(٣)

أمينة السعيد

(الصحافة النسوية)

حاولت أمينة السعيد خلال فترة إشرافها على مجلة (حواء) أن تطرح مجموعة من السموم وأن تقف في عنف وصلف أمام حركة العودة إلى الله التي قادتها المرأة المسلمة حين التمس الزى الإسلامى والطريق الإسلامى فى التعامل ، فقد أحست - هى ومن ورائها من التغريبيين - بأن ذلك المخطط الذى ظلت تعمل له سنوات طويلة قد انهار مرة واحدة وفجأة ودون مقدمات فقد عمدت أمينة السعيد خلال أكثر من ثلاثين عاماً أو تزيد أن تأخذ بوجهة نظر التغريبيين فى كل قضايا المرأة وأن تدعو إلى إخراج المرأة من بيتها بدعوى معاونة الزوج ، ضاربة عرض الحائط بكل كلام يقال عن الأطفال الذين يسلمهم الأمهات للحضانات الغربية وأيدى الخدم ، وأن تدعو المرأة إلى الأزياء الغربية وإلى العادات الغربية ، وأن تزين لهم حبوب منع الحمل وتحديد النسل وأن تجرى فى التعامل مع المرأة على النحو الذى أوردته روتوكولات صهيون وأن لا تتردد فى الهجوم على الأستاذ الإمام الدكتور عبد الحليم محمود فى أكثر من مناسبة بأسلوب طائش .

لقد كانت أمينة السعيد من أوائل الدعاة إلى دفع المرأة إلى مجالات السهر والرقص والرحلات بدون محرم ، وهى التى دعت إلى تقصير الثياب وعارضت التحشم وهاجمت الزى الإسلامى بأكثر الألفاظ سوءاً وحاولت الادعاء على الإسلام بما ليس فيه من آراء باطلة وزائفة .

ومن قولها الباطل : (إن توفير الثياب أولى من رعاية الدين فى سفر لأفخاذ والصدور) .

تقول أمينة السعيد : (إن الإسراف فى التحجب هوس دينى) بينما الحقيقة أن التحجب وقاية للفتاة المسلمة والتزام منها بتقاليد دينها ، فلا إسراف

فيه ، والكاتبة تعترف بأن قوامة الرجل على المرأة شئء مقرر في الإسلام ولكنها في نفس الوقت تعتبر القوامة اليوم لا مبرر لها ، لأن هذه القوامة مبنية على أن الرجل هو الذى يعمل ، أما وقد أصبحت المرأة تعمل ولها مصدر من المال فإن هذه القوامة لم تعد ، وهذا تفسير ضال وباطل ، فإن المرأة وما تعمل به ملك لزوجها في الحقيقة ولا ينقص شيئاً من قوامته حتى ولو كان هو لا يعمل ومن الكذب والتضليل أن تعلن أمينة السعيد أن المرأة ما دامت قد استطاعت أن تتساوى مع الرجل فلا مبرر للقوامة .

* * *

وقد كشفت إحدى الباحثات في رسالتها عن الصحافة التسوية فساد الدور الذى قامت به مجلة (حواء) التى تشرف عليها أمينة السعيد وقالت : إن اهتمامات حواء هى اهتمامات ومشاكل الشريحة العليا من الطبقة البرجوازية فنية كبيرة من موادها عبارة عن مواضيع تبحث في قضايا الجمال والمكياج والمنزل والمطبخ والديكور والأبراج والأحلام فضلاً عن عروض للأفلام ولقاءات وإعلانات عن سلع كمالية .

وهى تعالج اهتمامات فئة خاصة من نساء المدن ، أما مشكلات وقضايا نساء الطبقات الشعبية في المدينة فليس لها أثر يذكر ، ولا تمثل المواضيع التى تتعلق بمسئوليات ومشكلات المرأة المصرية الحقيقية سوى ١٠ في المائة . أما صورة المرأة التى تعرضها حواء فهى تلك المرأة الأنثى المغتربة في ذاتها وواقعها الاجتماعى العام الضائعة ضمن العلاقات الاجتماعية القائمة والتى لا ينظر إليها إلا ككائن ذى شعور مرفه حساس ليس في مستطاعه خوض الصراع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى التى يمر به المجتمع المصرى . وترى الباحثة أن معظم الموضوعات التى تتناولها الصحافة النسوية في الوطن العربى لا تسهم بشكل أساسى في ربط قضية تحرير المرأة بمشاركتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وهى تركز على الجوانب المختلفة من اهتمامات المرأة : أزياء ، ومكياج ، وتسريحات شعر ، ولا تحاول الصحافة النسوية الاقتراب من مشاكل الغالبية العظمى من النساء مثلات بنساء البوادي والطبقات الشعبية في المدن من فقر وأمية وتشريعات قانونية مختلفة .

وتقول أمينة السعيد : إننى أريد أن أثبت أن النساء يستطعن القيام بنفس الأعمال التى يقوم بها الرجال ويحملن نفس المسؤوليات إلى جانب قيامهن بشئون البيت وهذا الذى تدعو إليه محال فضلاً عن أنه مناقض للفطرة وللتاريخ ولواقع المجتمعات الآن ، فقد أثبتت المرأة فشلها فى أى عمل سوى عملها فى محيط الأسرة (زوجة وأماً) أما الجمع بينهما فمحال ولا شك أن البيوت التى تعمل المرأة خارجها بيوت فاشلة فى وجهتها قدرة مضطربة ، غير منظمة ، غير قائمة على ذلك الحنان والرحمة والأمومة التى لا تستطيع المرأة أن تعيشها إلا إذا كانت قائمة على بيئها وحده وقد فشلت المرأة فى كل عمل أسند إليها حتى عمل أمينة السعيد فى دار الهلال .

إن أمينة السعيد اليوم بعد (جهاد) ثلاثين عاماً فى سبيل إشاعة مفاهيم مسمومة عن طريق مجلة أسبوعية تبث فيها أفكارها ، تحس بالفاجعة عند ما ترى هذه الأفكار وقد سقطت وذبلت لأنها لم تكن موازية للفطرة الإنسانية ولم تكن على الطريق الصحيح ولكنها كانت ضد الأصالة والفطرة والحق والإيمان النفسى المنبعث من دين الله .

إن كل الدفوع التى حملتها فى سبيل دفع المرأة إلى خارج منزلها ، قد سقطت ، إن المرأة المسلمة عرفت اليوم طريقها إلى العلم وإلى العمل ولكن بمفاهيم أخرى مختلفة عن أهواء الماسونية والتغريب .

إن محاولة أمينة السعيد فى مجلة حواء وباب أسألونى فى تزويد المرأة فى طريق الله ودفعها إلى الغواية والانحراف وفتح أبواب الأزياء والتجميل ومفاسد الترف والعطور والتواليت لم تعد تقنع أحداً إلا قلة قليلة . إن ضرباتها التى وجهتها إلى علماء الإسلام كل مرة لم تغنها شيئاً عن أن عرفت بالسفاهة والهجاء والبغى : ، إنها لم تعد تستطيع أن تدافع عن هذه المحنة التى نتجت عن عمل المرأة وهى فساد الأجيال التى ربيت فى أحضان الخدم والمحاضن الغربية وأن خسارة الأمة نتيجة ذلك لجد بالغة مهما حاولت أن تتحدث عن دور الحضارة ، إن مهمة المرأة الحقيقية المقدسة هى الأسرة والبيت وأبنائها جنود الوطن وحماته ، أما إخراج المرأة من المنزل فهو هدف الصهيونية العالمية ، أما حكاية (المورد الاقتصادى) فتلك قصة قد بارت

وفسدت فمن هو الرجل الشريف الذى ينتظر أجر امرأته ، لتقيم به الأسرة معه ، بعد شراء أدواتها وحاجاتها التى تزين بها فى الخارج وتلبس فى البيت أقدر الملابس. إن البيوت قد أفقرت وتهدمت وامتألت بالظلام نتيجة غياب المرأة عن مكانها الحقيقى وما تستطيع أمينة السعيد أن تصدق حين تقول إن المرأة تحقق ذاتها فى مجتمعها فنحن نعرف والناس يعرفون أن المرأة لا تعمل شيئاً ذا بال وأنها تعيش على مجاملات الزملاء أو على أهوائهم مع الأسف ، هذا الذى يفسد عليها علاقتها مع زوجها حين تسمع كلمات الإطراء الكاذبة ثم تعود إلى البيت فتعجد مسئولية وجهداً ، هنالك تضطرب نفسياتها وتسقط وتنحطم أسرتها .

يقول الأستاذ محمد الشهاوى لأمينته السعيد: كفى عنا هذا الملاءم برحمك الله. الإسلام لم يحرم المرأة من التعليم ، تطالعنا السيدة أمينة السعيد بين الحين والآخر بأحاديثها الصحفية التى تذخر بالافتراءات على حمى الدين الإسلامى وعلماء الإسلام والتى لا تستند إلى البرهان العلمى أو السند الفقهى ، وكأن شريعة الله فى حكمها أمر متروك للتفسيرات العفوية التى تأتى مع النقاش الحاد الذى يفتقر إلى الموضوعية والالتزام بالحدود المتعارف عليها بين من يملكون حق ملء أعمدة الصحف والمجلات والآراء والفتاوى . ، إنها ترى أن عودة المرأة المتعلمة إلى وظيفتها فى المنزل لتربية أولادها ورعاية زوجها نكبة ، وتستدل على ذلك بتجربة المرأة التركية بعد حكم أتاتورك ، إن زيارة للمصالح الحكومية التى تكتظ بالموظفات العاملات اللاتى لا يجدن سوى الفراغ والجدال وشغل التريكو وتجهيز خضار الغذاء لأولادهم أو مشاهدة دور حضانات الأطفال لمشاهدة المعاملة التى تسقى بها أطفالنا والتربية غير السليمة التى تغرس فى نفوسهم العقد النفسية بسبب الإهمال والرعاية كافية للرد على دعاوى السيدة أمينة السعيد وقديماً قال أحدهم أن أولادنا (تربية خدامين) ، إن الأطفال فى الأسر التى يعمل فيها كلا من الزوجين لا بد أن يخرجوا إلى الحياة منحرفين ، إن متاعب المرأة العاملة هى فى عدم قدرتها على الجمع بين الوظيفة والزوجية وعدم القدرة على اللحاق بزملائها الرجال فى المناصب القيادية وعدم مقدرتها على مجاراة زميلاتها فى العمل فيما يلبسونه أو يزينون به . الأمهات العاملات : زوجات نعسات بالليل والنهار لا يجدن وقتاً لقراءة كتاب عن كيفية إعداد الطعام .

إن السيدة أمينة السعيد عندما حاصرتها الأسئلة عن مسؤولية الأبناء قالت
على الرجل أن يرعى أولاده فهل هذا قول يقبله عقل ، تترك المرأة عملها
الأصيل إلى عمل زائف ، ويتولى الرجل عمل المرأة ، لماذا ؟ أليس الخير
أن يتولى كل من الرجل والمرأة مسؤوليته التي رسمها له الإسلام بدلا من هذا
الجنوح إلى الأهواء .

* * *

(٤)

حسين مؤنس

(التغريب)

خلال توليه رئاسة تحرير الهلال (- ١٩٨١) كشف الدكتور حسين مؤنس عن متابعة تامة لكل أفكار الاستشراق والتغريب وخاصة في مجال المرأة فقد حرص أن يجرى في هذا الطريق الذي يلح عليه مصطفى أمين وزكى عبد القادر . . . التباكى على المرأة والقول : بأنها ما زالت بعيدة عن تحمل نصيبها من مسئولية الرجال وإنكار كل الضوابط والحدود التي يقررها الإسلام للمرأة في العمل والخروج والملبس ، ويذهب حسين مؤنس إلى التساؤل : كيف أن شعر المرأة عورة ويد المرأة عورة وصورتها عورة .

ويتهم الدكتور حسين مؤنس بالفكر الإسلامى فيقول : إن تاريخ الفكر الإسلامى طويل ، ولكن الشجعان فيه قليلون أو قل لم يوجدوا قط ، والواقع أن هذا - كما يقول الأستاذ عبد الجواد الحضرى - : كذب على الحقائق وما زالت الأرض التي عذب عليها مفكرو الإسلام شاهدة على ذلك - الإمام مالك والإمام أحمد والنووى - البخارى وآخرون غيرهم تحملوا أشد أنواع العذاب لأجل المبدأ الإسلامى ليس إلا يقول :

« ونرى الدكتور يحمل مفاهيم الحادية عن الأخلاق ويردد في علانية آراء (دور كايم) فيقول : (إن عفة المرأة ترجع إلى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها) وهذه العبارة خادعة موهة فإن علماء النفس يقولون صادقين : إن البيئة تلعب دوراً هاماً في تحديد سلوك الفرد وتنشئة شخصيته وأن تلويث البيئة ينعكس على الجسد ، ومن ثم فإن الإباحية المعاصرة أشد ألماً من مخلفات البترول وهل يجوز لامرأة عفيفة الطابع أن تظهر جسدها للناس ، إن الأدب الظاهرى دليل الكمال الباطنى وقدماً قالوا : ما فيك يظهر على فيك .

ويحاول الدكتور مؤنس الاعتماد على كتاب الأغاني (للأصفهاني) كمرجع أساسي للتاريخ الإسلامي المساجن كما يعبر الكاتب ويبدو أنه يجهل حقيقة الإسلام ويدلل على جهله بهذا التاريخ الذي كان في عصر الحجاب ولو أنه علم حال الرجل الذي صنف الأغاني لما اتبعه أو نظر إليه ، فقد كان بذيء اللسان ، يغضب لأتفه الأشياء ويضيق من أيسر الأمور ، يطلق لسانه بلا هوادة حتى ولو كان في أوفى الأوفياء وكان من القذارة بمكان، دنس في ثيابه وفي نفسه ، لا يتورع عن مكروهه ، اهتم بتاريخ الجانب الهزلي فزاد ليشني غليله وتزيد ليرضى مزاجه الخليع ، ومثل الأصفهاني ساقط في ميزان الفكر الإسلامي ونحن ننظر إلى أي رجل تحت ميزان (الجرح والتعديل) .

ويغالط الدكتور مغالطة واضحة يهدف بها إلى الطعن في تاريخ المسلمات الأول، فيقول : إن المرأة السافرة اليوم أقرب ألف مرة إلى معنى الشرف والعفة ، وما عليه لو قرأ فضائح الجنس المنشورة صباح مساء ، ألا فليعلم أن توينبي قال : سيعاني العالم لسنين طويلة من أزمات أخلاقية يسببها الجنس وها هي ذى أوربا مجتمع الجنس والجريمة وخطف النساء وإباحة الأعراض والشذوذ الجنسي

ولا نشك أن آراء سيمون دي بوفوار باللغة الأثر في أعماق الكاتب فهو يرى أنها المثال المحتذى لكل الناشئات ، يطالع أفكارها في حرارة ، وحين يريد أن ينقل شعوره للآخرين يقول : (لقد قالت سيمون في مذكراتها : إن سر نجاحها الأكبر هو أنها لم تذكر قط في عملها أنها امرأة) . هـ

* * *

وعند الدكتور حسين مؤنس نجد كل العلاقات والتوجيهات : الحضارة المصرية أم الحضارات ، المرأة يجب أن تنطلق ، رأيه في العرب واللغة العربية معروف تقول مجلة المجتمع الكويتية (٢٥ مارس عام ١٩٧٥) إن الدكتور مؤنس فاجأ المجتمع الكويتي بمقال أثار مخبطاً عاماً وحاداً فقد وجه إساءات مباشرة للإسلام والشعب الكويتي - وكان يعمل هنالك - يسخر من الفضيلة والاحتشام ويروج للرقص والابتذال ويشوه سمعة مصر بتجريح نساها ورجالها ومع ذلك يدرس الثقافة الإسلامية ويكتب تاريخ الإسلام .

كتب تحت عنوان (المرأة وسنتها العالمية) في جريدة القبس ، يدعو فيه إلى الرذيلة ويتهم فيه الذين يدعون إلى الاحتشام بالانحراف ويشبه علماء الدين بالقطط وينصب نفسه مروجاً للرقص الشرقي ، ويتجاوز كل قيم الدين فيعجى على لسان أشخاص هم من نوعه هذه العبارة :

وإذا لم يرزق الله إنساناً امرأة جميلة هل تحرم عليه أن يرى امرأة جميلة ترقص مثلاً . ولا يزال يتدنى حتى اتهم نساء قومه بالخيانة واتهم رجال بني قومه بعدم الرجولة وأن غيرهم لا تتعدى إطالة الشوارب .

بقى أن يعرف القراء أن حسين مؤنس هو واحد من الذين تربوا على مناهج الاستشراق وتبنوا خطتهم في تشويه تاريخ الإسلام . وهو الذي حاول تشويه حقائق التاريخ الإسلامي ، وهو يضع كتاباً تاريخياً لوزارة التربية هنا (أى في الكويت) وتداركت الوزارة هذا الدس فحذفته ، وقد تحددت أسئلة كثيرة : هل يبقى مثل هذا الشخص رئيساً لقسم التاريخ في جامعة الكويت وكيف يؤتمن على تدريس مادة الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية في الجامعة وكيف يؤتمن على كتابة التاريخ الإسلامي .

إن ترويحجه للرقص الشرقي ودفاعه عنه إساءة مباشرة لقيم القرآن والإسلام فكل رقص حرام لأنه يجعل جسد المرأة وبطريقة مبتذلة متمعمة محوراً لتركيز أعين الرجال . وإذا كان الإسلام يأمر بغض البصر فهل يسمح بفتح العين عدداً على امرأة ساقطة تتاجر بجسدها وتغري بالرذيلة والانحلال .

إن الذين فقدوا هويتهم وفقدوا الإحساس بهذه الأمة لا ينبغي لهم أن يفرضوا تجاربهم الخاصة علينا « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ومن صنوف العذاب الأليم في الدنيا إسقاط هبة هؤلاء المحاهدين وكشفهم وتجريدتهم من كل قيمة أدبية ، فلا وزن أبداً ولا احترام قط لأشخاص لا يقيمون للإسلام وزناً ويحاولون بشئ الطرق المحاهرة بعدم احترامهم لقيمته .

ما معنى أن يتهم حسين مؤنس الداعين إلى الاحتشام بالانحراف ، إن أوروبا العارية فقدت مع العري قيم المروعة والشرف وكذلك أمريكا وفي العواصم العربية التي انتشر فيها التعري كثر فيها الفساد .

(٥)

صلاح جاهين

(العامية)

تذرع صلاح جاهين ودعاة العامية بأكذوبة أسموها (الوجدان الشعبي) والوجدان الشعبي يرى من أضاليلهم . هذا الوجدان الشعبي الذي نشأ وتربى وتشكل على بيان القرآن الكريم .

وقد استطالت العامية في العقود الأخيرة في حماية الماركسية والمذاهب الهدامة حتى عقدت مؤتمراً في دمشق عام ١٩٥٥ يتمحور عن ازدواجية اللغة في كل قطر عربي ويجعل من العامية لغة .

وكانت خدعة دعاة العامية دائماً هي قولهم : الكتابة بالعامية وصولاً إلى الفصحى أو الكتابة بالفصحى وصولاً إلى العامية .

ومنذ لظني السيد الذي دعا إلى ذلك وما يزال هذا الاتجاه ممتداً ولكنه استطال في السنوات الأخيرة في ظل أزمات الفكر الإسلامي ، فارتفعت لغة الحديث العامي وحاولت العامية أن تسيطر من خلال الإذاعة والإذاعة المرئية وجرت محاولات في الصحف لهدم الأسلوب البليغ .

ومهما حاول دعاة العامية الدفاع عنها فإنهم مضطرون ، ولن يستطيعوا مهما قدموا أن يقتنعوا الناس بأن للعامية بياناً أو دوراً حقيقياً ، ومهما دافع عنها من أصحاب الصحف أو كتاب القصص فإن هؤلاء جميعاً يدافعون عن الذوق العامي وطفولة البشرية وخرافات وأساطير الأمم في سذاجتها وانحرافها عن المنطلق الحقيقي .

وإن هذا الاتجاه اتجاه تغريبي فاسد ، يعمل على حساب الفصحى وعلى حساب الكلمة البليغة والمعنى الرفيع ، وما كانت الكلمة العامية بقادرة يوماً على أداء الشعور النبيل .

ولقد كانت دعوة الشعر العامي كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربي وما يزال دعاؤها يبتنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغريب والشعوبية ، ولقد ارتبط الشعر العامي بالسكراريكاتير وبالإثارة وعمل على خلق تيار من التغيير والحوار والأداء يجرى مع الكلمات المكشوفة والعبارات الهابطة ويصرف الناس عن القيم الإسلامية الحقة والمعاني الرفيعة . إن دعوى صلاح جاهين العريضة بالانتهاء إلى مدرسة غربية أو مدارس يثرثر دائماً بعرضها لا يغنيه شيئاً عن أنه على غير الطريق الصحيح : طريق الأصالة وأن مثل هذا الاتجاه لابد أن يموت وينطوى لأنه مضاد لنواميس الحياة والقطرة وقد انطوت من قبله كل دعوات العامية والحروف اللاتينية وغيرها .

ولاشك أن هذه المحاولات التي يرى بها صلاح جاهين عن قوس في كاريكاتيره اليومي لن تغني عنه شيئاً ، فقد عرف بمحاربة الفضيلة والأخلاق والحشمة وأنه في كل مرة يتعرض للمقدمات يمس مشاعر ملايين المسلمين ويزداد في نظرهم مقتاً وكراهية ولن يغنيه هذه السخرية بالقيم الإسلامية شيئاً فهو مكشوف تماماً بدعوته إلى المفاهيم الماركسية المختلفة تحت أشتار من العصرية والفن والتي تستهدف تزييف أصالة النفس الإسلامية وتؤدي إلى تدمير المجتمع ، وأبرز ذلك سخرياته وأغانيه وعاميته ودعوته لكتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية .

ومهما دعا إلى العامية فإنها دعوة قد تجاوزها الزمن ، وكل نتاجها محكوم عليه بالقضاء ، بعد جيل أو جيلين ، أما التراث الخالد فهو التراث المكتوب بالفصحى ولن تتحقق أهواء دعاة العامية وذلك لأن العامية لا تستطيع أن تنقل إلى المثقفين الأغراض الأدبية والفنية .

إن هؤلاء القوم لم يقرأوا فكرنا ولا تراثنا ولكنهم نشأوا على مفاهيم مكسيم جوركي والمتشائمين من الغربيين وقد وجهوا وجهة معينة تستهدف زرع ثمار مسمومة في تربتنا مثل دعوتهم إلى (الحب مش عيب) وغيرها من المفاهيم التي تتعارض مع معاني الفضيلة والخلق الكريم . ولذلك فهم دائماً مصابون بخيبة الأمل ، ومعدودون في صف الخارجين على هذه الأمة .

يوسف إدريس

(التغريب)

تتسم كتابات يوسف إدريس بالجلده والاندفاع والعنف مع قلة المحصول والغرور والثروة وضعف الرصيد الثقافي ، فضلاً عن تدني الأسلوب ، وعدم القدرة على الأداء الأدبي الصحيح .

فإذا أضفنا إلى هذا طابعه الفكري الماركسي والعلماني والاباحي الذي لا يقر معه أى معنى من معانى الأخلاق أو احترام القيم أو الأصالة الفكرية إلى أى مدى تكون كتاباته غير ذات قيمة حقيقية .

ولقد بدأ يوسف إدريس من كتابة القصة وهو مجال مفتوح لكل من يستطيع أن يقرأ قصة أجنبية أو يترجمها ، وكان لاتصاله بالذكور طه حسين كطبيب أثرأ فى تنويه طه حسين به ، ومن هنا جاءت الشهرة أما القيمة الحقيقية فلا توجد ، إلا من حيث أن كتابات القصة فناً قائماً على التقليد والتبعية للفن الغربى وليس له أى جذر عربى أصيل ، من هنا كان إعجاب كتاب الغرب بما يكتب بوصفها بضاعتهم ردت إليهم . ولقد كانت صيحته فى الهجوم على التراث الإسلامى والعربى أكبر دليل على عجزه عن فهم هذا التراث أو الاتصال به أو معرفة قيمه الحقيقية ومن جهل شيئاً عاداه ، ولقد كانت الماركسية حريصة على أن تسيء إساءات واضحة إلى كل قيم الفكر الإسلامى وخاصة التراث الذى أنشأ ذلك الفكر الإسلامى الذى يقدره قدرة رجال الغرب المنصفين ويتجاهله أهله المنكرين له من أصحاب الأسماء العربية .

ولا ريب أن كتابات يوسف إدريس فى مجموعها لا تساوى أكثر من حفنة من تراب ، من حيث أن هذا (الفن) الذى يدعونه لا يمثل تصوراً حقيقياً للأمة الإسلامية وإنما يمثل أهواء هذه الجماعات التى تريد أن تطرح شرائع من الإباحيات والكشف والعبارات العارية الضالقة عن طريق المسرح والقصة .

إن دعوة يوسف إدريس ومدرسة طه حسين ، ولويس عوض إلى إطلاق الفن من قيود الأخلاق مرفوضة في أفق الفكر الإسلامى رفضاً تاماً ، فالقنان ملتزم بالقيم التى جاءت بها رسالات السماء ، وقد تنزه عن هذا المذهب الضال فى الغرب كثيرون وحاربه زعماء الإصلاح من أمثال : كارليل ورسكن ، وأن اللغة العربية والفكر الإسلامى لهما آدابهما القائمة حول الدعوة إلى الحق والخير ومكارم الأخلاق .

ونحن نعرف أن الذين بدأوا حياتهم فى الطفولة فى مجال تعس وشقاء ، حيث لم يجدوا ذلك المعين على الوجهة الصحيحة ، هؤلاء هم قادة الفكرة الباطلة المنحرفة ويشيد يوسف إدريس - كما يشيد بذلك أنيس منصور بأن طفولتها كانت طفولة تعسة ، يقول (لقد كان مفروضاً أن أتحول إلى عدو للمجتمع أو خارج على القانون أو إلى التقيض ، متطرف فى حبي للناس وللآخرين) وليس عداوة للمجتمع أشد من هذه الدعوة التى يحمل لواءها وهى دعوى القصة الإباحية ذات المصدر الماركسى ، وعبارته واضحة فى رفض قيم الدين (أنا لا أريد قيمة ثابتة للحياة اكتشفها الأقدمون) وهذا أمر واضح فى دعوته المندفعة الحمقاء إلى حرب التراث وهو يعنى به كل قديم ولا يستطيع أن يصرح بأنه إنما يعنى مهاجمة الدين نفسه .

وهو يصور فى آرائه هذه من تلك النظرية الضالة : نظرية المتغيرات الدائمة التى لا تعترف بالثوابت الأساسية فى الحياة والمجتمع ، وهى لباب النظرية المادية وخطأ يوسف إدريس راجع إلى أنه لا يؤمن بالوحي ، ولا بالغيب وينقاد وراء المفهوم المادى الظاهر الذى يقايس عليه الأمور تحت اسم (القيم المتغيرة) وفى ضوء هذا الاتجاه المنحرف تصدر عن يوسف إدريس آرائه التى يقدمها بعنف وعصبية ، على نحو لا يمكن أن يوصف بأنه منهج علمى صحيح وإنما هى محاولة للمغايرة ولضرب القيم الأساسية الصحيحة ولكن هيهات ، وهو فى هذا تنكر الشجاعة الإنسانية ، والإخلاص الروحى ، وبطولة الاستشهاد ويرى أن هذه جميعها قيم انتهت لأنها كانت لعصر غير عصرنا .

ومن هذا المنطلق فإن نظرتة إلى التراث الإسلامى هى نظرة فائرة لأن من جهل شيئاً عاداه ولا بد أن التراث الماركسى هو فى نظره أعمق وأشد

خصوصية ، والعيب أن يحصر الكاتب نفسه في محيط ضيق ، ثم يحكم على البشرية كلها التي لم يحط بعلمها فتبدو كتاباته وهي غاية في السذاجة والضعف ومصدرراً للسخرية ولذلك فقد انحصر يوسف إدريس في العامة ، والمصرية ، والأساطير ، والحكاية . ولقد كان واضحاً في حديث نبيل فرج معه (كتاب مواقف ثقافية) قوله :

— ألا تؤدي حرية الإنسان المطلقة التي تدعو إليها في بعض أعمالك إلى الفوضوية ويحاول يوسف إدريس أن يدافع عن نفسه بمزيد من عبارات التويه الغامضة المأثورة عن الماركسيين والماديين وسوف تطوى هذه الأوراق البالية .

إن موقف يوسف إدريس من اللغة العربية ومن التراث الإسلامي سيء وهو دليل على خصومة واضحة للإسلام رعداؤه واضحة لموروث هذه الأمة ، وقد وضع ذلك عند كل قرائه ولم يعد يخدع أحداً .

فالجميع يعلمون أنه يصدر عن غير (الباب الأصيل) للفكر الإسلامي وأنه من هواة الكلمة الضخمة التي تحدث الدوى من أجل الوصول إلى الشهرة تأكيداً لنفسية عاشت طفولة قاسية وذوقت من المرارة ما تريد أن تعوضه بالتبريز في مجالات مفتوحة من التغريب والشعوبية ومعارضة الأصالة التي ينطلق إليها الفكر الإسلامي وما تزال قصصه أشبه بأحجار وصخور وأوحال وغيوم و برق ورعد يدل على نفسية غير مستقيمة الاتجاه ، انطلقت فصعدت الكثير وأثارت أحقاد النفوس ، وتركت جراحات في نفوس أخرى كان من نتيجة اتصالها بها أن اضطربت هي الأخرى وفسدت وهو في انطلاقة من ذلك المنطلق المسموم ، فقد دعا إلى الإقليمية ، والإباحية ، وما أشد فساداً من صبرته (الاشتراكية ثورة دائمة) تلك النظرة القاصرة التي تعتبر أن مشاكل الإنسان قاصرة على أن يأكل أو يزاول الجنس ، ولقد كانت بطولات قصصه في العقد الأسود من حياة مصر عقد الستينات ممثلة في فرفور الذي تقوم بطولته على التمرد حتى القوانين الطبيعية حتى وصفه الكثيرون بأن دعوته إلى الحرية المطلقة تدعو إلى الفوضوية والمغلاة ، وتصوير الجنس إيماناً بما آمن به الخاسر فرويد من أن الجنس هو المحرك الأعظم الذي يدفع للبحث عن الطعام والشراب فهو في مفاهيمه خليط عجيب بين الاشتراكية والوجودية وهو في مجموعة دليل على صدع واضح في الفهم والعقل .

(٧)

أنيس منصور

كشفت أنيس منصور عن حقيقة هويته بمذكراته عن العقاد ، فقد كانت تاريخاً لحياته وأفكاره وهى ترسم صورة أنيس منصور الذى دار على جميع جماعات مصر ، التصوف والماسونية والشيوعيين والبهاثيين ماذا كان يفعل وهل كان يحمل ثمار هذا كله إلى أحد غير الأستاذ العقاد ، هذه القراءات المهلهلة ، والكتابات المملولة ، التى كشفت بها عن هويته منذ الأربعينات التى كانت وراء قناع من الفلسفة والعلم ، والحديث دائماً عن المفاتيح التى قدمتها الماسونية للناس لاحتوائهم : الموسيقى والرقص والغناء ، هذه الجماعات المنطلقة إلى اللهو فى كل مكان ، فى الأندية والرحلات التى يدفعها الشيطان دفعاً بتلك الأيدي الماسونية القادرة التى تكتب وتترجم عشرات من الكتب الإباحية والمسرحيات والأغاني ، هذا الفن الذى يقدسونه وهذا الحب الذى يجعلونه قاسماً مشتركاً على كل المسرحيات والفنون والاستعراضات .

إن مذكرات أنيس منصور عن العقاد تكشف جانباً جديداً من الأثر العميق الذى أحدثته التغريب فى جيل أنيس منصور ، هذه الفترة الحافلة بالفرق الصوفية والبهاثية وشهود يهوه والفلسفة ، هذا التحرك الذى كان يتحركه أنيس منصور يوحى بأشياء كثيرة ، لماذا هذا الحرص على معرفة كل ما يدور فى هذه الأماكن والتجمعات من أقصى اليمن إلى أقصى اليسار ؟ وقد أوضح أحد الباحثين أن أنيس منصور كان فى كلية الآداب قسم الفلسفة تلميذاً لأحد اليهود ، هو بول كراوس وأن علاقته بالفكر الأسمى والتلمودى بدأت من ذلك الوقت وقد أدى دوره فى كتابات استمرت أكثر من خمسة

عشر عاماً في الصفحة الأخيرة من أخبار اليوم ما تركت كتاباً من كتاب الجنس أو الإباحة أو الانحلال إلا لخصه وترجمه وقدمه .

ولعل قصة ظهور أنيس منصور في الصحافة معروفة ، فهي إدخاله إلى مصر لعبة السلة التي يكتب القلم بها بدون يد تحمله . إن قيمة أنيس منصور الحقيقية هي رحلته إلى بلاد السحر والحرافة وتقديمه خير ما وجد هناك مما أهله ليفوز بلقب رئيس تحرير مجلة الجليل الجديد ، وتسويد مئات الصفحات بحكايات الجنس والأزياء وتحضير الأرواح والعلاج بالإبر الصينية ورقصات الشعوب وحفلات الزار وقصص الغرام والكائنات التي تحولت إلى متاحف تجتذب السائحين .

وكان دفاعه عن الخمر التي تحملها الطائرات أبرز أهدافه ، إذ كيف ترك الطائرات الخمر وتعرض للفسادة وتفقد سمعتها بين شركات الطيران العالمية ، يتباكى أنيس منصور بشأن خسارة شركة الطيران العربية بسبب الخمر ، ولقد كان مروجاً لدجل الدجالين من مدعى علم الغيب من الفلاسفة الذين يزعمون لأنفسهم عبقرية خاصة في معرفة الغيب ، وقد تبين أن كثيراً من هذه التنبؤات كاذبة وأنها قد وضعت للإثارة ولترويح الصحف ، ومن قبل كان أحد التوأمين يكتب (بختك اليوم) ، بل أن إسماعيل النقيب يسجل في جريدة أخبار اليوم (٨ ديسمبر عام ١٩٨٠) أن كتاباً صدر عن هذه التنبؤات بقلم أحد الفلاسفة الذين وصفوا بالعبقرية (العبقرى الفلسفى) ، وقد كتبه أنيس منصور بخطه :

قال أنيس منصور : إني كنت أريد بعد أن أشهره أن أستفيد منه في توزيع آخر ساعة عندما كنت رئيساً لتحريرها وقد اكتشف مدير مطابع بأخبار اليوم أن كتاب هذا الفلسفى مكتوب بخط أنيس منصور الشهير جداً عند عمال المطابع وقد احتفظ إسماعيل النقيب بهذه التنبؤات ، ثم كشف كيف أنها كانت كاذبة تماماً فلم يمت عام ١٩٨٠ أبو رقية ، أو الحميني ، أو يوسف وهبي ، أو برجنييف :

وبعد : فإن الصحافة هي المشغولة عن ترويح هذا النوع من دجل الدجالين ولن يغنى أن يكتب مقال لدحض هذه الشبهات إزاء ذلك القدر الواسع اليومى المستمر في عشرات الصحف :

لقد كان أنيس منصور كما صور نفسه كرة في كل شبكة ، يقول :
انجحت إلى الفلسفة وبهرتني وأطاحت بي بعيداً جداً عن أى شىء فأخذتني
ولعبت برأسى وقلبي ، فأصبحت ورقة في مهب الريح ، فأنا أجلس في
حانة الفلسفة وأشرب كل ما يقدم لى ، كل شىء جديداً وكلها أسلحة في
يمنى أطلقها على المفلسات ، كتاب عبد الرحمن بدوى (من تاريخ الإلحاد
في الإسلام) اعترض طريقى وطمس عيني وتشعبت تحت قدمى السبل ، هذا
هو الضياع ، ومنذ ذلك الوقت وما زال أنيس منصور غارقاً في الوحل !

يقول الأستاذ مصطفى الخولى : أيام حكم الطاغوت في مصر كان يسلى
الناس بحكايات عن الجدد والعالمقة وسفن الفضاء والصواريخ التي صنعت
قبل العصر الحجري أو بعده أوصنعها مخلوقات في عوالم أخرى ، ثم بعد
ذلك أو قبل ذلك كتب مقالات عن العفاريث والأشباح والأشجار التي
تمتص دماء البشر « . . . وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم . . . » .

ما هو عجل أنيس منصور ؟ هل كل الفلسفات الأرضية منتهياً بالوجودية
المادية الحديثة ، ويخلط ذلك في مقاله بالإسرائيليات والأفكار الدينية
الموضوعة ويأخذ من هذا الخليط قصص القرآن ويمزجها به دون فواصل
أو حدود ويستشهد بآيات من كتاب الله في ثنايا مزيج فكرى موبوء ،
ويتناول على مقام الأنبياء والمرسلين ، ويتحدث عنهم كما يتحدث أى مفكر
غربي عن أبطال الأساطير الوثنية .

زار الفيلبين في خدمة الصليبية الكاثوليكية وأعطى صورة مشوهة عن
ثورة المسلمين في الفيلبين وتحدث عن الولايم التي كانت تقام له . وقال عن
ثورة المسلمين ما لا يتفق مع الحقيقة التي أوثمن الصحفي على عرضها بين
الناس ، ولا يتسجم مع الصدق الذي يعرف به الرجال ، وقال : إن المسلمين
قتلوا لأنهم متمردون على السلطة ولأنهم يطالبون بالانفصال لأنهم واقعون
تحت تأثير عناصر غربية ، وأن أية دولة من حقها ، بل من واجبها أن
تحمي نفسها وتحمي شعبها ، والحقيقة أن المسلمين قتلوا في الفيلبين لأنهم
مسلمون . قد تكالبت عليهم القوات الصليبية الحاكمة وأرسل المبشرون
بالنصرانية إلى مناطقهم وهم لا يتأثرون إلا بالإسلام وجده وعواطفهم مع
الدول الإسلامية . لهذا كانوا ما يزالوا يقفون إلى جانب العرب في حربهم

مع إسرائيل ويحاربون ولاء ماركوس للصهيونية وفضح أنيس منصور نفسه عندما سجل أسئلة المسلمين وأجوبته ، فقد تبين أنه لم يزر أى مدنها ولم يقابل أى من رجالهم ، ولم يذهب إلى جزيرة سولو ، وشأن أنيس منصور فى ذلك شأن كل الوفود ، رأى كل شىء من خلال ماركوس وأنصاره ، ولم ير المناطق الإسلامية ولا الثوار المسلمين . إن أنيس منصور قد ذهب للمتعة والزيارة ، للفندق المريح ، والطعام الفاخر ، ومناظر النساء ، وماله والحرب ، والمصدر الوحيد الذى يأخذ كلامه منه هو ماركوس ، وحكومته وأرسلت زوج ماركوس مليون جنيه لأحد المسئولين فى مصر أثناء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية وكانت الهدية بعد زيارة نسائية لمصر ، هذه الهدايا الظاهرة والمستترة يراد بها طمس الحقائق وتضليل المسلمين . هـ

* * *

الفصل السادس

دعاة الشعوبية

- ١ - أتباع ديوى : (إسماعيل القباني ، وعبد العزيز القوصي) .
- ٢ - محمد أجد خلف الله .
- ٣ - عبد الرحمن بدوى .
- ٤ - غالى شكرى .
- ٥ - زكى نجيب محمود .
- ٦ - عبد الرحمن الشرقاوى .
- ٧ - عمر عبد العزيز أمين .
- ٨ - صلاح عبد الصبور .

(١)

مناهج التعليم : (أتباع ديوى)

(إسماعيل القباني ، عبد العزيز القوصى)

بعد أن ركز (دنلوب) أسلوب العمل في وزارة (المعارف) نشأت مدرسة موالية سرعان ما اتصلت بالفكر التربوى الغربى ، وتركزت حول نظرية (ديوى) تحت ظلال كليات التربية .

وقد اشترك إسماعيل القباني مع عالم النفس السويسرى ادوارد كلايارد الذى جاء مصر لإنشاء معهد التربية عام ١٩٢٩ الذى حمل لواء الفكر التربوى الغربى الوافد ، وكان لنجاحه أبعد الأثر فى أن ولى وزارة المعارف فى صيف ١٩٥٢ ، لقد دأب على تكوين جيل أو مدرسة فكرية واصلت عملها فى المراكز القيادية فى معاهد وكليات التربية والمعلمين فى مصر والعالم العربى . وعلى أيدى هذه المدرسة تخرجت أجيال عديدة .

وكان الصراع قوياً بين القباني ومثل المدرسة الأمريكية وبين طه حسين ومثل المدرسة الفرنسية وكلاهما يطمح فى أن ينصهر شباب العرب والمسلمين فى دائرته ليكون على ولاء لأى الثقافتين وكانت مفاهيم الثقافيين معارضة تمام المعارضة لمفهوم التربية الإسلامية . كانت نظرية طه حسين فتح أبواب التعلم على مصاريعها وكانت نظرية إسماعيل القباني الاقتصار على ذوى الكفايات والقدرات .

المهم أن كلا الرائدین لم يكن يؤمن أبداً بمفهوم التربية الإسلامية الذى يقوم على بناء المسلم على أساس الإيمان بالله وأن للمسلم رسالة هى الاستخلاف فى الأرض وبناء الحياة فى إطار العمل لقيام المجتمع الربانى مؤمناً بالمسئولية الأخلاقية والجزاء الأخرى .

هذا المعنى كان بعيداً جداً عن مفهوم التربية فى المدرسة الحديثة .

إن المفهوم الذي تحمله أهداف التربية الحديثة مفهوم إقليمي قاصر على الوطن الضيق ، وقاصر على المفاهيم العلمانية المحدودة في إطار العمل والثروة ومشكلات المجتمع المحدودة ، في دائرة ضيقة بينما يتجه المفهوم الإسلامي للتربية إلى أفق واسع . إن نظرية ديوى في التربية تقوم على أساس من نظرية فرويد من أن الإنسان حيوان ، وأن الجنس مصدر (دوافعه) وأن توجيه الطفل يؤدي إلى العقد . وهكذا وكلها فروض لم تثبت وأثبتت التجربة فسادها بل أن مذهب ديوى نفسه قد تجلى عنه التربويون الغربيون ، ولكنه لا بأس بتصديره إلى بلاد الإسلام لتحطيم مقومات الأمة ، ويسير عبد العزيز القوصي في نفس الاتجاه : وهو صاحب طريقة شرشر التي ترمي إلى هدم اللغة العربية الفصحى ، وتعمل على تبسيط اللغة وتطويرها وكلها محاولات لفصلها عن بلاغة القرآن وبيانه .

ومن أجل هذا عين القوصي مستشاراً للتعليم عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ ولما ذهب إلى باريس عين سفيراً في منظمة اليونسكو ، ثم كلفته اليونسكو بإنشاء مركز تخطيط التعليم للدول العربية في بيروت واختير مديراً له .

* * *

يقول مؤلف كتاب (الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب) :
إن أبرز مظاهر مذهب ديوى في التربية هو إبعاد الدين عن مجال التربية ، هدفه هو إبعاد المسيحية عن برامج التعليم الغربي . وقد قصد الاستعمار إلى فرض هذا المذهب في دراسات مدارس المعلمين العليا التي كانت مجال تخريج رجال التربية في مصر لعزل الإسلام عن مناهج التعليم ورأى في هذا عوضاً عن الإشراف البريطاني على التعليم ، الذي كان يقوم به دنلوب حتى عام ١٩٢٢ وكانت نظرية (ديوى) عماد المنهج التربوي بعد ذلك وكان إسماعيل القباني هو عماد هذه الدعوة وحامل لوائها بإنشاء معهد التربية وليس أدل على اضطراب نظرية ديوى من أنها هوجمت في أمريكا نفسها ورميت بأنها (مجردة من العناصر الصالحة لتنشيط الحياة الفكرية) : وقد ظل لأتباع نظرية ديوى سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم في مصر خلال الفترة التي توّرخها وبذلك استطاعت أن تبعد الإسلام عن مجال

التربية والتعليم مع حملات مستمرة على أساليب التعليم الأزهرية وإبعاد خريجيه عن مجالات التربية بحجة إطلاق عليها (النقص في مستوى الكفاية الفنية للتعليم) وذلك جرياً مع الهدف التغريبي الواضح . كما حرصت هذه المناهج على حجب الدراسات الوطنية والتاريخية التي تعتمد إلى بث أجداد الأمة وعظمة الشخصية العربية في نفوس الطلاب . وقد خللت البرامج في المدارس والمعاهد العربية في عهد الاستعمار البريطاني والفرنسي في مرحلتيه : مرحلة الحماية ، ومرحلة الاستقلال الذاتي من :

١ - الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي .

٢ - القرآن والدين الإسلامي .

٣ - أصول اللغة العربية وفلسفتها .

وأشار الدكتور محمد البهي في كتابه (الأزهر في تكوين الكتلة الثالثة) إلى أن اتباع ديوى في مصر ومن قبلهم دعاة الاستعمار باسم الثقافة والتربية - يهدفون إلى إبعاد الإسلام عن مجال الحياة ومن مناهج التربية ، والغرض من الأزهر والنيل من كرامته والتصدى والتحدى لما يعكف عليه من تراث ، وما تميز به تاريخ مصر وتاريخ العالم الإسلامي من توفر على دراسة الإسلام . وإن نداء اتباع ديوى في مصر بالواقعية في المناهج الأزهرية هو استرسال في حملة الاستعمار على الأزهر وعلى الإسلام ، فالأزهر هو عقبة الاستعمار وسيتبقى عقبة لهؤلاء الذين ينادون بالواقعية الديوية ، ونحن نريد من اتباع ديوى في مصر أن يكونوا واقعيين يعيشون في المجتمع المصري ويقطعون تبعيتهم للمجتمع الغربي وعندئذ سيدركون أن الأزهر واقعي لأنه يعنى بالإسلام وبتراثه . إنهم ساعة ينادون بواقعية أوجست كومت في مصر انفصاليون يحاولون فصل مصر وعزلها عن مجموعة الشعوب الإسلامية الأخرى ويحاولون بالتالي عزل مصر عن قيادة العالم الإسلامي قيادة ثقافية ويقول : إن ثلاثين عاماً أنفقها أتباع (المربي التقدمي) : نجون ديوى في محاولة (الانسجام مع الحياة) قد أبعدت التربية الأمريكية عن مرحلة (الانسجام) وتركها مجردة من العناصر الصالحة لتنشيط الحياة الفكرية .

* * *

(٢)

الدكتور محمد أحمد خلف الله

(الشعبية)

كشف أخيراً الدكتور محمد أحمد خلف الله عن موقفه عندما أعلن انضمامه لحزب التجمع ، وقد كنا في حيرة لمعرفة هويته التي كان يصدر عنها في مواقفه منذ كتب الفن القصصى في القرآن ، ثم توالى كتاباته عن مفهوم الدولة في الإسلام ومحاولته تزييف المفهوم الأصيل للإسلام : ديناً ودولة ودعوته في مجلة آفاق عربية (شباط عام ١٩٧٦) إلى ترتيب جديد لسور المصحف الشريف . وهي دعوى سبق إليها المستشرق بهل والأستاذ أمين الخولي (الذى وجهه في رسالته عن الفن القصصى للقرآن ، وهكذا ينتظم عقد متصل من محاولات التغريب والشعبوية ، وقد رد الأستاذ جلال الحنفى على دعواه الخاصة بترتيب القرآن حسب نزوله فقال : من الحقائق التي تثبت سلفاً أن القرآن الكريم ليس كأي من كتب التاريخ التي تعنى بربط الأحداث بالأعوام والأرقام وتوثيق الوقائع بأسماء الأشخاص والأماكن وغير ذلك فإن القرآن جنب نفسه هذا الاختصاص . كان غالب أسلوب القرآن في عرض الأمور التاريخية منصرفاً إلى إهمال القصد التاريخي والجغرافي كل انصراف فهو لم يعين في قصة أهل الكهف موقع الكهف ولا عدة من لجأ إليه من الصبية الهاربين بعقيدتهم ، ولا ذكر أسمائهم ولا زمن وقوع الحادث ولا العهد الذي عادوا فيه إلى المدينة ثانية ولم يكن من دأب القرآن الإشارة من قريب أو بعيد إلى أوصاف الناس وانهاياتهم القبائلية والجنسية .

لذا لا نرى فيه شيئاً من أسماء الأقوام والأجناس البشرية اللهم إلا ما جاء في الآية القرآنية « غلبت الروم . في أدنى الأرض . . . » .

إن القرآن نحاشى هذه الملامح حماية لمبدأ الأمية المقدسة في مذهبه
من أن يمس بضروب من التمييز العنصرى وهو دين الإنسانية جمعاء .

* * *

ولقد ظهر في الفترة الأخيرة ما يسمى مدرسة أعداء الشريعة الإسلامية
وهم تلاميذ الدكتور عبد الحميد متولى الذى أولى اهتماماً كثيراً بأراء الشيخ
على عبد الرازق ، فتابعه في هذا كثيرون منهم خلف الله والنويهي وغيرهم
وكذلك مضى خلف الله إلى مهاجمة كل مقومات المنهج الإسلامى :
فهو في مقاله في الطليعة (جريدة الماركسيين في مصر) تتحدث عن ما ادعاه
من ترك الإسلام لجماعة المسلمين أن يختاروا لكل عصر من النظم ما يلائم
حياتهم في الوقت الذى يعيشون فيه حتى لا تتجمد الأمة الإسلامية على نظام
واحد وأن وظيفة الدولة في القرآن هى تحقيق الصالح العام على أساس من
الحق والعدل والصالح العام بما يتحقق بدفع الضرر عن جماعة المسلمين
وجلب النفع لهم ثم يقول إن القيم القرآنية هى القيم التى نادى بها الاشتراكية
فيما بعد .

والحق أن نظرية خلف الله مضللة ، وزائفة وأن الإسلام يختلف تماماً
عن الأيدلوجيات البشرية وأن نظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى الجامع ،
بإقامة حدود الله تماماً في كل عصر وجيل وبيئة ، أما الذى يسمح به المنهج
الإسلامى في التطبيق فهى التنظيمات التى لا تخرج عن قواعده الثابتة ، أما
الخضوع للمناهج البشرية الموجودة الآن فذلك هو الضلال المبين وأن شرط
تحقيق الصالح العام في الإسلام هو تطبيق شريعة الله التى جاء بها محمد صلى
الله عليه وسلم وأقام عليها الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية التى ظلت
قائمة حتى حجبها النفوذ الأجنبى عند احتلال بلاد العالم الإسلامى حيث فرض
قانونه الوضعى القائم الآن والتي يجب على المسلمين أن يرفعوه ويعودوا
إلى منهجهم الأصيل .

وأن هذه المحاولات التى تسوقها هذه المدرسة بتبرير القانون الوضعى
بأنه قريب من الشريعة أو أنه يمكن تعديله أو إدخال نصوص عليه ، فهذا كله
لا يفي عن العودة عودة صحيحة جديدة إلى تطبيق الشريعة بإنشاء قوانين
جديدة في التجارة والاقتصاد والسياسة والعموبات والحدود وفق ما جاء به الإسلام :

كذلك يبرر خلف الله فكرة القومية العربية التي طرحها ساطع الحصري وميشيل غفلق ويدعى أنها حركة إسلامية ، والواقع أن القومية العربية — كما يقول دكتور محمود رشوان هي فكرة طرحها الاستعمار الغربي في أوائل هذا القرن رافعاً شعار العلمانية لتفريق الأمة الإسلامية وتمزيقها بعد أن أعيته الحيلة في ذلك وقد نجح إلى حد ما ، وما نراه الآن من تفرق وانهازام وذل ما هو إلا نتيجة لتبني هذه الفكرة الوافدة (مارس عام ١٩٧٦) الطليعة .

أما قول خلف الله بأن الدولة قد ترك تنظيمها للناس وأن ما يسمى بالتنظيم الأوربي لا يجب ربطه بالدين فإن هذا يعني أحد شيئين ، إما جهل بوجود فكر إسلامي سياسي ومنهج إسلامي جامع يقود الدولة وتنظيم الأمة وأما أنه يموه تمويهاً خطيراً ليخدع بعض البسطاء على طريقة الشعبويين والماركسيين والتغريبيين في كل وقت وآن ، والآن قد عرفنا أن الدكتور خلف الله معتنق لمذهب الماركسية والتفسير المادى للتاريخ .

ملحوظة : (نناقش في فصل الشريعة الإسلامية أراء جديدة للدكتور خلف الله).

* * *

(٣)

عبد الرحمن بدوى

(الفلسفة الوجودية)

حرص الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يكون بوقاً لكل التيارات والصيحات الفكرية الوافدة فقد حرص على ترجمة الفلسفات اليونانية القديمة والمعاصرة الحديثة ، وعنى بالكشف عن دعاة الحلول والاتحاد والمزيفين لمفاهيم الإسلام تحت اسم التصوف والفلسفة أمثال الحلاج والسهروردى وابن سبعين وابن عربى . ولم يتوقف عند هذا الحد فكان مترجماً لفكر سارتر داعياً إلى وجودية عربية ، بل كانت كتب سارتر تنشر في وقت واحد في باريس وبيروت بفضل ترجمات عبد الرحمن بدوى لها .

وكانت أطروحة الدكتوراة التى تقدم بها عام ١٩٤٥ عن الوجودية (الزمان الوجودى) ، وكان مشرفاً عليها عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى أعطاه لقب فيلسوف فهو خليقة هيدجر وباسبرز وسارتر وميرلوبونى ومارسيل وكيركجارد فى هذا المجال . قال عنه عبدالفتاح الديدى أنه تعرف إلى المشرق اليهودى بول كراوس الذى وجهه هذه الوجهة (هو الذى أمد عبد الرحمن بدوى بالزاد الفكرى الغربى الكبير وعرفه بمجالات البحث فقام عبد الرحمن بدوى بترجمة أبحاثه إلى العربية وخاصة كتابه الأثر اليونانى فى الحضارة الإسلامية .

لقد كان إتجاه بول كراوس اليهودى وتلميذه عبد الرحمن بدوى إلى التراث المنحرف المضطرب المتصل بالفكر اليونانى وأثره فى كتابات أمثال أبو البركات البغدادى وفخر الدين الرازى وكان اهتمامه بالحوارج والصوفية والباطنية فأصدر ما لا يقل عن ١٥٠ كتاباً فى الفكر اليونانى والفلسفة المعاصرة وحقق كثيراً من المخطوطات القديمة فى هذا المجال .

وعبد الرحمن بدوى ثمرة ناضجة من ثمار التغريب ، من ذلك الرعيل
الذى شكله الاستشراق اليهودى وطه حسين ومدرسة التغريب والتبشير ،
وقد صنع هو جيلا من الشباب فى مقدمتهم أنيس منصور .

هؤلاء الذين لم يقبلوا صيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى فهم للفلسفة
الإسلامية على النحو الذى عرفه تلاميذه ، أمثال الخضرى والنشار وغيرهم
الذين كشفوا زيف مدرسة (ابن سينا - الفارابى) ، وكشفوا صلتهم بالدعوة
الباطنية واضطراب مؤلفاتهم فى مراجعها اليونانية الى نسبوها إلى غير مصادرها
الأصلية والذين تأثروا بالتفسيرات المنحرفة الى وضعها النساطرة لترويج
مفاهيمهم الكنسية . لقد استبان لهم الطريق الصحيح ولكنهم تجافوه ورغبوا
إلى طريق التغريب .

* * *

(٤)

غالى شكرى

(التراث)

يحاول غالى شكرى حين يتحدث عن التراث أن يتحدث عن التراث الفرعونى والبابلى والفينيقي وتراث العصور القديمة ويرى أن الفيلكولوج جزء من التراث . وهو يحاول أن يضع المصريين والعرب أمام هذا الزكام المختلط المضطرب جميعه وينسى أن الإسلام قد أحدث انقطاعاً حضارياً بين عصر ما قبل الإسلام وما بعده وأن المسلمين منذ أربعة عشر قرناً قد كونوا تراثاً إسلامياً خالصاً مستمداً من معطيات الفكر الإسلامى وحده وأنهم قد قالوا الكلمة الفاصلة بالنسبة للفكر البشرى والوثنى والمادى والإغريقى القديم الذى كان خليطاً من الخير والشر والحق والباطل والذى جاء القرآن الكريم لتقييمه وتصفيه موقف الإنسانية منه نهائياً .

وقد كشفت الدراسات عن أن الحضارات الفرعونية الفينيقية والآشورية والبابلية كلها كانت ثمرة موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية وانداحت فى هذه المنطقة وأنها كانت استمداداً من دعوة الحنيفية الإبراهيمية وما يزال كل إيجابى فيها مستمد من هذه الدعوة التى امتدت حتى تكاملت بالرسالة التى حملها محمد صلى الله عليه وسلم والتى صححت أخطاء ومغالطات وتحريفات اليهودية والمسيحية .

أما إحياء التراث على النحو الذى قدمه التغريبون الذين يعزى بهم غالى شكرى فهو عمل باطل ومضلل فقد فتح الطريق إليه الدكتور طه حسين بكتاباتة المسمومة فى هامش السيرة والفتنة الكبرى وسار على نهجه عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه محمد رسول الحرية ومحمد عمارة فى (مسلمون ثوار) وأحمد رشدى صالح فى كتابه اليمين واليسار والإسلام ، وهذه كلها صفحات

مظلمة استعمل فيها التفسير المادى للتاريخ ولم يستوعب مفهوم الإسلام الحقيقى وكان كتابها على عدااء وكرهية من مفهوم الإسلام الصحيح وقد قصدوا إلى تزييفه ولم يكن التقدميون فى استلهاهم التراث على هذا النحو إلا خصوماً للإسلام كذلك فإن توفيق الحكيم فى استلهاهم الميراث فى الملك سليمان وأهل الكهف كان معارضاً لمفهوم الإسلام والقرآن ، وكاتب كتابات مأساة الحلاج لصالح عبد الصبور مستمدة من مفاهيم الاستشراق وكذلك الحسين ثائراً وشهيداً لعبد الرحمن الشرقاوى . وقد ووجهت هذه الكتابات بالرد المقيم على انحرافات وأخطائها وأهمها أن أصحابها لم يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع بين الوحي والعقيدة والشريعة وإنما صدروا عن مفهوم الإسلام على أنه حركة إصلاحية بشرية وليس ديناً منزلاً وهذا هو خطأهم الأكبر ، وهو الذى يرضى غالى شكرى حين يرى الأقلام العربية هى التى تهدم الإسلام .

وإذا كانت قصة التراث قد طرحت بعد هزيمة عام ٦٨ فإن المفهوم الحقيقى لها أن المسلمين خرجوا عن مفهوم الإسلام الأصيل حين اتسوا أسلوب العيش الفردى وخلعهم الاستشراق والتغريب بأن أسلوب الغرب هو الوسيلة الصحيحة للوصول إلى الحرية والتحرر ، ونسوا أن المصدر الأصيل للنصر والتمكن فى الأرض هو تماس مفهوم الإسلام الجامع الصحيح الذى تجاوزه المسلمون حين قبلوا الأسلوب الغربى فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية . ولم تكن مفهوم المسلمين للتراث يعنى الانغلاق على النفس أو الاكتفاء بالذات ولكنه يعنى أساساً الحفاظ على الذاتية الإسلامية من أن تنصهر فى بوتقة الحضارة العالمية التى ترمى إلى إزالة هذا التمييز الخاص الذى يجد فيه المسلمون قوتهم وقدرتهم وفى مقدمة ذلك التوحيد والعدل والأخاء الإنسانى ومفهوم الجهاد الذى هو فريضة ماضية إلى يوم القامة .

ولقد فرق المسلمون دائماً تفريقاً واضحاً عن الميراث الذى هو دين الله الحق المنزل (القرآن والسنة) وبين التراث بمفهوم الفكر الإسلامى الذى صاغ هذه المفاهيم وقاوم عمليات الغزو والتغريب على مدى العصور وهم لم يعطوا تراثهم ولا تاريخهم قداسة معينة ، ولكنهم جعلوه ضوءاً كاشفاً أمام الأحداث وإنما استمسكوا حقيقة بمرآتهم التى يقوم على مفهوم جامع للروح والمادة

والعقل والقلب والدنيا والآخرة ، والذي صيغ في أطر واسعة مرنة قادرة على تقبل تغيرات الأزمان واختلاف البيئات ، ولقد كان منهج المعرفة الإسلامى جامعاً بين الثوابت والمتغيرات ، بين الإلهى والبشرى ، وقادر على العطاء وتقبل التطور والتغير فى الجزئيات ، أما بالنسبة للأصول الثابتة ومحدود الله فقد ظل قائماً ثابتاً راسخاً لم يتغير . وأن المسلمين يفهمون التقدم على أنه تقدم جامع بين الروح والمادة ، وهم لا يضحون بقيمهم ولا بذاتيتهم فى سبيل الحصول على تقدم مادى ، ولا يخضعون الأصل الإسلامى ليكون مبرراً للحضارة فى انحرافاتهما ، أو موثقاً للواقع الاجتماعى الفاسد ، ولكنهم يطلبون إلى المجتمعات أن تصلح نفسها وتغير مسلكها لتوائم نفسها مع مفهوم الإسلام الثابت الأصيل .

* * *

حول قضية .. التراث

من أخطر محاولات التغريب الفصل بين التراث المتقدم للأمم والثقافة المعاصرة بحيل وأساليب خادعة وكلمات براقة كالتطور وروح العصر والتجديد وكلها ترمى إلى إخضاع التراث وإعطاء العصر حق القبول من الرفض بحيث يسقط دوره الحقيقي الذي يجعله مناراً هادياً وضوءاً كاشفاً للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصل وذاتيتها الحقيقية التي شكلتها منذ قرون طويلة ، وخاصة إذا كان هذا التراث كالتراث الإسلامى الذى يصدر عن عقيدة ربانية ومنهج أصيل .

ومن هنا تصطنع تلك المحاولات لانتقاص التراث ووصفه بأنه قديم وبأنه مضطرب وذلك فى محاولة للقول : بأن المجتمعات تستطيع أن تزيح هذا التراث وتبتكر من الحلول والأوضاع الجديدة المتفقة مع روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استملاء روحه ، والواقع أن الذين يرون فى التراث ضوءاً هادياً ومناراً كاشفاً للأمم حتى لا تضل طريقها ولا تنفصل عن ذاتيتها وقيمها لا يطلبون الخضوع للصور أو الأوضاع أو الحلول التى عاشها أصحاب التراث من قبل ، فذلك مما لا يطالب به إلا جاهل لتطور الأزمان والبيئات ، ولكن القصد هو أن لا يختلف عن الطريق ، أو ينحرف عن الجادة الحقيقية ، ولا ريب أن خصوم التراث لا يستطيعون أن يعلنوا معارضتهم له فى صراحة (لأنهم يعلمون أن كلمة التراث أو القديم تحمل فى أطوائها ذلك المنهج الأصل الذى هو من صميم العقيدة) والذى يرسم الطريق أمام الأمة فى حركتها إلى الأمام وفى تطورها وفى تقدمها فهو لا يحول بينها وبين التطور والتقدم ولكنه يحكم هذا فى

توازن ومواءمه واعتدال ووسطية عرفت منهج الإسلام وعرفها وإذا كان هؤلاء الذين يحاربون التراث يهتدون في دعواهم الباطلة بما فعلت أوروبا فإنهم يقارنون مع قصة مختلفة ، فليس التراث الغربى الذى وجدته أوروبا في عصر النهضة إلا مجموع أشتات من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الرومانى فإذا جاء عصر النهضة ليدعو إلى الخروج عن هذا الركam لإقامة دين الإنسانية الإلحادى أو فلسفة التنوير اليهودية ، فإن الأمر بالنسبة للمسلمين والإسلام جد مختلف فالمسلمون قد عرفوا منهجاً ربانياً أصيلاً ، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظة واحدة وظل نصه القرآنى موثقاً لم يتأثر بتعليقات التاريخ ، ومن ثم فإن التراث الإسلامى هو تفسير لهذا المنهج الربانى الثابت الجذور ، الواسع الأطر ، القابل لتغيرات الزمن والبيئة .

أما أن يدعو البعض إلى أن يسير التطور إلى غايته دون النظر إلى الأصول والثوابت فذلك ما يرفضه المنهج الإسلامى ، الذى يجعل من التطور حركة داخل إطار الحدود والضوابط وخاصة الأخلاقية التى لا سبيل إلى تجاوزها ، وإلا كانت حركة التطور عشوائية مندفعة إلى كل فساد واضطراب وخطر .

يقول الأستاذ عبد الله سلام الجهنى : إن هذه المحاولة تهدف إلى أن نجعل الثقافة المعاصرة وحدة متكاملة للإنسان المعاصر - كما تدعى ذلك هيئة اليونسكو - ولذلك فهى ترى أن تراثنا الثقافى الأصيل لا قيمة له بالنسبة للثقافة المعاصرة التى تخطط لها وترسمها وجل هذه الثقافة المرشومة تنصرف إلى تمهيد المسادة لا الإنسان وهنا نلمس الفرق بين حقائق تراثنا الثقافى الأصيل والثقافى المرسوم المعاصر والفرق أن تراثنا يمجّد الإنسان بينما الثقافة المعاصرة تمجّد المسادة .

ومن أجل ذلك لابد من التعرف على المصادر الصحيحة لتراثنا ، هذه المصادر ليست بالقطع ألف ليلة وليلة أو كتابات الحلاج وابن عربى وابن سبعين أو رسائل اخوان الصفا أو أشعار أبى نواس وبشار الصحاك وجماعة المحان ، فهذا هو التراث الذى تبتغيه اليوم قوى التغريب والغزو الثقافى لتفسد به عقليات ومفاهيم الأجيال الجديدة ، ومن الجانب الآخر تلك الكتب التى تبرز عظمة الغرب سواء فى مفاهيم المسادية الوثنية أو فى فلاسفته

وأبطاله ، حتى أن الدكتور طه حسين عندما كتب قادة الفكر لم يذكر مفكراً واحداً من عالم الإسلام بل أن المفكرين اللامعين الذين نذكرهم اليوم في مجال الأدب والثقافة لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربي وتابعين له ودعاة لمناهجه ومفاهيمه سواء في الأدب أو الشعر أو الاجتماع .

بل أن هؤلاء اللامعين من كتاب العصر الذين اندفعوا في جرة إعادة كتابة هذا التراث على نحو مختلف عن طابعه ووجهته وأنضموه للمذاهب الأدبية الغربية وكانت كتابات طه حسين لهاמש السيرة والفتنة الكبرى زائفة ومنحرفة ، وكانت تفسيرات عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد رشدى صالح للتاريخ الإسلامى خاضعة لمنهج التفسير المادى للتاريخ الذى لا يعترف بالوحي ولا بالنبوة .

لقد اعترف كثيرون بعظمة مدخورات التراث الإسلامى : اعترف به رجال القانون في الغرب فيما يتعلق بالشرعية والفقه ، واعترف به رجال التربية فيما يتعلق بمناهج التربية والتعليم ، واعترف به رجال الاجتماع فيما قدم من مفاهيم ونظريات في بناء المجتمع ، واعترف به رجال الحضارة فيما رسم من منهج لقيام الحضارات وسقوطها ، واعترف به رجال السياسة فيما قدم من مفاهيم لإقامة نظام الحكم ، واعترف به رجال الاقتصاد فيما زخر به من نظريات في عالم الاقتصاد والمال . كما اعترف رجال العلم التجريبي بما حوى تراث الإسلام من معطيات في مجال الكيمياء والعلوم والطبيعة والبحر والجو والجغرافيا . ولقد أفاد الغربيون كثيراً من هذا التراث الضخم ، وضموا ثمرات ذلك التراث إلى أعمالهم ، وحبسوا هذه النصوص عن المسلمين ، وما سمحوا بنشر شيء إلا تلك الكتب المضطربة التي كتبها الشعوبيون والمتابعون للفلسفات اليونانية والفكر الباطنى والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وشعر العشاق والمجان وكتب أمثال الأغاني وألف ليلة وغيرها .

وهدفهم من طرح هذه السموم هي أبعاد الفكر الإسلامى عن أن يصل جوهر هذا الفكر الأصيل القائم أساساً على التوحيد والعدل والرحمة والإخاء

البشرى . إن علينا أن نتعامل مع التراث الإسلامى على الأقل كما تعامل معه الغرب فى استخلاص تلك المعطيات للانتفاع بها فى بناء مجتمعنا الإسلامى الجديد ؟

أو على حد قول أحد القائلين : (الحوار مع التراث من أجل إرساء قواعد تربوية خلاقية) .

* * *

زكى نجيب محمود

(التفریب)

يدعى الدكتور نجيب محمود أنه لم يتعرف على التراث الإسلامى - ويقول :
(التراث العربى) - إلا فى آخر العمر ويحاول أن يناقش هذا التراث فيما نأخذ
منه وما ندع .

يقول : (ما الذى نأخذه ، وما الذى نتركه من التراث ، وما الذى
نأخذه من الثقافة الجديدة التى تهب علينا ريحها من أوروبا وأمريكا ؟ وهل
فى استطاعتنا أن نقف منها هذه الوقفة التى ننشئ ونختار ، وبعد ذلك كيف
ننسج الخيوط التى استلناها من قماشة التراث مع الخيوط التى انتقيناها من
قماشة الثقافة الأوروبية والأمريكية ، وكيف ننسج هذه الخيوط مع تلك
فى رقعة واحدة لحمتها من هنا وسداها من هناك فإذا هو نسيج عربى ومعاصر)
هذا القول يؤدى فى الحقيقة إلى تقدير واحد ، هو إما أن الكاتب
خادع كل الخداع أم أنه يفترض فينا السذاجة كل السذاجة ، وكأنها أول
مرة يلتقى فيها الفكر الإسلامى مع الفكر الوافد . وكيف يمكن القول أن نأخذ
من التراث قطعة ومن الوافد قطعة ونضمها إلى بعضها فيكون ذلك فكراً
عربياً حديثاً .

ما هكذا يقوم الاقتباس من الفكر الوافد . إن لكل فكر أسساً وقيماً
ومقدرات وما يمكن أن يقبل فكر له جذور وعراقة كالفكر الإسلامى أن
يقتبس على هذا الأساس الضعيف . إنه لا بد من استحضار « قاعدة الأساس »
فى الفكر الإسلامى وإقرارها أولاً وهى ليست تراثاً فى الحقيقة ولكنها منهج
الإسلام الصحيح المنزل التى لا يمكن الخيلة عنها أو التحرر منها ، فهى
الأصول العامة وعلى هذه الأصول يعرض الفكر الوافد ، فإذا جاء ذلك

المقتبس صالحاً وملتقىً وغير معارض للأصول الإسلامية فإنه يقبل ، أما إذا لم يكن كذلك فهو مرفوض ، والمسلمون يفرقون تفريقاً عميقاً بين الميراث الإسلامى الذى جاء من عند الله وبين التراث الذى صنعه المفكرون المسلمون فإذا كان ذلك الأمر غريباً عن الدكتور زكى نجيب محمود فهو لم يستوعب أمراً دخل فيه ، أما إذا كان يعلم - ويعتقد أنه يعلم - فإنه إنعما بموه ويخدع السذج الأغرار بهذا القول ، وهى قوله قائلها من قبل بعض التغريبيين وردها رجال اليقظة الإسلامية ، عملية الخلط هذه بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، هذه عملية مضللة ، فها الداعى إلى إعادتها مرة أخرى وهى مرفوضة من أهل الفكر الإسلامى الداعين إلى مداخل التغريب وخلفيات الغزو الفكرى التى يحاول اليوم أن يدخل فى أسلوب جديد يصفق له بعض البسطاء بأن رجلاً كتب عن خرافة الميافيزيقا ، يعود اليوم ، فيتحدث عن التراث وعن الغزالي .

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب : إنه قماش التراث (أى الإسلامى) يختلف كلى الاختلاف عن قماش الثقافة الأوروبية فلا يمكن الجمع بينهما فى رقعة واحدة ، الحضارة والأفكار والثقافة خاصة والعلم عام : تراث المسلمين يقوم على الإسلام والثقافة الأوروبية مبنية على الفكر الرأسمالى الذى يقوم على فصل الدين عن الحياة ومنه الإيمان بالأفكار الديمقراطية التى أنتجت الحركات الأربعة ، وشتان بين الإسلام وبين الفكر الرأسمالى الأفكار الديمقراطية التى يؤمن بها الأوروبيون ويطبقونها على أنفسهم هى أفكار قديمة وجدت عند الإغريق وطبقت فى المدن اليونانية ، فبأى مسوغ عقلى يدعوننا زكى نجيب محمود إلى الأخذ بهذه الأفكار لأنها معاصرة وحسب مع أنها أفكار قديمة وهل غلبتها وهيمتها وسيطرتها على العالم اليوم تعنى أنها أفكار صحيحة وراقية .

إن الدكتور زكى نجيب محمود فى معالجاته لقضية الثقافة العربية المعاصرة لا يحس بكرامة الذات ولا بكرامة الأمة التى ينتمى إليها وتفكيره غير جاد وغير منتج وإن شئت فقل : إنه العقم فى التفكير بل أسوأ من العقم . وهو مصبوغ بفكرة التفوق العلمى فى الغرب ، وحسب أن التفوق العلمى ينتج

عنه تفوق فكرى وثقافى ونسى أن التفوق العلمى شىء ، والتفوق الفكرى والثقافى شىء آخر . إن قهاشتك الفكرية لتدل على الانهزام الفكرى والانصياع بحضارة الغرب وأفكاره وثقافته وهى قهاشة لن ترضى المخلصين الواعين من العرب ولن ترضى المفكرين الأوربيين .

* * *

ولم يتوقف الدكتور زكى نجيب محمود عن معارضة الفكر الإسلامى وانتقاصه والسخرية من شريعة الإسلام والتشكيك فى وجود منهج متكامل للاقتصاد الإسلامى فهو يصف الحدود الإسلامية علناً بأنها دعوة غريبة معادية لتطور العصر ، ويتساءل فى سخرية من الذى سيقطع يد السارق : هل الطبيب أم الجزار ، ويقول الأستاذ عبد القادر عطا :

(إذا كان الدكتور يقول : إن منهج الاقتصاد شديد الغموض فإن هذا الغموض قائم فى فكره هو ومن على شاكلته ممن لا علم لهم من قريب أو بعيد بشريعة الإسلام) .

ويخطئ الدكتور زكى نجيب محمود حينما يظن أن العالم منذ ظهور اليهودية حتى الإسلام لم تشغله غير مشكلة تحديد العلاقة بين الخالق والمخلوق ؛ ذلك أن الإسلام قدم للبشرية النموذج الأكمل للمجتمع الربانى الذى حقق الرسول صلى الله عليه وسلم به نموذجاً عملياً لم يستطع الخلل أن يتطرق إليه إلا حينما احتلت قاعدة البناء فى القلوب . ولقد بدأ الإسلام عصرًا جديدًا من التحدى لتيارات الهدم والدفاع عن مبادئه ، أى أنه تحول من زحف متنصر إلى دفاع خلف الخطوط حينما خالف أهله تعاليمه فى بناء القاعدة الصلبة واعتبارها منطلقاً نحو نشر الحضارة الإسلامية بلغتها العربية وقرآنها العربى على أتم العالم .

أما دعواه العريضة الباطلة فهى قوله : (إن من يستعمل منتجات حضارة أخرى يجب عليه أن يترك كل وسائل العصر ليكون سلفياً ، ومعنى هذا أن كل من انتفع بوسائل من ابتكار بلد آخر فعليه أن يعتنق مذهب ذلك البلد ، وهذا خطأ كبير ، وهل اشترط المسلمون على أهل أوروبا يوم كانت حضارة الإسلام وتراثه هو الذى ينير ظلامها أن يتخلوا عن شخصياتهم ويذبحونها

في البوقة العربية ، وهل اشترط المسلمون في عصور الضعف على مستعمرتهم أن يعلنوا عروبتهم لأنهم يقيمون حضاراتهم بخيرات بلاد الإسلام وإذا كان الطبيب هو الذي سيقطع يد السارق فإن الجزائر هو الذي سيقطع ألسنة المارقين المتمردين من الفلاسفة والأدباء والفنانين .

* ويقول الدكتور عبد الله بن المحسن التركي :

(إن الفلسفة التي تشكل منها عقل الدكتور تنزع به إلى التحرر من كل التزام عقلي أو قيد غائي شأنه في ذلك شأن الفلاسفة الذين لا يدينون إلا لسلطان عقولهم وما تصل إليه تلك العقول من حقائق دون نظر إلى ما وراء ذلك مما جادت به القرائح أو تنزلت به كتب السماء) .

يقول : (إن عقوبة قطع الأيدي وتحريم شرب الخمر أو صنعها أو بيعها وتطبيق حد الإسلام يرى أن ذلك أمراً وحشياً يهين كرامة آدميين ، ولا نقول له أكثر من : إن هذا هو حكم الله في السارق فهل يرجي للمؤمنين فلاح إذا هم حكموا بغير هذا الحكم الإلهي) .

إن الدعوى التي يرددها الدكتور زكي نجيب لم تعد تقنع أحداً ، وكيف يتصور عاقل أن الفكر عندنا إما مستعار من الغرب أو من التراث القديم وأن الحاضر أرقى من الماضي وأنه لا معنى لارتداد الحاضر إلى الماضي يأخذ منه مما يبيسه ، والحقيقة أن هذه المصطلحات غير دقيقة عند الدكتور زكي نجيب وهي منقولة مما وجهه في الغرب إلى الفكر المسيحي ولو أمعن النظر قليلاً لوجد أن التراث القديم في الإسلام هو الميراث الذي قدمه الوحي والنبوة وهو من الثوابت ومن العطاء الوافر الكريم ، وأما من التراث الذي قدمه الفقهاء والعلماء المسلمون وهو ليس في نظر المعاصرين إلا ضوئاً كاشفاً على الميراث الأصيل للارتفاع به في استمرار الرابطة بين المسلمين وبين عقيدتهم ، وليس في التماس المسلمين منهج الإسلام ما يسمى ارتداداً إلى الماضي للأخذ منه ذلك أن الإسلام نفسه هو منهج حياة رباني المصدر له أطره الواسعة القادرة على العطاء على مختلف البيئات والعصور ، وتلك كلمات

محاول الدكتور زكي أن ينجذع بها الذين لم يعرفوا حقيقة التراث الإسلامي :
الذي لا يمكن أن يوصف بأنه قديم ، والذي لا يمكن أن يكون الحاضر
أرق منه :

ولقد عرف الدكتور زكي نجيب محمود بأنه يدبر لحناً قديماً مسماً
قد ظل برده حتى قال الناس : يا ليتته يكف عنه ، فقد أصبح كريباً إلى
النفوس من كثرة ترديده :

ولم يستطع الدكتور زكي نجيب محمود أن يقنع أحداً بأنه يقدم منهجاً
جديداً أو منهجاً صالحاً لأنه تاريخه القديم وكتاباته السابقة ما زالت تغطي على
مفاهيم الناس فتحول دون الثقة به وما تزال كتاباته عن القول : بأن الغيب
خرافة في كتابه (خرافة الميتافيزيقا) أو أنه تابع للمذهب غربي مادي قد
أشبعه الغربيون نقداً وتمزيقاً ، وقد داسته خيول الفلسفات المتوالية وهو
مذهب الوضعية المنطقية وشيخة (اوجست كمت) التي يدور في فلكها ،
والموصدة عليه حلقة حياته كلها بعد أن تجاوزتها الفلسفات والأحداث .

إن علماء الغرب التجريبيون اليوم يتحدثون عن آفاق جديدة في العلم
تتصل بالإيمان بخالق الكون بينما لا يزال الدكتور زكي غارقاً في الواقع
التجريبي المحسوس وإنكار الميتافيزيقا والغيب والإيمان بالجبر الذاتي ، والاحتكام
إلى العقل الذي لا يستطيع أن يكون مقياساً منفرداً للنفس الإنسانية الجامعة
بين المادة والروح ، كذلك فإن نظريته في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة
ساذجة ، بل وزائفة ، وقد تخطاها المفكرون المسلمون ، ومن الأسف
أن الدكتور زكي نجيب محمود يعالج الفكر الإسلامي بمفهوم الفكر الغربي
ويتجاهل أن الفكر الإسلامي يختلف من ناحية تكامله ونظرته الجامعة ، وأن
له مقاييسه الخاصة في دراسته ومعالجته بينما يقف الفكر الغربي عند الانشطارية
والمادية . إن المناهج الغربية التي تحاول أن تستخدم العقل وحده وتنحى
الجوانب الروحية والذاتية ، في تفسير الكون أو تفسير الإنسان تتعثر ولا
تستطيع أن تصل إلى شيء . إن فكرة ارتداد الحاضر إلى الماضي هي فكرة
رجل لا يؤمن بأن رسالات السماء قدمت للإنسان جوهر المفهوم الإنساني
والعالمى وإذا كان هذا القول قد رده أساتذته في الغرب فإنما قصدوا شيئاً
معروفاً في الفكر الغربي الوثني اليوناني الروماني وعلاقته بالمسيحية ، أما بالنسبة
للإسلام فإن الأمر يختلف ومسألة كتب الأقدمين هنا تصبح عبارة خاطئة :

عبد الرحمن الشرقاوى

(التفسير المادى للتاريخ)

فى قصة الحسين شهيداً : شهد الباحثون الذين راجعوا القصة (الأساتذة زكى البنهاوى - الدكتور الطيب النجار - الدكتور أحمد الشرباصى) أن الأصابع الحمراء تشوه حقائق التاريخ الإسلامى وتشهر بالصحابة الأجلاء وإليك مجموعة الحقائق :

أولاً : تردد فى المسرحية تشهير بجماعة من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكانة أصحابه فى أكثر من حديث شريف ومن واجبتنا أن نبرز مفاخرهم ونركز عليها ونهتم بها وألا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء .

ثانياً : ترددت فى المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض الشنيع بالحرمات وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ جارحة مثل : يا أبناء الأمهات الزانيات . . . إلخ .

ثالثاً : صورت المسرحية العصر الأموى تصويراً يجافى الحقيقة فى بعض النواحي فوصفة بأنه عهد الإقطاع والأطماع ، وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كبيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ فى تصوير فساد كل هذه المبالغة .

رابعاً : المسرحية تعرض شخصية الصحابى (وحشى بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ تعرضه فى صورة سكير مخمور مع أنه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الحديث . وتصوير المسرحية

مقابلاته للرسول صلى الله عليه وسلم عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم ولا يتفق مع التاريخ ، ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قبل إسلام وحشى وقال له : يا وحشى اخرج فجاهد في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله .

ومن العجب أن توجد شخصية وحشى بن حرب من شخصيات هذه المسرحية ووحشى قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان ابن عفان ولم يدرك شيئاً من أحداث هذا العصر .

خامساً : هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التي يختلف في تحديدها المؤرخون والباحثون .

سادساً : جاء على لسان الحسين - رضى الله عنه وأرضاه - أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقال يخاطب النبي : (جدى : أنا لا أعرف ما أصنع فأعنى) فالحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله سبحانه وتعالى .

سابعاً : ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ، والمسرحية تصور يزيد في صورة مهينة وقد انصرف عما عرف عنه من انحراف بعد تولي الخلافة .

ثامناً : أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عربية وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان .

تاسعاً : جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضى الله عنه ما يفيد أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين ، فهل يحكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة .

هذا أما فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم : الذى سُمى من بعد (الرسالة) فقد انطوت قصته التى كتبها عبد الرحمن الشرقاوى على أخطاء علمية وتاريخية بالغة التحريف ، وانطوت على تفسير ماذى للسيرة وإيقاظ النزعات الطائفية ومداهنة اليهود. ومن ذلك أن فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم على لسان كاتبه أن الوحي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء وهو نائم : وهذا تحريف واقتراء : والرسالة كلها انعكاس لظروف اجتماعية عند المؤلف والفيلم يروج موجاً بالأفكار التى تفسر الأحداث ومواقف الناس تفسيراً مادياً كما فسر الجهاد تفسيراً مادياً من أجل التجارة والمسال مما يتناقض مع مفهومه الصحيح وهو فى سبيل الله وابتغاء رضوانه وإعلاء كلمته . ومضياً مع التفسير المادى صورت القصة على أنها صراع بين الأغنياء والفقراء ، وإلى جانب التفسير المادى للسيرة هناك نزعة طائفية تحرف الوقائع وتصورها فى إطار طائفى .

* * *

والمصدر الأساسى للفيلم هو كتاب عبد الرحمن الشرقاوى (محمد رسول الحرية) صلى الله عليه وسلم وهو كتاب ملئ بالأخطاء والمغالطات ، يقول الدكتور على العمارى : إن عنوان الكتاب يوحى بادئ ذى بدء أن المؤلف سيعمد إلى مواقف خاصة من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى فيها إقراره لمبدأ الحرية ودفاعه عنها والمبادئ التى جاء بها ، وأكد بها حق الإنسان فى أن يكون حراً فى عقيدته ونفسه وماله : ولكن المؤلف لم يبرز هذا الجانب بل لم يبين أنه يعنى به عناية خاصة وإنما عرض لطرق من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأرخ لأكثر غزواته - فى أسلوب قصصى طبعاً - دون أن يقف منبهاً مشيراً إلى ما فى هذه الغزوات من عناية الإسلام بالحرية فى شتى مظاهرها . ولما كانت دعوة الإسلام لم تكن فى جانب من جوانب الإنسانية أظهر منها فى بقية الجوانب ، فقد عالج الإسلام كل القضايا التى تشغل الناس فى حياتهم من اجتماعية وسياسية ودينية وأخلاقية كما بين لهم طريق الخير والشر ، أول ما تأخذه على المؤلف اعتماده الكلى على ما كتبه (المستشرقون) ولا أظن أن أحداً من الذين لم أذى دراية بأغراض الامتشراف ونشأته وتطويرة يجهل أن هؤلاء المستشرقين لا يلتزمون الأمانة

العلمية وأن من أغراضهم الأولى محاربة الإسلام ، وقرآنه ورسوله وتاريخه .
فمن الخطأ والخطر أن يعتمد مؤلف يكتب عن الإسلام - بعامة - وعن
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - بخاصة - على ما زوره هؤلاء الأعداء
الذين يتخذون من قداسة البحث العلمي وسيلة للطعن والتجريح بل لسوء
الأدب واستغلال الشعوب .

عرض المؤلف في كتابه لقصة (الفيل) وهذه القصة أصل معروف
واضح صادق كل الصدق ، فمن الانحراف في العقيدة أن نتابع أحداً يتجههم
لهذا الأصل ، ويحاول أن يتعسف في تأويله وتفسيره ، أو يحاول - مخبث
ومكر - أن يكذبه وقد حرف المستشرقون القصة وادعوا أن (أبرهة)
لم يكن يقصد مكة ، وإنما مر بها في طريقه لمحاربة الفرس مجاملة من الأحباش
للروم وزعموا أن ما أصاب جيش أبرهة كان وباءً جاء معه من اليمن وأن
العرب أيقنوا أن ذلك أثر من تدخل العناية الإلهية ، هكذا نقلها كاتب مسلم
من المستشرقين ، وكان من الواجب الرجوع إلى القرآن الكريم وتفسيره
والقصد من ذلك هو تكذيب القرآن ، فالقرآن أثبت أن الذين جاءوا بالجملة
كانوا (أصحاب الفيل) والقرآن يثبت أن أصحاب الفيل كانوا يريدون بمكة
شراً ولا بد أن يكون الكيد للبيت الحرام وليس للفرس ، والقرآن يثبت
أن الله (تبارك وتعالى) هو الذى أهلك جيش أبرهة « وأرسل عليهم طيراً
أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » ، ويميل مؤلف كتاب (محمدرسول الحرية)
إلى تجاهل كل ما أيد الله به رسوله في أمور غير معتادة . كذلك يخطئ
المؤلف في أن يجعل للنبي علماً قبل النبوة مما كان متداولاً في كتب الأولين
فالنبي لم يتلق علماً من أحد قبل النبوة ولا بعدها إلا عن الله عز وجل
وحاول المؤلف أن يؤكد أن بدء الوحي كان في النوم وأن الذى جاء محمداً
إنما هو (حلم) ، وحديث بدء الوحي حديث معروف مشهور روته كل
كتب السنة والحديث واضح في أن الرسالة إنما جاءت الرسول بقطة وهو
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسن اختيار الألفاظ .

* * *

إن محاولة أصحاب المذاهب المادية والماركسية إتخاذ مادة التاريخ الإسلامي السكريمة النقية مادة لدس أفكارهم أمثال الفتى مهرا ، ومصرع الحسين لعبد الرحمن الشرقاوى حيث يقولون فى المسرحية ما لا يستطيعون أن يقولوه بصراحة فى كتابات عامة فهو أمر خطير يجب أن يتنبه له شبابنا ، فليس التاريخ عندهم أكثر من إطار للحركة ووسيلة لبث السموم وهم لا يحترمون وقائعه ولا أحداثه ويستهيئون بها ويرون أنها موصل إلى غابة وكذلك فعل بالتاريخ الإسلامى دعاة القومية ودعاة الديمقراطية ودعاة الشيوعية والماركسية والاشتراكية ولكن تاريخ الإسلام على ألسنتهم جميعاً وأقلامهم لا يمكن أن يغرى أحداً من الواعين بأنه حقيقة وكل من يقرأه يفهم أنه زائف ولن تجد أحد عند هؤلاء حقيقة فهم التاريخ الإسلامى أو مفهوم الإسلام نفسه .

* * *

(٧)

عمر عبد العزيز أمين

(ترجمة القصة)

منذ أكثر من أربعين عاماً (١٩٨٠) وعمر عبد العزيز أمين يترجم القصص الغربية ويصدرها في سلاسل وقد ترجم حتى الآن ما يزيد على ألف قصة غربية ، وفي هذه الأيام يترجم قصص أجناس كرسى (البالغة نحو تسعين قصة) وبذلك نجد أن ركاماً ضخماً من القصص الغربي الفاسد المليء بالجريمة والجنس مطروح على أسوار حديقة الأزيكية وعلى الأرصفة وهى كتب قبيحة تصور العلاقات بين الرجل والمرأة في صورة غير كريمة وقد ترجمها أناس لا يقدرون أمانة الكلمة ولا مسئولية الكاتب إزاء الشباب الغض والفتيات الصغيرات ، ذلك أن هذه القصص المترجمة لا تمثل في الحقيقة مجتمعنا ، ولا قيمنا وأن روح الكشف والإباحية والفساد في العلاقات بين الرجل والمرأة ولقد تسرب هذا الفساد إلى ما يسمونه القصة العربية فأصبح كتاب العرب يكتبون القصة الجنسية ويتطوحن وراء المذاهب الغربية والماركسية فيخلطون بين فساد المذاهب الفرويدية والمذاهب الماركسية ويقدمون هذه السموم كلها إلى شباب المسلمين والعرب الذين يظنون أن كل ما يقدم لهم هو حقيقة وهو فن .

ومع الأسف فإن القصة قد باءت بالفشل وانهارت ، ان كتاب القصة قد تحولوا ليكتبوا يوميات صحفية أمثال : نجيب محفوظ ، وبوسف إدريس ، وإحسان عبد القدوس ، وفارق كبير بين أن يكون الكاتب قصصياً ينشئ من الخيال شخصيات يدير بينها حواراً وبين الكتابة الاجتماعية التى لها مقاييسها ومفاهيمها التى تجعل فارقاً عميقاً بين شخصية القصاص وشخصية الكاتب الاجتماعى ولكن كتابنا مع الأسف يكتبون في كل شئ حتى

في القضايا الدينية والتاريخية التي لا يفهمون أبعادها كأن يكتب كاتب قصة
عن الملك الكريم عزرائيل (يوسف السباعي) ويسخر به أو عن النبي الكريم
سليمان عليه السلام ويصوره وفق مفهوم التوراة (توفيق الحكيم) وهكذا
تفتح كتابات القصص باباً واسعاً إلى إفساد المفاهيم والقيم الإسلامية الأساسية
ومن دلائل تخطيط كتاب القصة ما كتبه توفيق الحكيم في الشهور الأخيرة
عن الحياض ومحاولة تحطيم مكانة مصر العربية الإسلامية ودعوته إلى إدارة
مصر ظهرها للعرب والمسلمين وهي دعوة مسمومة يقوم بها توفيق الحكيم
كلما وجد الغرض لذلك فهو يحمل في كتاباته عن العرب وعن الروابط
التي تربط مصر بالعروبة في قسوة وعنف .

* * *

صلاح عبد الصبور

الشعر الحديث بلا شهادة ميلاد

نشأ الشعر الحديث نشأة (لقيطة) فقد خرج عن أحضان الأصالة التي عرفها الشعر العربي المنظوم ، وذلك أن الذين التمسوه أسلوباً للتعبير كانوا في حقيقة أمرهم متغربون ، تابعون لمفهوم وافد من الأدب الغربي الذي له منهجه وطبيعته الشعرية المختلفة عن النظم العربي ، وكانوا من حيث المضمون تسيطر عليهم فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعالم التي يدور فيها الشعر العربي الأصيل .

وكان أبرز هذه المعالم التي اغترب فيها الشعر الحديث سيطرة الأساطير والخرافات القديمة إليه والدعوة الملحة إلى إحياء هذه الوثنيات وذلك حين أخذ برموز الصلب والخطيئة وهي مفاهيم نصرانية وافدة ليس لها أصل في معين التراث العربي الإسلامي ، فضلاً عن الإحساس الواضح بالسخرية لكل مقومات الدين والأخلاق وتبني نظريات الفن للفن وإعلاء الجماليات على الأخلاق وسيطرة مفاهيم الأدب اليوناني والإغريقي التي تركز على الجنس والجسد واللذة والدوران في فلك مفهوم سارتر النفسى وفرويد الفكرى والجري في طريق دوركايم الكاره للفطرة والأسرة والزواج والراغب في الجريمة والإباحية فضلاً عن سيطرة الفكرة الماركسية أساساً بمختلف مفاهيمها الاجتماعية والأدبية على الوجدان الشعري فضلاً عن قصورهم لدى المفاهيم الإقليمية والقومية الضيقة .

ونرى هذا واضحاً في أشعار صلاح عبد الصبور ، وأدونيس ، وخليل حاوي ، ونزار قباني ، والبياتي .

ولا ريب إن حصيلة الشعر الحديث قد أكدت إن هذا الاتجاه بعيد عن الفطرة التي فطر عليها الأدب العربي ، وأنه نبت لا جذور له ،

وأن التجربة التي احتضنتها قوى معينة ودفعت بها إلى آفاق الصحف قد باءت بالفشل وانحدرت ولم تلبث أن ماتت ، وقد كان ذلك نتيجة أمرين : أن التعبير نفسه هابط ومستواه الشعري ضعيف ، وأنه ليس شعراً بالمعنى الحقيقي وإنما هو أقرب إلى عبث النثر وأهم من ذلك أن المضمون نفسه كان دائماً تافهاً ومنحطاً ومتدنياً وساذجاً وطفولياً وإذا كان بعض هؤلاء يدعون أنهم إنما يصورون (أزمت الإنسان) فإننا نقول لهم : إن كتاباتهم لا تدل على شيء من التجربة ولا من عمق المعرفة بآفاق النفس ، ولا من التأمل العميق الذي عرفه الشعر العربي الأصيل ذلك لأن العطاء إنما يأتي من منابعه ، فأين منابع أمثال هؤلاء السذج الأغرار الذين لم يلبث أحدهم أن أمسك بالقلم فكتب شعراً ، وأين آفاق التجربة النفسية عند جماعة الماديين والإباحيين والشعوبيين وليس لهم من الحكمة أو العلم أو إيمان بالغيب أو معرفة عوالم النفس والروح والمعنويات والقيم التي تصنع الإنسان .

وليس من ريب إن وراء الدفع لهذه الموجة المنحرفة قوى تهدف بها إلى تحقيق غايات بعيدة من التأثير في البيان العربي الأصيل واللغة العربية الفصحى وهدم عامود الشعر الذي هو الشق الثاني للبلاغة العربية ، والهدف هو إشاعة روح العاميات وخلخلة البناء القوي المتين الذي يقوم على مستوى بيان القرآن وبلاغته وذلك لمحاولة إيجاد حاجز باستحداث أساليب عامية نازلة تفصل الأدب العربي عن إطار القرآن والسنة .

ولا ريب إن بعض قادة هذه الحركة هم في تقدير كثير من الباحثين من الشعبوية . وقد ساوقت هذه الحركة ارتفاع المد الماركسي في البلاد العربية غير أنها لم تستطع أن تثبت بعد أن تحطمت الأيدي التي كانت ترفعها وتحميا ولو كانت لها أصالة حقيقية لثبتت واستمرت .

يتحدث أحد أبناء هذا الجيل الذي كونه ثقافة التغريب (صلاح عبد الصبور) فيقول : وقر في أذهاننا الاخلاص لنا إلا بإدراك ما عليه هؤلاء القوم علم وفن وذوق ، وبالرغم من أنني كنت طالب لغة العرب وآدابهم (في الجامعة) إلا أن الأسماء التي تفرع أذاننا كل صباح أو معظمها

كانت أسماء أجنب وكفى بالفزع العالى من المستشرقين دليلاً على ذلك ،
فإن قراءة طه حسين كانت تقودنا إلى (نلينو) وقراءة تاريخ العقائد الإسلامية
يقودنا إلى (أجناس جولدميسر) والبحث عن مصادر الأدب العربى كان
يقودنا إلى (نولدكه) .

أما فى مجال الذوق فقد كان المناخ الأدبى آنئذ عامراً بأسماء المدارس
الأدبية المتوالية منذ نشأت الرمزية فى أواخر القرن الماضى ونازعها البارناسية
فى فرنسا آفاقها ثم خلعت السريالية ضبابها على أرض الشعر وعثت بها
ما طاب لها العبث حتى ولدت شقيقتها الدادية ثم ولدت الواقعية الاشتراكية
وانطلقت الوجودية بمذهبها الحديث فى النظر إلى الإنسان والفن .

ولدينا عشرات من الجوركيين (جمع جوركى) والسرائرة (جمع سارتر)
واللاتية (جمع اليوت) كان كل من كتب حرفاً فى الفن والتذوق يحرص
على أن يحليه باقتباس بعض خطرات هؤلاء الفرنجة .

الدكتور عبد الرحمن بدوى قدم نيثشة ، وشوبنهاور ، وأرسطو والذى
قدموا لنا ليسوا هم بدواتهم الحققة بقدر ما هم صورة منعكسة فى مرآة
بدوى ، لويس عوض انتظم مجموعة من مقالات الأدب الإنجليزى تضم
إلى جانب الرؤية الفنية الجانب الاجتماعى ، بدوى قدم لنا هؤلاء الأعلام
كأرواح قلقة ولويس قدم لنا أعلامه بعقول مدركة فاعلة .

فى هذا الطقس المغرب الضائع نشأ الشعر الحر الذى لم يكن أكثر من
تقليد أجنبى فى مرحلة احتواء ضخمة كانت مقاده الثقافة فيها إلى الماركسيين
والعلمانيين الذين كانوا عاجزين عن الأداء العربى البليغ ، والذين كانوا
يعملون على الخطة المرسومة فى هدم هذا السور العالى الذى يصل الأدب
العربى والبيان العربى بالقرآن الكريم ، وهذا مجال جديد مهما كان زائفاً
لإبراز شخصيات وزعامات ومن هنا جاء لويس عوض ليعطى صلاح
عبد الصبور إمارة الشعر (الحر) جزاء له على تضمينه شعره بعض مفاهيم
الإنجيل والصلب والخطيئة ، وهى مفاهيم لا يعرفها الأدب العربى الأصيل ،

وفى الغرب عندما يولون اهتماماً للسياح والبياني وصلاح عبد الصبور
ويعطون الجوائز ، فإنما يريدون أن يقولوا كلمة واحدة :

هذه بضاعتنا ردت إلينا :

لقد تغرب الشعر العربي الذى هو ديوان العرب ، ولا يعرفون أنها
موجة عاصفة لا تلبث أن تموت وتنطوى وتعود الأصالة مرة أخرى إلى
الشعر العربي .

* * *

الفصل السابع

عصبة العلمانية أعداء الشريعة الإسلامية
خلفاء على عبد الرازق

١ - خالد محمد خالد .

٢ - أحمد بهاء .

٣ - محمد عماره .

٤ - محمد أحمد خلف الله .

٥ - محمد سعيد العشماوى .

خالد محمد خالد

حاول الأستاذ خالد محمد خالد أن يحدث حدثاً عندما أصدر كتابه (الحكم في الإسلام) محاولاً التنصل من آرائه القديمة التي أعلنها في الخمسينيات من إنكار أن الإسلام دين ودولة ، وفرح الناس لهذه العودة إلى الله ولكن التفسيرات التي قدمها لم تكن مقنعة فكيف يمكن أن يكون الديمقراطية الحديثة هي الشورى ، وكيف يمكن أن تكون الاشتراكية هي العدل الاجتماعي . إن خالد محمد خالد قد اشتهر في نظر العصريين بأنه من دعاة (الديمقراطية) الحرة بأحزابها وصحفها وأنه يرى أنها العلاج الأمثل لحاضرنا وتأمين مستقبلنا ، فكيف يمكن أن يكون من يقول : هذا مفكر إسلامي ، ثم إن هذه الجماعة المختلطة التي يجول فيها ويصول ، ويتحدث فيها عن بوذا إلى طاغور إلى سقراط إلى كونفوشيوس إلى عشرات من هذه الأسماء ، كيف يمكن أن يكون هذا تصور إسلامي يصبح معه أن يوصف خالد محمد خالد بأنه مفكر إسلامي ، الحقيقة أن الأستاذ خالد لم يخرج بعد من ذلك التصور المسيحي القديم الذي عاش في ظله طويلاً إلى مفهوم إسلامي أصيل محرر من كل تبعية لفكر آخر تحت اسم الفكر الإنساني . إن هذا الخلط هو تماماً ما فعله (إخوان الصفا) وأريد به غير الإسلام ، يقول الأستاذ خالد في كتابه الجديد :

أرجو أن يجيء كلامي هذا تصحيحاً لرأى أبديته من قبل في كتابي (من هنا نبدأ) إذ قلت يومها : إن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ، ولا يعنيه أن يتدخل في بناء الدولة ، ويبدو أنني كنت يومها متأثراً بتصوّر مسيحي عن الحكومات الدينية ولا سيما تلك التي قامت تحت ظل الكنيسة في أوروبا في عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً ، وأن الدولة يشكلها وبمضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى وأنه خاطبها بمسئولياتها كما خاطب الفرد والجماعة بمسئولياتها .

وفي الإسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين فهو يدرك دور الدولة في الحفاظ على دين الله ويعلن أن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن ، ثم أنه وقد جاء يدعو الناس إلى الدخول في دين الله لا يمكن أن يترك الدولة تشكل عائقاً دون هذا الدخول . من أجل ذلك رأينا الرسول يبدأ بدعوة الملوك والأباطرة ليحملوا تبعاتهم تجاه رعاياهم في إبلاغهم كلمة الله ودعوتهم إليها ، ومن أجل ذلك أيضاً رأينا الإسلام كدين لا يكتفى بدعوة الناس إلى الصلاة والعبادة ، بل رأيناه ينظم للمجتمع وللدولة كل شئونها فيبين للدولة مسالك الحق والعدل في حمل أعبائها ولا يغيب الإسلام أبداً عن أى شأن من شئون الحياة نريد أن نعرف رأيه فيهما » وقد حمدنا له هذا العود إلى الله ، ولكن ما رأيناه بعد ذلك من كتابات وخاصة ما نشره في مجلة (الدوحة) أحسنا بأن الكاتب لم يخلع ثيابه القديمة تماماً وأنه ما زال متشبهاً بها ، وأنه أعاد نشر ملخصات كاملة لكل أفكاره من جديد ، عاد مرة أخرى بعد أن توقف أكثر من عشر سنوات منذ اختفت كتيبه الصارخة التي كانت توزع كيات ضخمة أبان مرحلة العلمانية والشيوعية ، فقد انسحب من هذا اللون واستأثر بدراسة السيرة النبوية سنوات بعد ذلك قبل أن يعلن تراجعاً عن قولته المعروفة ، وبعد أن سجل المستشرقون له التبعية والموالاتة كامتداد للشيخ على عبد الرزاق ، ثم جاءت كتاباته الجديدة كلها وليس فيها ما يتوافق مع الصحوة الإسلامية والتطور القوى الذى قطعته الدعوة الإسلامية لتتحرر من ذلك التيار المضيق الذى كان يكتب به عدد من الكتابات فيخلطون بين الفكر الإسلامى وبين الفلسفات الغربية والشرقية ، وهذه الاستشهادات بكتابات أمثال هؤلاء عن الدين وعن الله تبارك وتعالى وهى موجهة معروفة كانت تريد أن تقول : إن أخناتون وأفلاطون وأرسطو وكل هؤلاء موحدون ومؤمنون ، ولم يكن واضحاً أمام من يقرأ ذلك الفارق العميق بين هذا الإيمان بالله وبين مفهوم الإسلام ، فالحقيقة أن الإسلام يختلف تماماً عن مفهوم الأديان في الفلسفات بل أن الإسلام جاء ليضع مفهومه في إسلام الوجه لله فوق كل هذه المفاهيم التى تحمل راية الشرك والثنائية ذلك أن الإسلام أقام مفهومه على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ولذلك فإن استشهادات خالد محمد خالد بالأسماء

الأجنبية والقديمة لم يعد يصلح لأن يقال لشباب الإسلام اليوم الذى تخطى هذه المرحلة وأصبح يفهم الإسلام فهماً صافياً نقياً خالصاً مستمداً من القرآن الكريم . وقد انطوت المرحلة الفلسفية نفسها التى حمل لوائها كثيرون ، وجاءت المرحلة القرآنية الأصيلة ، وكان على الأستاذ خالد أن يتجاوز هذه المرحلة أيضاً وأن لا يتوقف فى أوائل القرن الخامس عشر عند مفاهيم طرحها فى كتبه منذ ثلاثين سنة تقريباً ، وهو يعيد الآن تلخيصها من كتبه فى مقالات تدفع عنها مكافئات سخية فى صحيفة يشرف عليها أحد اليساريين الذين يتملقون الناس بتقديم كلمات عن الإسلام فى افتتاحيات المحلات خداعاً ومكراً لينشر بعد ذلك كل سموم الفكر البشرى .

إن إصرار خالد على هذا الخليط من الأسماء التاريخية دليل على أنه يجعل الإسلام أقل قدراً من هذه الفلسفات أو على الأقل موازياً لها ولا زلنا نذكر كيف غضب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر رضى الله عنه عندما رآه يقرأ فى ورقة من التوراة وقال له كلمته الخالدة : « لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى » .

فهذا الخليط الذى يقدمه خالد محمد خالد لا يمكن أن يقره عليه مؤمن بالإسلام حقاً ، وإلا فكيف يمكن الجمع بين فلاسفة الوثنية والشائية ، والإغريقية والغنوصية ، فكيف يمكن الجمع بين سقراط ، وأفلاطون وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبوذا ، وغاندى ، وهيجل ، وابن سينا وشكسبير ، والمعري ، وانتشايين ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابى تحت اسم الإنسان السوبرمان الذى يتحدث عنه ، وهل هناك حقيقة ما يسمى الإنسان الأعلى ؟ أم أنه لا يزال مخدوعاً بكتابات قديمة عنى عليها الزمن ونظريات وافدة يحاول أن يصوغها من جديد تحت أسماء عربية .

إن الذين أبدعوا هذه النظريات أمثال : بوكاى ، وجارورى ، وهونكة وغيرهم قد أذعنوا أخيراً للإسلام وأحنوا رءوسهم لإجلالا وإكباراً لمفهوم واحد هو مفهوم التوحيد الخالص الذى جاء به محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم إلى البشرية فى كتاب منزل موحي به هو القرآن .

إن نظرية الإيمان بالإنسانية هي نظرية غربية خادعة باطلة نحن نعرف مصادرها ودعاتها وهي ترمي إلى تقديس الإنسان وإفراده بالعظمة ، وهي نعمة طالما ردها خالد محمد خالد ، بينما أن المفهوم الإسلامي يقدم لنا الحق تبارك وتعالى وحده على أنه هو الذي تفرد بالعظمة وأن كل هذه العقول خاضعة له وعبيد يخنون جباههم تدللاً و يقيناً ، نحن حملة القرآن لا نقر بالعظمة إلا الله تبارك وتعالى ، أما الإنسان فإنه مخلوق يجب أن يخضع لحكم الله .

ومن عباراته الغربية المستمدة من الفكر الغربي قوله :

(تعالوا نقدر حرية الكلمة) وشهداء الرأي والكلمة ، أى كلمة تلك التي يريد أن يقدرها الشيخ خالد ، كلمة لامارك ، وابن مسكويه أو سقراط . هل يظن أن كلمات هؤلاء أو غيرهم بها قيمة حقيقية إن لم تكن مستمدة من « لا إله إلا الله » . إن هذه كلها كلمات بالية تافهة .

وعندما أجريت معه الأحاديث حول عودته إلى الإسلام بمفهومه الأصيل كان خلاصة كلامه أن الإسلام : ديمقراطية واشتراكية (أو ما يتلخص في هذا) كأنما يرى أن ما نحن منه الآن من دعوات عصرية تعيش الإسلام وأن الديمقراطية هي الشورى الإسلامية ، وأن الاشتراكية هي العدل الاجتماعي وهو حين يقول ذلك ينحس الإسلام نجساً شديداً مع الأسف ويضع دين الله الحق في صف الأيدلوجيات بل يجعلها تفضله ، وحاشا أن يكون هذا ، فإن هذه المذاهب البشرية لا يمكن أن ترقى إلى مصاف دين الله ، ولا تستطيع أن تعيش إلا سنوات قبل أن يصيبها الاضطراب والتمزق ، وقد بلغت ذلك منذ وقت بعيد وهي الآن تضيف وتحذف حتى تتمكن من متابعة المتغيرات . وقد ثبت فسادها وعجزها عن إعطاء الإنسان أشواقه ومطامحه ، أين الاشتراكية والديمقراطية من منهج الإسلام الجامع الرباني القادر على العطاء على مدى الدهور والبيئات ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن ذلك تسميته (الحكومة الإسلامية بالحكومة الدينية) ، فهذا فيه تجن وخطأ ، فعبارة الحكومة الدينية لها مدلول تاريخي يتمثل في كيان كهنوتي قام فعلاً و طال مكثه ، وكان الدين النصراني يستغل أبشع الاستغلال في دعمه

وإخضاع الناس له . إن الإسلام في فترات استغلاله من بعض الخلفاء والحكام لم يمنح أياً منهم سلطة بأبوية كهنوتية ، لأنه لا يتسع لأى كهنوت لا في تعاليمه ولا في تطبيقاته . من أجل هذا كان تسمية الحكومات الإسلامية المنحرفة بالحكومات الدينية وتحميل الإسلام وزرها أمر مجاف لكل صواب (وأن إجماع المسلمين على ضرورة قيام الدولة الإسلامية مستمد مما انتظمه القرآن والسنة من آيات وتوجيهات ، كما أنه مستمد من حركة الإسلام خلال التاريخ الطويل ، فالقرآن لم ينزل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعبد به المؤمنون فحسب . بل ليكون أولاً منهجاً للحكم بحكم به الرسول صلى الله عليه وسلم أمتة المسلمة بما أراه الله - أى بما رسم له في هذا القرآن من سبيل وما قن فيه من قانون : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » . (المائدة - ٤٨) « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ... » .

(المائدة - ٤٩)

(٢)

كانت كتابات خالد محمد خالد المحددة في مجلة الدوحة تلخيصاً لكتبه المقدمة ، التي صدرت قبل ذلك ، ولم يكن لديه شىء جديد ، وهو في تلخيصها وقع في عدة أخطاء منها أن الأجواء التي كانت تقال فيها هذه الكلمات قد تغيرت ، فأصبحت لا تجد صدق ، ومنها أن مراجعات كثيرة ظهرت لمسائل كان يسوقها سوفاً ، قد وجد من يكشف خطأها ، ولذلك توالى الردود التي تدحض تقولاته ، وتكشف أخطائه .

وقد سقط أكثر من مرة في موضوعات هامة منها موقفه من معركة كربلاء .

فهو حين عرض لها لم يكتف ببيان أن الولاء يجب أن يكون للحق وحده دون غيره وأن خروج الحسين رضى الله عنه لم يكن لتحقيق مغم أو لبناء مجد شخصى ، وإنما كان لإحقاق الحق وتضحية جلية في سبيل هذا الحق : وقد استشهد الحسين في سبيل ما اعتقد أنه حق وصواب ، غير أنه - على حد مراجعة الأستاذ إسماعيل الكيلاني - جاء بروايات يلمح القارئ من خلالها تكفيراً لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وليته عند اختباره ما اختار من روايات قام بتمحيصها ما دام يريد أن يرتب عليها قضية ، كما كان يفعل أسلافنا المحدثين ، وليته ذكرها للقارئ بسندها حيث لا تخرج في حقيقتها عن كونها رواية من مجموعة روايات تحتل الصدق وغيره قابلة للتمحيص والاختبار . أورد رواية يشكك في إسلام أبو سفيان بن حرب ، وما زعم من أنه وقف على قبر سيد الشهداء حمزة وقال :

— إن الأمر الذي اختلدنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بنى أمية « هل كان حمزة يختلد مع بنى أمية على الملك أم أنه كان يجاهد لإعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد في سبيلها ؟

لقد كان أبو سفيان من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عاد فأسلم والإسلام يجب ما قبله ، واشترك مع المسلمين في معركة اليرموك . ومن هذا نجد هذا التحنى على حقائق التاريخ .

وما هي مسوغات التشكيك من الناحية العملية ؟ وما هي فوائده لمجتمع المسلمين اليوم لإلتميق الهوة وإيجاد الشروخ وتكريس التناذر وإثارة الأحقاد.

لقد قال : إنني كنت قلت ما قلت بفصل الدين عن الدولة متأثر بفكر مسيحي عن الحكومات الدينية ، ولا سيما تلك التي قامت في ظل الكنيسة في أوروبا في عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى .

هل يقبل خالد بعد أن تراجع أن ينسب إليه ذلك الموقف الذي تبرأ منه ، فكيف يجوز لنفسه أن ينسب لأبا سفيان موقفاً تبرأ إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده في سبيل هذا الدين . إننا نقرأ في كتب التاريخ كثيراً من الأخبار التي نسبها بعض الشعوبيين إلى بنى أمية وبنى العباس ، هي أخطر ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرأ كذلك في كتب القصاصين أخباراً منسوبة إلى الخلفاء وأهل العلم والأدب هي أقبح كثيراً مما نقرأه لدى المؤرخين والحقيقة التي يجب ألا تغيب عن الأذهان أن النزاع السياسي بين هذه الشيع المختلفة هو الذي أدخل كثيراً من الشوائب في التاريخ الإسلامي

ولا سيما فترة صدر الإسلام والأمويين فالحقائق تشبه الدر الملقى بين أشواك حيث يحتاج استخراجها إلى روية وأناة وصبر وتقليب نظر، أما يزيد بن معاوية الذي يسميه الكاتب (يزيد القروذ) ويقول: إنه كان يتلهى عن أمر الإسلام والمسلمين بفهوده وقروده. فإن الأخطاء التي حدثت وارتكبت في عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس منه والأمانة العلمية يقتضيها التثبت أولاً وعدم تضخيم هذه الأخطاء، فإن فيها أحقاداً وسخائم قرون متطاولة علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ولا تكتفى بالسوء من القول وباطله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) الجزء الثاني والذي نقله غير واحد: إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين رضي الله عنه ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك والده، ولكنه كان يختار أن يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه، فلما قدم الحسين وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب أن يرجع إلى يزيد أو يرجع إلى بلده أو يذهب إلى الثغر فنعوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتل مظلوماً شهيداً رضي الله عنه وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله ولم تسب له حريماً أصلاً، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم وقال: لعن الله ابن مرجانة، يعني (عبد الله بن زياد)، أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله، وقد كنت أَرْضَى من طاعة أهل العراق دون مقتل الحسين (انظر: أيضاً ابن كثير والطبري في حوادث عام ٦١ هـ) لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره وما عدا ذلك فتزيد واقراء. إن الوضع في الأخبار والتزيد فيها والتجني على حقائق التاريخ كان يتم قديماً لمصلحة الشعوبية عدوة الإسلام والمسلمين وفي عصرنا الحاضر يتم على أيدي أصحاب النزعة الاستعمارية التي كان همهم إثارة أحقاد الماضي الدفين، وإيقاظ سخائم النفوس بغية إبعاد المسلمين عن أمجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجيل القدوة. ومن هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم ألا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمي التي وضعها أسلافنا رجمهم الله لتحقق للمسلمين خبراً في حياتهم المعاصرة وينير الطريق للأجيال القادمة والله من وراء القصد» أ. هـ

أما أكبر أخطاء خالد محمد خالد فهو دعايته لإخوان الصفا وقولته العريضة : بأنهم أحرار الفكر ، والحقيقة أنهم ليسوا من المفكرين الأحرار ولكنهم جماعة سرية هدامة ، ومن أخطائه قوله : إن أخناتون واحد من الأفاذا الذين يختارهم الضمير الإنسانى لكى يقوموا بعمل جيل أو أجيال ، ونحن نسأل الشيخ خالد : ما هو الضمير الإنسانى الذى يقصده ؟ هل هو شىء غير الإسلام ؟ ، وإذا كان غير الإسلام فنحن نرفضه . إن هذه الكلمات التى يلوكها خالد محمد خالد وغيره ، هى كلمات نثرها أصحاب مخططات بروتوكولات صهيون والماسونية وأذاعوها لخداع الناس عن الحقيقة المضيفة المشرقة الوحيدة فى هذا الكون وهى كلمة التوحيد ، وأن كلمات الإنسانية هذه المطروقة كانت خادمة فى يوم ما لأهداف خطيرة وإذا كان خالد محمد خالد اليوم سنة ١٩٨٠ يردد الكلمات التى كان يكتبها فى مطالع حياته الفكرية سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، فإنه يثبت أنه لم يتقدم خطوة واحدة فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وأنه مع الأسف لم يجدد نفسه ولم يتابع تطور الفكر فيصحح الآراء التى كان تتمسك بها دعاة الليبرالية المنهزمة والفلسفات الباطلة ، والتى كان يدعيها أولئك الذين يريدون أن يقولوا : إنهم من المتفرجين التابعين لتيارات طه حسين وسلامة موسى فى الحديث عن إخوان الصفا وأخناتون ، وهى معانى أصبحت اليوم منقوضة وقد كشف النقاب عن فساد وجهتها .

إن محاولة خالد محمد خالد فهم الإسلام فى إطار مفاهيم الغرب (الديمقراطية والاشتراكية) يكشف عن حقائق أقل ما فيها هى عدم القدرة على الخروج من التبعية إلى الأصالة وهو الذى درس علوم الإسلام قبل أن يتصل بالفلسفات المادية وهذه الكلمات التى يقولها لا تقل عن كلمات الماسونيين والماركسيين ودعاة الفكر الغربى .

أما الادعاء بأن كل من ادعى التوحيد على مفهوم ما فهو توحيد الإسلام فذلك أمر مفروض تماماً . إن هذه هى عبارات الماسون ، أخناتون كان

موحداً وأفلاطون ، وأرسطو . . لا ، نحن لا نؤمن إلا بالتوحيد الخالص
الذى عرفه الإسلام وهو إسلام النفس لله .

أما إخوان الصفا الذى انخدع فيهم خالد محمد خالد فهم جماعة سرية ،
وقد تبين من مراجعات كثيرة - للمستشرقين قبل الإسلاميين - أنهم كانوا
يدعون إلى غاية مقصودة وهى إقامة إمام بعينه ، ولكنهم أحاطوا هذه
الصراحة بلون من دقة البحث ونعومة النسيج وإتقان الصقل ، كما يقول
أحد الذين ردوا على خالد (عبد الأمير غلوش) فقد أسسوا جمعية سرية
هدامة فى مطلع القرن الرابع الهجرى أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق
الخداع ، ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وباطنها هدم بيت محمد صلى الله عليه وسلم أى دينه الشريف السمح ،
وإزالة دولته الموحدة من الوجود وإقامة دولة لها دين مزيج من إسلام ووثنية
لا يستطيع فصل أحدهما عن الآخر ، وقد ألف هؤلاء الدجالون عدة رسائل
أطلقوا عليها رسائل إخوان الصفا ، وهى عبارة عن سياحة تنتقل بك من
حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة ، فهى
سياحة متموجة ذات تعاريج وتضاريس ومنعطفات ملغمة بأنماط من تعاليم
مرذك ومائى وزرادشت ، وهم قوم ملحدون وزنادقة يمهون بمظاهره
كل فرقة بينهم ويمجرون فى ذلك مجرى الجوس والماسونية التى استهوت
مختلف الطوائف والأنماط ، فهم أعرف الناس بدس السم فى الدسم وتارة
باسم المعرفة وتارة باسم البركات والنفحات الروحانية . وقد انخدع فى أعمال
هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجال الفكر والأدب والدين ،
كما خدعت واستهوت الماسونية مثل هذا الجمع الغفير ، ومن ذوى الميول
والغايات دون أن يعلموا أنها خدنية الصهيونية العالمية . إن رسائل إخوان
الصفا التى تترجم عن أفكار ابن ميمون لم تخلص للإسلام ولو أنها أخلصت
لاعتذر عنها ، أرادت توجيه الإسلام توجيهاً فلسفياً مع حفظ الجوهر ناظرة
إلى تطورات الزمن ولكنها لم تكن كذلك بل لوثت الإسلام ، وأقل نتائجها
أنها جرّوت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن
التأويل ، كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل
الكثيرون من دعاةهم دون أن يفتن أحد إلى مرامهم الهدامة .

إن هذه النحلة الهدامة تحاول صبغ الملة الإسلامية صبغة الأساليب الوثنية المنضمة للشرك والعبودية والرجوع بالمسلمين إلى الولاء بعد أن ذاقوا نعمة التوحيد الحر الخالص .

وسكت الأستاذ خالد إزاء ما وجه إليه ولم يجر جواباً ، سواء في مسألة الحسين أو في إخوان الصفا أو في غيرهما لأنه فوجيء بجو مختلف عن ذلك الجور الذي كان يسيح فيه في الخمسينيات ، لقد اتسعت دائرة اليقظة الإسلامية وكان عليها أن تكشف الزيف ، قد يكون ما قاله خالد محمد خالد بحسن نية ، ولكن أين وعي المثقف المتابع لتيارات الفكر الإسلامي ، وكيف يغفل عن الكاتب عن ترشيد أفكاره والارتفاع فوق النظريات الاستشراقية المضطربة فيبدو كأنه تجمد عند موقف قديم .

• • •

(٢)

أحمد بهاء

هذا واحد من أعداء الإسلام الذين تسربلوا بأساليب التقية والحيلة
وتغيير الوسائل في مواجهة الأحداث ولكن الغاية تظل واحدة وقائمة ،
مهما اختلفت الطرق والأساليب ، وقد أتاحت له الفرصة واسعة لهذا العمل
عندما تولى تحرير مجلة العربي الذائعة الصيت سنوات ، ففتح أبوابها للماركسيين
واليساريين والعلمانيين وحشد السموم من خلال أقلام كثيرة ومخطط واضح وهو
من دعاة الربا والناصرية والبعث والاشتراكية ، وهو من تلك الجماعة التي
أتاحت لها الفرصة في ظل ظروف مصر القاسية في الستينات عندما فرض
على مصر تسليم الإعلام والصحافة والمسرح للماركسيين لينشوا سمومهم
فتولى دار الهلال ورأس تحرير الأهرام ، ثم كان في مقدمة من تركوا مصر
عندما وجدوا الفرصة الذهبية هنالك ، فعملوا في الصحافة العربية وكسبوا
الكثير ، ثم عاد بعد أن هدأت الظروف لينتقل بين غرف مفروشة في لندن
وباريس وحسابات مرصودة وأشد حملات قلمه على علماء الإسلام . وقد تولى
تلك الحملة المسمومة على العلامة الكبير الشيخ أبو زهرة في سنوات حياته
الأخيرة ، وكانت في الأخير حملته على الشيخ الشعراوي ، وهو يحاول عبثاً
أن يهاجم دور الأزهر وعلماء المسلمين من حدود الله ومن الشريعة الإسلامية ،
فقد أبدى أكثر من مرة اعتراضه على حق الأزهر الشريف وعلمائه في الأدلاء
بأرائهم والفتوى فيما يعرض للناس من كل مشاكل متصوراً أنه سوف يسلب
الأزهر وعلماءه واجباً أكيداً وأصيلاً ظل يقوم به على مدى ألف سنة كاملة ،
وكان بهاء قد كتب قبل ذلك يقول : إن أى نشاط ديني أو جماعة دينية
يؤدي بالضرورة إلى الإرهاب ومحاولة قلب نظام الحكم ، ولذا يجب استئصال
الأنشطة الدينية أصلاً . وقال : إن هذا هو رأى السادات قاله له قبل سنوات .

قال أحمد بهاء : يريد بعض الناس أن تنصب أقواس النصر لعدد من الصحفيين والكتاب الذين خرجوا من مصر ثم عادوا والذين كتبوا يشتمون مصر في الخارج ويسيتون إليها والآن يتصورون أنهم أبطال ، لأنهم حملوا لواء المعارضة عندما خرسست الألسنة ودقت طبول التفاق وهذا منطوق عجيب أو إعطاء الأشياء عكس معناها ، يقول الكاتب الذى عرض هذا رد على بهاء : أنا أقول بمنتهى الصراحة إن هؤلاء خرجوا من أجل المسال ليكسبوا الألوف ومئات الألوف ، وأنه لا أحد منهم صاحب مبدأ ولا صاحب فكر ولكن صاحب دينار ودرهم وصاحب دولارات تدفع ، لقد اتخذ هؤلاء جميعاً مصر سلعة تباع وشعب مصر تجارة رابحة ، وكانت لكل كلمة يكتبونها ثمن مدفوع وثمان باهظ وكونوا الثروات من تجارة الكلمة بالباطل ، وعندما أحسوا أن الجو العربى بدأ يتحسن وأن الذين كانوا يدفعون لن يدفعوا فى المستقبل ، عندما أحسوا أن تجارتهم قد بدأت تبور أسرعوا عائدين ، وقد أكد (رجب البنا) فى الأهرام أن الأزهر ليس كالفاتيكان وهذه قضية محسومة فى الفكر الإسلامى ولكنى أردت أن يقوم الأزهر ويأخذ مكانه فى الصدارة ويعيد النظر فى قانونه ونظامه .

وفى صدد حملته على الأزهر وعلى الشيخ شعراوى كتب فايز حلاوة فى مجلة أكتوبر : لا أحد فينا فوق مستوى النقد وأولنا فى هذا الإمام الرفيق أحمد (بن ماركس) الذى أفرعته ودهولته آراء الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى ، كما أفرعت وأرهبته إبليس ، فأعلن الحرب الهجومية عليه من مقره المؤقت فى باريس ، ومن المؤكد أن الرفيق أحمد (ابن ماركس) من أشد الناس وأكثرهم غيرة على الدين الإسلامى الحنيف ، وأنه قد تفوق ظاهراً وباطناً فى علوم الدين وفقه السنة وتعاليم إنجلترا وماركس ولينين وبرجنيف ، ومن المؤكد أن خلافه مع الشيخ الشعراوى ليس خلافاً شخصياً لا سمح الله ولا عقائدياً والعياذ بالله ، بل هو خلاف فقهى شرعى مذهبي ، ما شاهدت إجماعاً على الأسف والاستمرار مثلاً حدث بمناسبة هذا التهجيم المنكر على هذا الداعية المفكر المفسر ، أما ثلاثة الأثاقى فهى أن الرفيق (ابن ماركس) بصفته من كبار العلماء الواصلين قد أصدر فرماناً عترياً بخلع الشيخ الشعراوى ، وحرمانه من الانتساب إلى رجال الدين ، وهو سلوك يتفق

تماماً مع تعاليم كارل ماركس الذى نادى صراحة بتحقيق رجال الدين والقضاء على هيبتهم واحترامهم والإساءة إلى قدرهم . إن هذا صاروخ صنع فى موسكو وأطلق فى باريس . إن مشكلة وضع الشباب على الخط الإسلامى الصحيح ، قد أصبحت من أشد مشاكلنا إلحاحاً وأكبرها تعقيداً ولا أعرف لحساب من توجه الطعنات الطائشة إلى صدر واحد من خيرة علماء العصر وأغبرهم على تقوى المسلمين .

(٢)

ويقول الدكتور موسى شاهين لاشين : إنه كاتب معروف فى فكره واتجاهه وسلوكه وآرائه تعودنا منه التهجم على أفاضل العلماء محاولاً الخط من قدرهم العالى وكرامتهم ، هذا الكاتب فى بلد دينه الإسلام ، يهاجم الشريعة الإسلامية ، التى كان عليها الخلفاء الراشدون والعلماء المجتهدون ، سخر الكاتب من ليلة القدر وسخر من هؤلاء الذين أمسكوا بالأقلام وأفتوا فى الحلال والحرام وعباد المادة واتباع لينين واللا دينيون لبسوا مسوح الرهبان . وأطلقوا دموع التماسيح ليكون ضياع الدين وطعنوا فى العباد والعلماء وأصبحت ساحة الفكر الدينى خليط مزيج تملوه الفوضى وأصوات الغوغاء . إن السخرية من الشريعة الإسلامية ومناسكها تخدم فكراً أجنبياً ونظماً لا دينياً وهى تسيء إلى مصر والإسلام وتستخف بأحاسيس المسلمين .

وقال أحمد زين : ماذا يعنى الكاتب عندما قال عن ليلة القدر : إن الله سبحانه وتعالى يقيم فيها (أوكازيوناً) لعباده فيه بسعر الجملة أسهل وأرخص وهل يليق أن يقال عن الله سبحانه أنه يقيم أوكازيوناً ، وهل يجرو أن يقول الكاتب هذه الكلمة عن استأجروه ليعمل عندهم ، أم إن الاستهزاء بالله واجب وأنا نخشى الناس ولا نخشى الله سبحانه وتعالى .

لقد قضى فى الكويت عدة سنوات كانت صحف الكويت خلالها تشن حملة عنيفة على مصر وشعب مصر فلم يفتح فيه بكلمة واحدة ليرد على الحملة خوفاً على الدنانير التى كان يتقاضاها ، وهذه سنة بعض الناس يهربون من الوطن عندما يصاب بنكبة .

إن كلام الكاتب هذا فيه من إساءة التعبير ما لا يخفى في حق الخالق تبارك وتعالى لأن فيه يشبه فعل الله سبحانه بفعل البشر على صورة هزلية ، والله تبارك وتعالى منزلة أن يتحدث عنه بصورة تشعر ولو من بعيد بالهزل ، فالكلام عنه سبحانه وتعالى يجب شرعاً وعقلاً أن يكون متسماً بالخير وألا يكون منافياً مع الكمال المطلق المتصف به سبحانه .

وإذا كان أحمد بهاء لا يسمح لنفسه بل لا يجروء أن يتكلم بنفس هذه العبارة في جانب رئيس الدولة ، فإنه يجب أن يعلم الجميع أن جانب الله هو الاسمي والأعظم وذاته سبحانه مقدسة لا يجوز شرعاً ولا عقلاً المساس ولو من بعيد بجلالها .

ويعاود أحمد بهاء المعركة من الشريعة الإسلامية في صورة علماء الإسلام من أجل الربا (إن على علماء المسلمين أن يكفوا عن الحديث ، عن الربا ، والأزهر ليس فاتيكان حتى يحسم ويثور ، إنما الأزهر يجب أن يكون كما أقيم جامعة عليا لعلوم الدين ، الأزهر أو أى مؤسسة دينية رسمية ليست جهة اتخاذ قرار وليست سلطة إصدار تشريع ، تحليل وتحريم شهادات الاستثمار مثلا . إن استخدام السلطة لرجال الدين عبر تاريخ الدول الإسلامية كان دائماً وخيم العواقب) .

إن أحمد بهاء في هذه التصريحات يريد أن يفرض أن مصر دولة علمانية متجاهلا نصوص الدستور عن الإسلام ، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للقوانين وهذه جراءة بالغة في مواجهة قضايا الإسلام ، ولم يتوقف عند هذا الحد ، بل تابع دعوة التغريب المكارهة لموجة الإسلام الجديدة فهو يهاجم البنوك الإسلامية ويشكك فيها ويتهمها بأن في معاملاتها ربا ، في إطار حملة تشهير بالبنوك الإسلامية ، ذلك النبت الجديد الذي أئنع والذي يغبط أعداء الإسلام ، وهي في نفس الوقت حملة تهوين للربا لحساب البنوك الربوية ، وقد استخدم في ذلك كل أسلحة الغمز والتعريض والشم الصريح للمعارضين حيث يصف دعاء الإسلام بالجهل والعبث والاقتراء والجمود بينما يصف نفسه بالدراية ، وقد جعل وسيلته للوصول إلى هدفه هدم أصول الإسلام ، ويقول : إن الشريعة الإسلامية ليست صالحة لكل زمان ومكان ،

وأن الصحابة غيروا الأحكام التي شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم حسب تغير العرف والمصلحة لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصدر حكمه إلا في ضوء الظروف القائمة ، والادعاء بأن شهادات الاستثمار تستثمر في مشروعات خيرية ، بينما المعروف أنها تقرض مرة أخرى إلى الشعب بفائدة أكبر . وبهذا يتضح أن مال شهادات الاستثمار تقرض بالربا ويصبح صاحب الشهادة آكلاً مؤكلاً للربا في وقت واحد ، ولا شك أن أحمد مهاء يتصدى للرأى الإسلامى في جريدة الأهرام لخدمة البنوك الربوية وهو يستعمل أسلوباً متعالياً لا يقبله أحد ولا يقنع أحداً بما يقول ، ويحاول أن يحزر مفاهيم المجتمع من رأى علماء الإسلام بدعوى أن ليس لهم الحق في الإفتاء ، وهو حين يرد عليهم لا يقبل منه ذلك لأنه ليس متخصصاً .

يقول المستشار محمد كمال فراج : إن الكاتب لم يتحرر شرعية الموضوع وإذا كان من حقه أن يكتب في الصحف فالأولى بحكم القرآن أن ينبغ بجميع وسائل النشر وليس في الإسلام رجل دين بل حكم وحاكم ومحكوم منه ومحكوم عليه ، أى مكلف ، وفي لجنة الاقتصاد والمال بمجلس الشعب المصرى انتهينا إلى تحريم الربا بنص قطعى الدلالة وكان من معاملاته شهادات الاستثمار عدا المجموعة (ج ١) وروى إمهال المتعاملين بالربا فترة يصححون خلالها أوضاعهم وفقه الإسلام يقيم الهيكل الاقتصادى على أرقى ما عرفه الفكر المعاصر ، وليس من الصحيح منهجياً تجريد الاقتصاد من جوانبه وقضى على الوصف اللاربوى ، ومنهج الإسلام أنه كفاء ، وشفاء ، ووفاء ، ووقاء ولا اتفاق مع القول بالبديل الشرعى ، فالبديل يقتضى المساواة ولكن الربا تخريب للاقتصاد بالمفهوم الاقتصادى ، على أن فكرة القيمة في القرآن تمتاز عن دلالتها في الاقتصاد فهماً يتعلق بكل مال له منفعة تحافظ على بقاء الكون إحياء وإنماء ، والربا أسلوب تعامل فهو وسيلة لا يتعداها إلى الغاية فلا يكون المبادل إلا بين قيمتين محدودتين ، وهذا أصل في البيوع في القانون المقارن والمنقول بالدليل على الفقه القرآنى في تحديد محل الالتزام ، والكاتب زميل في هذا التخصص ولم يتخذ هذا القرار في مجلس الشعب إلا بعد الموافقة الاجتماعية للمؤسسات المتعاملة بالربا ، والبنك الدولى ذاته عدل عليه نظام

الإقراض بفوائد إلى نظام المشاركة ، فراحت معاملاته من نسبة ١.٢٥٪ إلى ما يزيد على ٢٥٪ ، وفي الإسلام يكفل الاستغلال لعلماء الدين إلا من اتباع الفقه ليتحرروا من ابتداع الفكر ، وقالت مجلة البنوك الإسلامية : إن بهاء بدأ بالتشكيك دون إلمام تام ووقوف على الأشياء في المناشط والمعاملات الاقتصادية الإسلامية . إن البنوك الإسلامية كنشاط مصرفي قائم على الشريعة الإسلامية هي حلقة من المنظومة الاقتصادية التي تهدف أولاً وأخيراً إلى تحرير المجتمعات الإسلامية من سوءة الربا وقبضة المؤسسات الربوية وهي بالحق النظام الاقتصادي البديل الذي برز إلى دنيا الواقع ، وقد برهنت هذه المؤسسات على أنها أوعية لها من الفاعلين والاستجابة لأغراض المجتمعات ما يجعلها تبرز الأدعية والهياكل التقليدية القائمة وتتفوق عليها .

(٣)

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أحمد بهاء دائم السخرية يكتب التراث في التفسير والحديث والفقه ويحاول تقليل من شأن أئمة هذه العلوم ، يقول : الكتب القديمة التي يعتبرها البعض تراثاً رغم أنها كلام فيه سخر عظيم لا يقدم ولا يؤخر ، وهدف الكاتب من هذا التهمج أن ينصب نفسه وأقرانه أئمة مجتهدين في دين الله يحلون آرائهم محل شريعة الله ، وإذا كان هذا هو رأى أحمد بهاء في التراث الإسلامي فهل هو هذا رأيه في التراث اليوناني والروماني القديم ؟ أعتقد أن لا ، فتلك مقدسات أكبر وأعظم من التراث الإسلامي في نظره .

وهكذا يعمل التقدميون العلمانيون الماديون ، على مهاجمة القيم الإسلامية والتراث الإسلامي والطعن في الشريعة الإسلامية ، وتبريز الفكر الأجنبي والوفاد وخاصة الفكر (الماركسي اللينيني) ، فذلك شيء مقدس .

وحين تولى أحمد بهاء مجلة العربي ، تولى رجاء النقاش مجلة الدوحة ، ومن خلالها انتشرت سخوم الفكر الوثنى والماركسي ، حيث نرى من يدعو إلى معارضة مصادرة الكتب التي تهاجم الإسلام ، أنهم يرون أنهم في مرحلة جديدة بعد هزيمة الماركسية والناصرية في البلاد العربية ، ولكنهم يزحفون حيث ينتفعون بالتناقض بين مصر وبعض البلاد العربية . إن المحاولة مستمرة

داخل قفازات من حرير وبأساليب الغزو الفكرى عن طريق تغيير العقلية الإسلامية والأعراف الإسلامية إلى عقلية تابعة خاضعة للوafd سواء من الفكر الغربى الماركسى أو الرأسمالى على السواء . إن هدف هؤلاء جميعاً ماركسيين ، ولبراليين ، احتواء الفكر الإسلامى وتغريب المجتمع الإسلامى تحت اسم الحضارة والتقدم . إننا لن نقبل رأى (تومبى) الذى طالما رددده أحمد بهاء من أن استيعاب التكنولوجيا مرتبط باستيعاب التجربة السياسية الغربية . إننا نحن المسلمون لن نقبل التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلا كمواد خام نشكلها فى دائرة فكرنا ونصنع منها حضارة الإسلام ولن نكون أتباعاً أو قابلين لدائرة الاحتواء . إن هؤلاء التغريبيون نتاج غير أصيل يحمون أهداف الهزيمة والانحلال عن طريق أسلوب لين خادع ، كتب أحد الكتاب يعرف بصديقه فقال : (له لون سياسى معروف ارتحل لكى يضع نفسه فى خدمة أهداف بعيدة عن رسالة القلم وبعيدة عن أمانة الكلمة ، ولكى يروج الأكاذيب ويشوه الصورة السياسية والاجتماعية ولم يكن الأجر المقبوض عن هذه الكلمات السوداء هو الأجر الشرعى القانونى ، بل كان رشوة مسترة يوزن فيها السطر الواحد وتوزن فيها درجة حرارة الشتاء والتشويه والتشهير بمثاقيل الأصفر الزنان) .

ويتحدث أحمد بهاء عن جيله ، ولا يستحى بأن جيله هذا هو جيل الستينات اللعين ، الذى كان أسوأ جيل شهدته البلاد العربية وفيه نفقت فلسفات الهزيمة والشعوبية ، وقد بدأ هذا التيار فى مجلة العربى بالحديث عن فتحى غانم ، وصلاح عبد الصبور ، ومن الطبيعى أن تتفق هذه الذبول المتبقية من جماعة الهزيمة وأن تدافع عن الفن القصصى الماركسى الذى قدمه فتحى غانم ، ونعمان عاشور وغيرهم ، وعن الشعر الحر الذى قدمه أدونيس والسياب ، وحجازى ، وعبد الصبور وهم يحاولون تركيز هذين التيارين المهارين وإحيائهما بعد السقوط ، ويحول أحمد بهاء فى افتتاحه مجلة كالعربى العمل لترويج هذه المفاهيم الزائفة ، بعد أن كانت المجلة فى أيام أحمد زكى تقدم عرضاً شاملاً للعالم وتياراته وتحولاته . إن مجلة العربى قد استخدمت خلال فترة تزيد عن سبعة سنوات لخدمة الفكر المعادى للإسلام وتجميع فيها كل اليساريين والشعوبيين والزنادقة ، وإثارة مفاهيم الماركسية والعلمانية فى غلاف براق ، ومعهم فهمى هويدى يتركس الإسلام ويثير الشبهات .

محمد عمارة

إن بدعة اليسار الإسلامى التى ظهرت فى السنوات الأخيرة كانت بمثابة عملية تمويه كبرى ، فإن دعايتها يحاولون أن يضعوا أنفسهم فى صفوف الباحثين المسلمين وهم يتناولون المسائل الإسلامية بحجأة بالغة ، ويصدرون منها عن مفهوم ناقص :

أولاً : من حيث أنهم لا يؤمنون بالإسلام كنظام مجتمع ومنهج حياة ويحاولون إخضاعه لنظريات التطور التى خضع لها الفكر المسيحي الغربى ، ومن حيث سوء عقيدتهم فى الوحي والنبوة فهم يحاكون الإسلام كنظام بشرى ويحاولون إيجاد الثغرات فى جوانبه يعتمدون فيها على ظاهر بعض الأحاديث كحديث : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » الذى يتخذونه تكأة للقول : بأن الإسلام دين عبادة ولاهوت . وأنه يترك للمسلمين الحرية فى اتخاذ مناهج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليس الأمر كذلك ولم يكن هذا الإطار الذى قيل فيه الحديث ولا هذه هى الوجهة فيه .

ثانياً : من حيث أنهم يعلنون من شأن النزعة القومية بمفهومها العلماني ويجعلونها أساساً ومصدراً ، ويجعلون الإسلام قطاعاً منها وهذا ما لم يقل به مفكر مسلم أصيل ، ذلك أن العرب قبل نزول الإسلام لم تكن لهم قومية واضحة وقد خلا شعرهم وكتاباتهم من ذكر العروبة وأن الإسلام هو الذى جمعهم عليها وجعلها فى إطار الإسلام ، فالإسلام هو الذى صنع للعرب مجدهم وهم لم يكونوا إلا شيئاً مبغراً ولن يكونوا وكيف يمكن أن يوضع المنهج الإسلامى الجامع الفسيح الجوانب الشامل للعقيدة والمعاملات والأخلاق ، موضع النظرية القومية ، التى تتعلق بالجنس والدم والعرق ، صحيح أن الإسلام لم ينكر الإعراق ولكنه جعلها فى إطار الإسلام وجعلها سمحة كريمة واسعة الأفق ، قابلة للالتقاء مع القوميات

الأخرى تحت لواء الأخوة الإسلامية وحررها من العنصرية والكرامية والاستعلاء ، ونقاها من دعوى الجاهلية .

ثالثاً : من حيث إيمانهم بالنظرية المادية والتفسير المادى للتاريخ والإيمان بالصراع الطبقي وهذه كلها مفاهيم النظرية الماركسية التى لا يمكن أن يخضع لها التاريخ الإسلامى ، ولا الواقع الإسلامى ، هذا فضلاً عن فساد فكرة (اليسار الإسلامى) ، فليس فى الإسلام يمين ويسار ، ولكن هناك منهج الله تبارك وتعالى يعمل الجميع حاكمين ومحكومين على تطبيقه ، والالتزام به والعمل فى إطاره ، مع السماح لاختلاف وجهات النظر واختلاف أمتى رحمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : موقفهم الحاقده من الدولة العثمانية وإنكارهم فضلها فى حماية الإسلام أكثر من أربعة قرون فى مواجهة الحملات الصليبية المتجددة فضلاً عن موقف السلطان عبد الحميد الحاسم فى مواجهة الصهيونية العالمية ولكن الهدف المضمر وراء هذه المحاولات هى اتخاذ الإسلام ستاراً لهدم مقوماته فى نظر أتباعه من خلال إغرائهم بأنهم يتكلمون بلغة إسلامية ، غير أن الغرض الواضح معروف وهو تفتيت الإسلام وإخراجه عن مفهومه الجامع ، واتخاذة أداة لتبرير الواقع من مثل دعواهم بأن الخلفاء غيروا بعض التصرفات التى جرى عليها المجتمع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى كل هذا إلى الوصول إلى ما لا يقره الإسلام هو تبرير :

١ - القوميات بمفهومها الغربى .

٢ - أو قبول مناقض المجتمعات الإسلامية كالخمر والزنا والربا تحت أى محاولات لتبرير ذلك أو التهوين من شأنه .

وفى الأخير إنما تجرى هذه المحاولات بقوة فى هذه الأيام ، لتأخير تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية والتوهين من شأنها ومن نتائجها خدمة للنفوذ الغربى الذى يرغب فى هذا ، والذى يرمى إلى محاولات لوضع الإسلام فى مستوى بعض النحل وذلك للقضاء على ذاتيته وتميزه الخاص على النحو الذى يسعى إليه دعاة (الحوار) وغيرهم .

وقد جرى الدكتور محمد عمارة شوطاً طويلاً في تجديد كتابات جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي واستغل نصوص هذه الكتابات في خدمة قضايا مثارة : كقضية المرأة ، أو قضية المعاملات مع أن اجتهادات الشيخ محمد عبده كانت لعصرها ولوقتها ، ولا يمكن أن تكون صالحة لعصرنا بعد مرور أكثر من سبعين عاماً ، وبمراجعة كتاب (تجديد الفكر الإسلامي : محمد عبده ومدرسته) للدكتور عمارة يتبين إلى حد أمكن استغلال تراث الفكر الإسلامي لخدمة الماركسية والمذاهب القائمة على التفسير المادى للتاريخ وهى محاولة خطيرة ترمى إلى استغلال النصوص القديمة ومن ذلك ترجيحهم لبعض الشخصيات الإسلامية على النحو الذى قام به عبد الرحمن الشرقاوى وما كتبه أحمد عباس صالح عن اليمين واليسار في تاريخ الإسلام وما كتبه أحمد عبد المعطى حجازى عن السيرة وهذه ظاهرة فى حاجة إلى دراسة لأنها تمتد وتمتد حتى تتصل بكل التراث الإسلامى فى محاولة لتقديم مفهوم جديد يختلف عن المفهوم الأصيل (وهم يرون أن طه حسين ، وهيكىل ، العقاد) قد فتحوا لهم الطريق إلى التفسير المادى للتاريخ الإسلامى .

وقد غنى الماركسيون فى الفترة الماضية برجلين : الطهطاوى الذى اعتبروه مدخلا إلى الفكر الغربى ، و (الكواكبي) الذى اعتبروه مدخلا إلى القومية . وفى السنوات الأخيرة استخدم الماركسيون آراء الشيخ محمد عبده استخداماً واسعاً فى سبيل الحيلولة دون الفهم السلفى الأصيل . حيث كان الشيخ محمد عبده يحاول عن طريق التأويل محاولات يرمى بها إلى الدفاع عن الإسلام من اتهام الغربيين له بالجمود .

٢ - ومن أخطاء الدكتور محمد عمارة فى ضوء مفهوم الإسلام تفسيره للحروب الصليبية ومقاومة الممالك للتتار وغيرها على أنها معارك عربية قومية بينما هى معارك إسلامية حقيقية كان يديرها المرابطون والمجاهدون المسلمون ورجال الطرق الصوفية . ومن العجيب أن يقال : إن حروب التتار ، والحروب الصليبية هى حروب عربية قومية ، وهى مرتبطة أساساً بيزوغ الإسلام وأثره فى السيطرة على مناطق كانت فى حوزة الدولة الرومانية فى الشام ومصر والمغرب ، وقد امتدت هذه المعارك منذ ظهور الإسلام

بين المسلمين على حدود الشام والدولة البيزنطية ، ثم اتسعت إلى حروب صليبية في الشام وحروب الفرنجة في المغرب بمحاولة استرداد الأندلس ، كل هذا دار في إطار الصراع الذى أثاره الغرب في دعوته إلى القول : بأن كل ما كان في يد المسيحية يجب أن يعود إليه ، فكيف يمكن القبول بدعوى محمد عمارة وحاشيته في إنكار هذا الفهم الحقيقى ، وحصره في كلمة عروبة مع أن كلمة العروبة لم تكن موجودة في ذلك الفترة ، والمعروف أن كلمة العروبة لم تظهر حقيقة إلا بعد سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .

٣ - كذلك فإن هذه الحملة الضارية على الدولة العثمانية (الدولة الإسلامية التى حمت العالم الإسلامى أكثر من أربعة قرون من عودة الحروب الصليبية الأوروبية) تواجه دائماً بالكراهية والانتقاص من عمارة والماركسيين جميعاً ، لأنها الدولة الإسلامية التى غزت أوربا والتي يحمل لها الأوروبيون مثل حقد العلمانيين تماماً ، فإذا كان هناك مدخل حقيقى للدور ينسب إلى الدولة العثمانية في صراع مع العرب أو محاولتهم تزيك العناصر أو تعليق زعمائهم على المشانق فإن الإنصاف يقتضينا أن ننسب هذا الدور إلى القائمين به وهم الاتحاديون أصدقاء الدونمة والذين شكلتهم المحافل الماسونية وأصحاب الدعوة القومية المفرغة من الإسلام ، والداعية إلى الطورانية ، وهم الذين حكموا منذ عزل السلطان عبد الحميد عام (١٩٠٨ - ١٩١٨) وهم الذين سلموا طرابلس الغرب لإيطاليا ، وسلموا فلسطين للصهيونية ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العظمى في صف الألمان ، هؤلاء أولياء الصهيونية وعملاء العلمانية والذين غرسوا مفاهيمهم في أحزاب عربية كثيرة ، وحمل لواء الدعوة القومية على مفاهيمهم شيخ دعائها ساطع الحصرى ومن ورائه زكى الأرسوزى ، وميشيل عفلق ، وجورج حبش وغيرهم .

ولا بد أن تتلاقى مفاهيم محمد عمارة مع هؤلاء الذين ينتسبون إلى الماركسية والقومية المفرغة .

وحين تقرأ كتابات محمد عمارة عن الوهابية والسنوسية والمهدية ، نجد الهدف واضحاً وهو ضرب الوحدة الإسلامية القائمة باستثارة شبهات وهم

قيمه ، وذلك من إدخاله عبارة جبهة العروبة ، وما يسميه عروة الدولة والفكر والحضارة حيث لم يكن هناك ما يسمى بهذا الاسم .

وتأويل التاريخ الإسلامى من تفسيرات القوميين والإقليميين والماركسيين فكل منهم يحاول أن يفرض على هذا التاريخ مفاهيمه وتفسيراته ، وفى أبان الدعوة القومية برز كتاب كثيرون بلوكون عبارات القومية العربية ويوزعونها على الدول الأموية والعباسية وغيرها بغير حساب .

ويحاول محمد عمارة أن يصور السنوسية والوهابية والمهدية وكأنها معارضة للدولة العثمانية ومعتبرة إياها دولة استعمارية ، ولم يكن الأمر كذلك فى الحقيقة .

إن خطأ عمارة أنه يفسر التاريخ بأهواء القوميات والماركسيات المعاصرة التى تريد أن ترتد إلى الوراء لتجعل لها جذوراً غير حقيقية ، وهى تعتمد فى ذلك على خيوط واهية منها ذلك الخيط الذى تردى فيه الكواكبي وهو الخلافة العربية ، وما يسمى بالسلط العثمانى فى حكم ما يسمى بالأمة العربية ، حيث لم يكن هناك مفهوم يسمى الاستعمار فى هذه المرحلة أو فى هذه المعركة ، وكلمة الاستعمار كلمة مستحدثة ارتبطت بالاستعمار الغربى وحده ، أما العلاقة بين الدولة العثمانية والعرب (سواء المصريين أو السوريين أو الجزائريين أو التونسيين) ، فقد كانت علاقة الأخوة الإسلامية وعلاقة استعانة الجزء بالكل فى سبيل مواجهة الخطر الغربى المتحضر الذى كان يستعد بعد انتهاء الحروب الصليبية إلى جولة أخرى لولا هذه الوحدة التى طالبت بها مصر وتونس وغيرها الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية تجمعها وإياها كلمة « لا إله إلا الله » .

وكل التفسيرات التى تحاول أن تصور الأمر على غير هذا فهى تفسيرات ضالة ، ولقد حضرنا الملتقى الإسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٢ ونوقشت هذه القضايا مناقشة واسعة . إن هذا الاتجاه الذى يحاول أن يصور الوهابية والسنوسية والمهدية فى صورة معارضة سياسية للدولة العثمانية ومعتبرة إياها دولة استعمارية هو اتجاه مرواغ غير صحيح وليس هناك أى سند له أو أى

دليل ، فإن المسلمين في هذه المرحلة لم يعرفوا هذا (الاتجاه العروبي) المفروض من بعد على تفسير التاريخ في مراحل سابقة لوجوده مثلاً ، ولعل هذا انسياق وراء التيار البعثي والماركسي الذي يحاول أن يفسر التاريخ الإسلامي تفسيراً يخرج به من مفهوم (الجامعة الإسلامية) والوحدة الإسلامية التي يكرهها البعث ودعاة القوميات من ساطع الحصري إلى محمد عمارة .

وهي محاولة لالتقاط كلمات من هنا وهناك لإقامة مفهوم وهمي ، ولست أدري لماذا هذه الكراهية العنيفة للدولة العثمانية — وخاصة من مدعي اليسار الإسلامي وكان الأولى بهم أن يكونوا منصفين ، إلا أن تكون مؤامرة لموازرة مفهوم الصهيونية العالمية والشيوعية العالمية التي هدمت هذا الصرح لإقامة دولتها في فلسطين ومن شأن هذا أن يكشف أن هناك ارتباط خفي بين الماسونية وبين هذه الدعوات التي يحملها الكارهون للدولة العثمانية من أحمد بهاء وعمارة وغيرهم .

٤ — كذلك فهناك الزج بكلمة العقلانية في كل ما يتصل بالإسلام ، فما كان الإسلام عقلانية خالصة ولا كان هو (المعزلة) ، وما كان كل خارج عن الإسلام من الثوار على النحو الذي أورده في كتابه (رجال ثوار) حيث ضم دعاة الباطنية إلى إعلام الإسلام ، وهو في كل كتاباته يصف الأفعاني بأنه كان عقلانياً قومياً ، وما كانت تلك العبارات أو المسميات مما تصور موقف هذا الرجل أو موقف محمد عبده أو رفاعة الطهطاوي . كذلك فإن أحداً منهم لم يكن علمانياً بالمعنى الأوربي الذي هو في الترجمة الحقيقية (لا دينياً) .

والعلمانية نبت أوربي خاص وضرورة وجدت أبان الخلاف بين الكنيسة ورجال العلم وفي ظل قسوة الكنيسة وطغيان الكهنوت ، وهذا أمر مختلف تماماً في الإسلام . فالإسلام لم يعرف الكنيسة ولا الحكومة الثيوقراطية ، وكان نصيراً لحق الجماعة وللحرية وقد أفسح المجال أمام العقل الإنساني ، وكان من أبرز منجزاته (المنهج العلمي التجريبي الإسلامي) الذي نقلته أوروبا وبنيت عليه حضارتها .

٥ — ومن أخطائه حملته على السلف الصالح وإعلاء شأن الفلاسفة ، والمتصوفة الخارجين على مفهوم الإسلام . والمتكلمين ، وخاصة الحلاج ،

وابن عربي . والقرامطة ، والباطنية فإن هؤلاء لم يكونوا دعاة إسلاميين حقيقيين أو مناضلين كما يسميهم ، فضلاً عن أنهم ناقضوا أصل الأصول في الإسلام وقد ثبت أنهم كانوا يهدفون إلى هدم الإسلام بتدمير الدولة الإسلامية . لذلك فلا يمكن أن يوصفوا بأنهم فرسان الدفاع عن إنسانية الإنسان ، وليس معنى أن بعض الفقهاء ارتبطوا بالحكام أن يوضع هؤلاء الحاقدين على الإسلام بالمقابل في صف الثوريين المصلحين ، ه لقد رفض الإسلام مفهوم الفلاسفة الذين يقولون : يقدم المادة والعالم وأزليتهما رفضاً تاماً .

ومن أخطائه الفصل بين العلوم الشرعية والعقلية والتمييز بينهما وخاصة بين التصوف والشريعة فهذا مفهوم خاطيء ، أو بين الفلسفة والشريعة ، ولا يمكن القول بالنظر في كل منهم بمنهاجه ومعايره ، فليس هناك منهج أو معيار لكل علم ولكن هناك منهج وأحد تحكم إليه العلوم كلها هو منهج الشريعة الحاكمة على كل العلوم من جهة واحدة هو سلامة صلتها بالعقيدة . ومعنى ما يقول عمارة : شديد الخطورة ، فهو يدعو إلى تقبل التصوف الفلسفي وهو خارج تماماً عن مفهوم الإسلام وكذلك قبول الاعتزال وفيه انحراف كثير .

ومن أسوأ ما قال محمد عمارة قوله : (إن الدولة) التي بناها وأقامها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة على شرع الله وسنته عليه الصلاة والسلام لم يكن لها علاقة بالدين .

ولا أدري كيف بلغت به الجرأة على الحق هذا المبلغ وهو يعلم أن الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت على أساس أحكام الله : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . . . » .

٦ - ويجري الدكتور محمد عمارة مع ذلك التيار الخطير الذي يحاول احتواء الفكر الإسلامي والذي يديره أعداء الإسلام ، على هذا الأسلوب الخبيث ، وهو إثارة التعصب القومي والمذهبي وإشعال نار الطائفية فيتناحر المسلمون ويتنازعون فيما بينهم فيفشلوا وتذهب ريحهم . هذا الأسلوب

الحديث تستعمله اليوم بعض المحاور الحاقدة على الإسلام ببث الشائعات الكاذبة
المعرضة وإثارة الأحقاد المندرسة ونكأ الجروح القديمة المتدملة من أجل
إثارة الفتنة والبليلة بين المسلمين لتشتيت شملهم وتبديد جمعهم ، ومن ذلك
ما نجده من تأليف الكتب وإذاعتها عن طريق دور النشر الكبرى عن
المذاهب والفرق الإسلامية بعد أن انطوت صفحاتها وانتهى أمرها ، ولم يعد
لها وجود حقيقي في المجتمع الإسلامي ، وهو عمل من أعمال الغزو الثقافي
الذي يرمى إلى إحياء هذه الخلافات وتمزيق جبهة المسلمين والحيلولة دون
التقاء المسلمين على وحدة الفكر الحقيقية المنبعثة من مفاهيم أهل السنة والجماعة ،
وبذلك فإن محمد عمارة - وهو في أحد أعماله العديدة ينشر تاريخ الفرق
الإسلامية مما يعد خطوة في هذا الطريق ، وقد بدأ هذا العمل يؤدى دوره
الخطير المسموم منذ بدأه أحمد أمين وكان قد عقد مؤتمر في تليتمور منذ
سنوات أوصى بإعادة إثارة الخلافات والفرق عن طريق مؤلفات تجدد
هذه القضايا .

ولقد تكشفنا أبحاث الدكتور محمد عمارة عن أخطاء تاريخية عديدة
راجعها فيها ذوى الشأن ، تبين منها غلبة أهواء المذهب على حقائق التاريخ .

* * *

محمد أحمد خلف الله

تناولنا أعمال الدكتور خلف الله في فصل سابق ، ولكن كان علينا أن نعرض له في هذا الباب لأنه شغل نفسه في السنوات الأخيرة بمسائل الشريعة الإسلامية وتصدى للفتوى فيها ، وهذه ظاهرة جديدة نعجب لها من أسماء لم يكن لها اتصال بها من قبل شأنه في ذلك شأن حسين أحمد أمين الذي نفت سمومه وما زال ينقشها على هذا النحو الذي يشغل خلف الله ، وعمارة ، وحسن حنفي ممن يسمون أنفسهم اليسار الإسلامي والذين هم أشبه بمن يفسد ماء البحيرة الهادئة بإلقاء الأحجار والأوساخ . وتاريخ الدكتور خلف الله مظلم منذ بدأ حياته الثقافية بكتابه (الفن القصصى في القرآن) وما تضمنه من تجن وافتراء على كتاب الله وما ثبت في أذهان القراء والباحثين من أنه رجل غير موضع الثقة في بحوث الإسلام ، بعد أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قصاص يعتمد أسلوب الفنانين في الإضافة والحذف وهو بهذا ينكر عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اتخذ جماعة من اليساريين في الفترة الأخيرة مهاجمة الشريعة الإسلامية عن طريق وجود بعض المداخل التي يسلكون منها .

و حين تقرأ مقالاته عن التشريع الإسلامي — كما يقول عودة الله القيسي — : تحس أنه يحاول أن يقنع القارئ بأن عليه أن يتقبل التشريع الغربي تشريعاً لنا بحيث نأخذ منه كل قانون لا نجد ما يقوم مقامه في التشريع الإسلامي ، ويحاول أن يخدع في هذا فتعتمد على نص عند الفقهاء فيقول : (كل قضية نجد وليس فيها حكم إسلامي فإن لنا أن نأخذ لها من التشريع الغربي لأنه إذا كان شرع من قبلنا شرع لنا فشرع معاصرينا شرع لنا كذلك) ويحاول أن يصور التشريع الغربي المعاصر في مستوى شرع من قبلنا . وهذه

خدعة بلغاء ، فليس المقصود بالنص هو هذا . إن التشريعات السابقة يقصد بها تشريعات الديانات السماوية التي بقيت على ما أنزلت عليه من عند الله دون تحريف ، أما التشريع الغربى فهو تشريع بشرى وليس شرع الله ، ففكرة الحلال والحرام غير واردة فيه ، وإنما واردة منه فكرة المصلحة التي هى غالباً مصلحة الطبقة الحاكمة وقليلها هى مصلحة الشعب ، على أن البشر قاصرون فى النظر البعيد عن إدراك المصلحة إدراكاً دقيقاً من تلقاء أنفسهم ، أى دون أن يهتدوا بشرع منزل من الله تعالى .

إذن هناك فرق جوهري بين شرع من كان قبلنا وشرع المعاصرين لنا يجعلنا نأخذ من السابق ما لم يحرف ولم يخالف ما ورد فى الكتاب والسنة ويمنعنا من الأخذ من شرع معاصرينا لقصوره وقيامه على الإلحاد .

(٢)

يصور الدكتور خلف الله التشريعات النبوية بأنها اجتهاد بشرى خطىء ويصيب ، ولا يقتصر فى خطأه على السنة ، بل يمتد إلى القرآن نفسه فيأخذ من السنة بيانها للقرآن (نوع واحد) هو السنة المبينة للعقيدة والعبادات وحدهما دون السنة المبينة للأحكام والمنشئة لها ، يقول الأستاذ حسين ناجى محي الدين : هكذا نراه أهدر من القرآن والسنة ما ورد فيهما من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر وإعتماداً على أن الأصوليين (علماء الفقه) قالوا : إن المصلحة تتغير بتغير الزمان وترد عليه فيقول : إن الأصوليون حين قالوا ذلك لم يقصدوا الأحكام الواردة بصريح القرآن ولا الأحكام التي وردت وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا الأحكام التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم لإنشاء ، وإنما قصدوا بعبارتهم الأحكام التي لم يرد منها نص من قرآن أو سنة ، وهى التي قال فيها المجتهدون بالقياس أو الاستحسان أو الإجماع ، أى الأحكام التي وصل إليها هؤلاء بفكرهم البشرى .

(٣)

ومن أخطائه دعواه بتعطيل آية الفى والغنمة على أساس أن الزمن تغير وقد سمى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن اجتهاد بشرى وليس يلزم

أن يكون ديناً وله جراه على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وله مغالطاته وتناقضاته فيقول : (إن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن قول بشر ومعنى قول بشر : أنه غير ملزم أى يؤخذ منه أو يترك فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام) .

ولا يعنى هذا الكلام أكثر من أن صاحبه لا يعرف معنى النبوة ، ولم يحط إحاطة صحيحة بمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسئوليته . ولو أن قلبه كان يحمل ذرة من يقين لما استطاع أن يتكلم بهذه الجراءة .

(٤)

أما مقولته : بأن الدين وضع إلهي والدولة وضع بشرى فتلك مقولة ظاهرة البطلان تستمد مفهومها من مفاهيم اللاهوت الغربي ونظرية فصل الدين عن الدولة التي قام بها الغربيون من أجل الخلاص من الدولة الشيوعية ومن مظالم الكنيسة ، أما في الإسلام فإن الأمر يختلف ولو كان لخلق الله أقل إمام لمفهوم الإسلام كدين ونظام مجتمع ، لما عرض لهذه العبارات التي تصوره بصورة من يتحدث عما يعلم ، أو من يعلم ولكنه يراوغ في سبيل التشكيك وإثارة الشبهات .

لقد وضع الإسلام القواعد لقيام حكومة إنسانية ، على أسس العدالة الإلهية والحق والرحمة والإخاء البشري ، فساداً في هذا ؟ وما هو وجه التعارض إلا أن يكون قد فهم الدين فهماً لاهوتياً ، فكلمة الدين هذه التي يستعملها ليست هي الإسلام ولكنها هي أى دين آخر .

(٥)

ومن ذلك محاوراته المضطربة حول هو ما هو ملزم وغير ملزم ، والنص والإجتهاد فيما ليس فيه نص ، وقد رد عليه المستشار سالم البهناوى فقال : إنا نطالب أن يكون الحكم بما أنزل الله ، فهل يعارض هو في ذلك ؟ إن الحكم بما أنزل الله إنما يستمد مقوماته من أمرين :

الأول : أن يكون بما في كتاب مما هو قطعي الدلالة بما يستطيع الإنسان أن يصل إليه بنفسه .

الثاني : أن يكون ما في كتاب الله محتاجاً إلى البيان ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بهذا البيان ، فساداً في هذا من بعد عن الصواب أو بعد عن السنة التي جعلناها أساساً لبيان ما أنزل الله .

(٦)

إن هذه الجراءة على الله تبارك وتعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يمكن أن تصدر من رجل يريد أن يقدم اجتهداً في تطبيق الإسلام : إن أول شرط لذلك هو التقدير الكامل للقرآن وميزله ومبلغه ، من حسن الأدب والذوق .

وكيف يمكن أن يقول خلف الله : أن في القرآن أحكاماً معطلة ويجب بقائها معطلة مسيرة لظروف الزمان والتغيرات الطارئة على المجتمعات . إن ما جاء من الله سبحانه لا يمكن لبشر أن يقول : إنه ليس صالحاً وتلك هي إجابة المولى تبارك وتعالى بالماضي والحاضر والمستقبل بكل ما فيه من أبعاد . أما خلف الله فإنه يريد أن يفرض مفاهيمه على سنوات لن تتجاوز العشرين أو العشرين من عمره ، وهي لا تساوي شيئاً من عمر الإسلام ، وهو يظن أن الأوضاع القائمة في البشرية كلها اليوم ستسير على هذا النحو بينما يتنبأ علماء الغرب بأن البشرية مقبلة على تقبل كامل لشريعة الله ، وأن هذه الحضارة الفاسدة التي يحاول أن يبررها خلف الله ويخضع لها نصوص القرآن والسنة سوف تنهار وتهوى ويهوى هو معها .

إن هذه النظرة الضيقة هي نظرة غير المسلم المؤمن ، وأن هذا العلم المحدود ليس علم الدعاة إلى الله أو الحق .

وماذا يمكن أن يصل إليه خلف الله حين يزعم أن بعض النصوص القرآنية غير قادرة على تحقيق الصالح العام للمجتمع الإسلامي ، أو قوله : إن بعض أحكام القرآن الواردة في النصوص القطعية أصبحت غير صالحة للتطبيق وغير عادلة بسبب تغير الأزمان والأحوال ، وكيف يمكن أن يوصف من يفرق بين الدين وبين الأحكام ، أو يخرج التشريع ويخرج الأحكام من

مفهومه الدين، سواء أكانت هذه الأحكام واردة في القرآن أو في السنة أو بإجماع المسلمين أو باجتهاد المجتهدين من الفقهاء والعلماء . إن خلف الله يضمّر في نفسه معاني لا يستطيع أن يبوح بها هي نفس المعاني الذي ردها على عبد الرازق في كتابه ، وأمين الخولي في مجالسه ، وكيف يمكن أن يكون مقبولا من رجل مسلم أن يقول : إن النص القرآني إن لم يكن قادراً على تحقيق المصلحة تركناه ولجأنا إلى الفكر البشري ، وهل يرى أن الفكر البشري يستطيع أن يحقق المصلحة العامة للبشر من دون القرآن ، أن صانع البشرية هو الذي يعرف الصالح العام لها وما يوجهها إليه هو الصالح العام ، أما القوانين الوضعية فإنما تحقق أهواء النفوس وتسلم البشرية إلى الفساد والانحلال وإلى تبرير أوضاع المجتمعات البشرية الفاسدة التي تعيش اليوم على الربا والزنا والانحلال الخلقي .

(٧)

لا يوصف النص القرآني بأنه غير قادر على تحقيق الصالح العام ، وإنما بوصف القائل بذلك بأنه غير قادر على الفهم وعاجز عنه أو يوصف بأنه غير عالم وغير فاهم ، كما يوصف بأنه أساء الأدب في حق آيات القرآن ، كما يوصف بالتناقض البين بين تقرير أن ما يصدره القرآن لا يتغير بتغير الأزمان وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وأنه يجب الالتزام بما جاء بالقرآن وبين الزعم بأن بالقرآن نصوصاً غير قادرة على تحقيق الصالح العام .

يقول المستشار حسن ناجي محي الدين :

هل يريد الدكتور خلف الله أن يلقي الناس أن بالقرآن آيات قادرة وآيات غير قادرة بمعنى آيات صالحة وآيات غير صالحة للتعامل معها وبها ، وإذا كان الأمر كذلك كان من حقنا وحق كل سامع له أن يدفعه بالتناقض الفاحش . وكان من حق المسلم أن يصف تناقضاته بأنه يحمل ريباً وشبهات ، فليس في كلام الله ما هو صالح وما هو غير صالح ، وليس في كلام الله ما هو قادر وما هو غير قادر ، بل كلام الله تبارك وتعالى كله في ميزان الصحة صحيح ، وفي ميدان القدرة قادر ، لا فرق بين أي وأي ، فالكل من عند الله وما كان

من عند الله فهو الكمال المطلق والحكمة المطلقة ، فإن الله (جل شأنه) لا يكون قادراً مرة وغير قادر مرة أخرى ، لقد نجان التغيير الدكتور خليف الله إن كان الأمر هو ذلك فإنه بشر ولم يؤث جوامع الكلم . وأن كلنا يرى أنه يدير الحديث ويستعمل الكلمات بلباقة ومهارة ، وإن زلقة اللسان أو شطط العلم ما ينبغي أن يبلغ مبلغ التجرد على آيات القرآن ، وقد يقبل ذلك من مستشرق حاقد لكن لا نقبله من منتسب للإسلام يسره أن يقال في حقه : إنه مفكر إسلامي فإن للمسلم عزة على ربه وأدباً في الحديث معه أو الحديث عنه .

* * *

إن خليف الله يشير محاولة باطلة حين يدعي أن هناك فرقاً بين الدين وبين الشريعة وأن مصدر الدين هو الله ، وأن مصدر التشريع هو القرآن والسنة ، والحقيقة التي لا شك فيها هو أن الشريعة جزء من الدين وأنها جميعاً من الله تبارك وتعالى ، وأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وكل محاولة لإثارة الشبهات حول ذلك هي من باطل الذين لم يصل علمهم إلى حقائق الأشياء : (ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) :

* * *

محمد سعيد العشماوى

فى مرحلة من أدق مراحل الحياة السياسية والاجتماعية المصرية ظهر جماعة من الدعاة إلى وحدة الأديان ، بهدف صهر الإسلام فى بوتقة الأديان ، وكان لهذه الموجة سابقة بدأها دعاة الحوار الذين استهدفوا الحصول من علماء المسلمين على شهادات خادعة بأنه لا خلاف بين المسيحية والإسلام إلا فى مسائل شكلية ، أما هذه الدعوى التى قام بها الماكرون وجندوا لها بعض المسلمين المخدوعين ، فقد حاولت أن تسوى بين الأديان تسوية تاريخية بحيث يبدو لغير الإسلام الأولية والسبق وله التبعية والافتقار ممن سبقه من أديان . والحقيقة هى غير ذلك تماماً ، ذلك لأن مصدر الدين المنزل واحد من الله رب العالمين ولكن بعض الأديان حرفت بعمل رؤسائها فبعدت عن الطريق الصحيح الذى يسلم كل منها إلى الآخر وصولاً إلى الدين الخاتم ، ومن هنا فإن صفة التشابه بين الأديان صحيحة لأنه ناتج عن وحدة المصدر الأول ، ولكن الأديان تغيرت وثبت الإسلام على المفهوم الربانى الأصيل . ومن العجيب أن يغيب مثل هذا المفهوم عن رجال لهم قدر من الثقافة العصرية ، ولكن مع الأسف قصرت مفاهيمهم الإسلامية عن إدراك هذه الحقيقة ومن هنا جاء ذلك الخلط الشديد الذى وقع فيه المستشار محمد سعيد العشماوى فى كتاباته عن نظام الحكم فى الإسلام ، ولم يكن العشماوى إلا حلقة من سلسلة متصلة الحلقات ضد الإسلام ، فقد كتب الطبيب الذى قال : إنه لا يمكن تطبيق شريعة الله إلا إذا بعث الله نبياً ، وحيث أن النبوة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فلن تطبق الشريعة ، أما العشماوى فخلاصة رأيه أن نظام الحكم الإسلامى السديد يقوم على ثلاث مبادئ :

الأول : واقع المجتمع لا كتاب الله .

الثانى : إرادة الأفراد لا إرادة الله .

الثالث : الظروف المعاصرة وليس فيها حكم لله .

إذن ليس لله دخل في هذا كله ، لا كتاب الله له دخل ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها دخل وسمى هذا كله (وازداد شططاً) أنه نظام الحكم السديد .

إن دعوى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا حكاماً هي دعوى باطلة وآيات القرآن ترى لتسجل ارتباط النبوة والحكم في كل عصر :

« داود وسليمان إذ يحكمان في الحرت . . . » .

« يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس . . . » .

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور . . . » .

ومن خطأه قوله : إنه بمجرد أن انتهت النبوة فقد انتهت حكومة الله بوفاته محمد صلى الله عليه وسلم ، أما مجيء أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبو بكر ليس خليفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ أحكام الشريعة ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين أحداً بعده والقرآن لم يبين المنهج الذى يحكم به أبو بكر رضى الله عنه ولم يخلج المستشار أن ينقل ما كتبه على عبد الرازق ، وطه حسين من قبل وما رد به عشرات علماء المسلمين على ذلك من أن الحكومة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حكومة إنسانية وليست ثيوقراطية ، تقوم على شريعة الله ، وأن صمت الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسمية خليفة له هو أعلى درجات الشورى وإعطاء الأمة حقها في اختيار حاكمها تحت لواء الإسلام وفي ضوء القرآن .

نعم : الحكم في الإسلام ليس حكماً دينياً على نحو ما عرف في الغرب ولكنه حكم مدنى .

وأنت حين تقرأ تلك الكلمات المرصوفة تحس بأمرين :

أولاً : تحس بأنها منقولة عن مصدر يريد أن تكتبها أسماء إسلامية جغرافياً .

ثانياً : تحس بأن صاحبها يجهل أقل قدر مما يجب أن يعرفه المتخصصون

في الفقه ولعل ما دعا إليه المستشار العشماوى قوله : إن جميع الرسل دعوا إلى الإسلام وغاب عنه كثير . يقول الدكتور عبد المنعم النمر : إن قوله :
أولاً : بأن جميع الرسل دعوا إلى الإسلام وأن أتباعهم يسمون مسلمين ،
قد أسقط في تعريفه هذا للإسلام ضرورة الإيمان بالرسل جميعاً وبما جاءت به آيات أخرى حتى يمكن أن يطلق عليه كلمة مسلم : « لا نفرق بين أحد من رسله » ، لابد من الإيمان بالرسول الذي أرسله الله إليهم والإيمان كذلك بإخوانه الرسل الذين جاءوا قبله ودعوا الناس إلى ما يدعوا إليه رسولهم ما دامت دعوة الأنبياء في أصولها واحدة .

ثانياً : أن تكون مهمة الرسول السابق إذا جاء رسول جديد برسالة من عند الله قد انتهت ، أو توقفت وبدأ عهد رسالة جديدة وعلى الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعوا الرسول الجديد مع استمرار إيمانهم بالرسول السابق ، وسيجدون أن الأصول واحدة ولكن منهاج العبادة ورسومها والأحكام قد تغير بعضها ، فعليهم أن يعملوا بالأحكام الجديدة متبعين الرسول الجديد في ذلك فإن لم يؤمنوا بالرسول الجديد ولا بما جاء به حين ظهوره فإنهم حينئذ يكونون قد فرقوا بين الرسل وآمنوا بالبعث ورفضوا الإيمان بالبعث الآخر وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم مسلمون لأن الإنسان لا يطلق عليه كلمة مسلم إلا إذا آمن بالرسل جميعاً ، آمن بالسلسلة كلها ، فإذا رفض الإيمان بأحد منهم فإنه يكون قد قطع السلسلة ولا يطلق في هذه الحالة عليه أنه مسلم ولا أن دينه الإسلام . وهذه النظرة نظر سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون به إلى من لم يؤمن به ويقعه من اليهود وسماهم كفار ، فقد استمرت رسالة سيدنا موسى عليه السلام واستمر العمل بها حتى جاء سيدنا عيسى عليه السلام فبدأت رسالة جديدة يجب على الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعها ، فمن اتبعها وآمن بها وبالسابقين من الرسل عد مسلماً ومن رفضها كان كافراً ، فقد جاء على لسان سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن مخاطباً بني إسرائيل : « ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم . . . » .

وكان كفر اليهود بسبب رفضهم الإيمان بعيسى عليه السلام مع إيمانهم بموسى عليه السلام ، وسمى الذين استجابوا لعيسى عليه السلام وآمنوا به

مسلمين ، وكل من أسقط رسولا من رسل الله ولم يؤمن به ولو آمن بباقي الرسل جميعاً لا يسمى مسلماً لأنه قطع سلسلة الأخوة من الرسل وأسقط حلقة منها . ويقول ابن كثير في تفسيره : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » . إخباراً من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمسلم .

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر : لقد استند (المستشار العشماوى) إلى آيات عامة يفندوها ويحققها ، وهناك آيات أخرى كثيرة لم يشر إليها طبعاً ولم يضعها في حسابه إذ لو كان قد أطلع عليها لما كلف نفسه هذا المقال الطويل ، أو على الأقل كان قد استطاع أن يقطع بالقول الحاسم في هذا الصدد وهو أن جميع الموجودين حين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة مكلفون وملزمون بالإيمان به متى بلغتهم دعوته وأنه غير مقبول منهم عند الله أن يفرقوا بين أحد من رسالة ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض .

ورد على قوله : (إن الله ترك لأهل الكتاب الحرية في أن يؤمنوا « بمحمد » صلى الله عليه وسلم أو لا يؤمنوا فقال : إنه يرى أن أهل الكتاب لم توجه إليهم الدعوة وذلك قوله : غير أن الله ترك لأهل الكتاب - الجزية ... إلخ) .

ومفاد هذا أن القرآن لم يوجه الدعوة لأهل الكتاب ، ومن هنا لم يكن الإيمان بمحمد واجب عليهم ، وهذا كلام خطير ، وأن الإيمان بالله يعنى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فلا يتأتى الإيمان بالله دون الإيمان برسول الله الذى يتعين الإيمان به حيث يبعث .

* * *

الفصل الثامن

إعادة النظر في كتابات التغريب

تنوعت تيارات التغريب وتوزعت ولم تترك مجالاً من مجالات الفكر أو الفلسفة أو الأدب إلا وقدمت فيه سمومها وهذه طائفة من هذه التحديات نكشف عنها ونعريها حتى لا ينخدع بها بعض من يقرأها .

أولاً : دعاوى المهجرين : فيليب حتى ، وميخائيل نعيمة :

بدأت بذور التغريب في كتابات المارون اللبنانيين الذين وفدوا إلى مصر وأنشأوا الصحافة التي كانت في حماية النفوذ الاستعماري في المؤسسات الثلاث الكبرى : (الأهرام - المقطم - الهلال) وقد عرضنا لهذا في الباب الأول ، ثم كان للمهجريين دورهم : جبران ، فيليب حتى ، ميخائيل نعيمة ، جبران ومن أهم هؤلاء فيليب حتى المتوفى عام ١٩٧٨ ، فقد كتب تاريخ سوريا ولبنان من وجهة نظر العرقية المارونية الفينيقية ، فقد نشأ في أحضان الجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم أرسل إلى جامعة كولومبيا ، ثم عمل في جامعة بريستون أستاذاً لتاريخ العرب والمعروف أن الولايات المتحدة أولت اهتمامها بشئون المنطقة منذ وقت بعيد ومن ثم اهتمت جامعاتها بدراسة اللغة العربية ، وأدائها ، وتاريخ المنطقة وأوضاعها (فيليب حتى ، سوريال عطية ، مجيد خلدوري) وكانت جامعة بريستون أول جامعة أمريكية تعترف بأهمية الدراسات العربية الإسلامية وتوفر فيليب حتى على ريادة هذا الميدان الذي حظى بأهم مؤلفاته :

- * تاريخ العرب المطول والمختصر .
 - * تاريخ سوريا بما فيها لبنان وفلسطين .
 - * صانعوا التاريخ العربي .
 - * لبنان في التاريخ .
 - * الإسلام أسلوب حياة .
 - * الإسلام والغرب .
 - * أصول الدروز والديانة الدرزية .
- وقد ترجم كتاب (تاريخ العرب المطول) إلى أغلب لغات العالم (طبعة

خاصة لنحيش الأمريكي وهو يحول كل أمجاد الإسلام إلى العرب : العرق ،
العلاقات بين الشرق والغرب ، المؤثرات الغربية .

ومن أخطائه أنه يربط الفتح الإسلامي بالواقع الاقتصادي وعادات
العرب قبل الإسلام ، وهو يمتضى في نفس طريق المستشرقين فيقول :

ليست الإثرة الدينية والتعصب ماحداً بالعرب إلى تدويخ الدول وفتح
الأمصار وإنما هي الحاجة المادية التي دفعت معاشر البدو وأكثر جيوش
الفتح منهم إلى وراء تخوم البادية الفقراء إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال
وهذا المفهوم دحضه مفكروا الإسلام وكشفوا زيفه .

ويذهب في عرض الإسلام فهماً خاطئاً في كتابه (صانعوا التاريخ
العربي) وغيره ، فيرى أن بعض النصاري من أهل أوروبا وأهل الشرق
تكون عندهم في العصور الوسطى رأى يستند إلى أن ما بين الإسلام واليهودية
والنصرانية من تشابه مؤداة أن الإسلام بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً ،
وأن الإسلام من جميع الأديان الأخرى أقرب دين إلى المسيحية ، وليس هناك
شك في خطأ هذا الرأي وفساده ، وهو يعتبر الكندي وابن سينا وابن رشد
فلاسفة على مفهوم الغرب ، ، ويدحض ما يقال : من أن ابن خلدون قد
أثر في الفكر الغربي ، وأنه حين اكتشافه الغرب كان الذي يمكن أن يؤثر
في الفكر الغربي قد ولى بحكم أن العلوم الاجتماعية التي عالجها كانت قد
انتظمت في الغرب ، وذلك برغم سيقه للعلماء الأوربيين في فلسفة التاريخ
وتنظيم العلوم . وهذا الكلام غريب والمنصفون من الباحثين الغربيين
أمثال توينبي وغيره يعترفون بفضل ابن خلدون ، بل ويعتبرونه مؤسس
علم الاجتماع ، وفي كتابه (صانعوا التاريخ العربي) وقع المؤلف في أحابيل
الإقليمية السورية بدرجة عامة واللبنانية بوجه خاص ، فهو يذهب إلى أن بلاد
الشام قد حافظت على طابعها المتميز الذي أثرت فيه طبيعتها الجبلية وقربها
من البحر واتجاهها إلى الغرب وطابع سكانها وهو بذلك يبرر قيام هذا
الكيان الاستعماري ، وقد نبه الباحثون إلى خطورة هذا التفسير الإقليمي
للتاريخ ملفتين النظر إلى التداخل التاريخي بشقي أقطار الأمة العربية وأن
سوريا ، مصر ، العراق لم يكن لها تاريخ قائم بنفسه إلا في فترات قصيرة

بسبب من طورها ولا تستطيع أى وحدة بشرية في الشرق أن تدعى البقاء
أو الانفراد بإنجازات تحضها وحدها .

وترد مسئولية هذه الاتجاهات الاستعمارية الغربية في تعميق هذه التيارات
الانعزالية بقصد تفتيت المنطقة العربية إلى قطع فسيفاء إقليمية من شأنها
أن تبعد احتمالات الوحدة التي تشكل خطراً على مصالح كل من يقيدون
من انقسام الوطن العربي .

ولقد كان فيليب حتى من دعاة الإقليمية وفصل العروبة عن الجامعة
الإسلامية كما يدعو إلى فصل الدين عن السياسة، جرياً وراء هدف الفينيقية
اللبنانية الكاره للروابط العربية والإسلامية .

ومن أخطائه أنه يدعى أن الذين قادوا النهضة العربية الحديثة هم اللبنانيين
الذين قدموا إلى مصر فانشأوا بها الصحف وتلك قضية قد عرف فيها وجه
الحق ، وإن أغلب هؤلاء كانوا أولياء النفوذ الغربي وكانوا كارهين للعروبة
والإسلام والدولة العثمانية .

وهو يشيد بما أسماه نشوء النهضة القومية العربية لأنها نشأت في أحضان
المارونية ومعاهد الإرساليات التبشيرية لتمزيق الوحدة الجامعة التي كانت
تمثلها دولة الخلافة .

(٢)

أما ميخائيل نعيمة فقد كانت كتاباته قائمة على تطعيم الأفكار الماسونية
إلى القصص والأدب العربي .

ولقد كان مريضاً أن يتغلغل في عقائد سحيقة في القدم ليظهر أن الماسونية
وثيقة الوشائج بما اهتدى إليه قدماء المصريين والكلدانيين والهنود والفرس
والعبرانيين واليونان التي كانوا يخلقونها بشيء من الرموز حرصاً عليها من
الفساد بين أيدي الجماهير ، ومن ذلك اهتمامه في مذكراته (سبعون)
بما أسماه كتاب (الآداب والعقيدة) *morals and dogona* الذي
جمعه ووضع ماسوني كبير وهو بحث مستقبض للعقيدة الماسونية ؛

وفيه شرح واف للرموز الكثيرة التي ترافق كل درجة من درجاتها من أمثال الخنفساء الذهبية ، والحية والسمكة والثور الذي يحمل على قرنيه الشمس والثور المجنح ، وأبو الهول والأهرام والمثلثات والمربعات والمكعبات والدوائر والأعداد المقدسة (٣ / ٧ / ٩) هذه التي تحولت (أديانها وعاداتها إلى طقوس متحجرة ومراسم لا روح فيها وهو يتحدث عن عالمية الباطنية والمحوسية القديمة ، فتحدث عن الأهرام ومعابد الأقصر ، والذين ألفوا المهراتانا والرامايانا والزندافستا واللياذة والذين خلقوا الأساطير والفنون والفلسفات اليونانية والذين حملوا إلى الناس التوراة والإنجيل . . إلخ) .

ومن هنا تستطيع أن تحكم على كل كتابات (ميخائيل نعيمة) وجيله والسموم التي قذفوها إلى الفكر الإسلامي : التشكيك واللا أدبية وإنكار الأديان ، والسخرية بالمقدسات والمفاهيم الإباحية التي أذاعها جبران ونعيمة وغيرهما .

أما (جبران خليل جبران) فقد كان صوتاً من أصوات الكراهية للإسلام والعرب والدين والأخلاق جميعاً ، وقد صنعت له القوى الأجنبية كل صنيع لنشره وتعليق شباب المسلمين به ، واليوم وقد مر على موته أكثر من خمسين عاماً فإنهم ما زالوا ينفخون فيه ، ومع الأسف فقد تجاوز الأدب العربي هذا اللون التغريبي الذي كان موضع إعجاب الشباب في الثلاثينات أما الآن فقد تكشف الكثير حول زيف الأدب المهجري الشمالي .

لقد كانوا خادمين لأهداف تغريب الشباب المسلم العربي ، ويشير حادث طه الراوى إلى أن جبران عاش حياته كلها ولم يتحدث بكلمة واحدة عن فلسطين أو التنديد بوعد بلفور عام ١٩١٧ وبلاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العربية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار . ويتساءل : لماذا التنديد بالاستعمار الفرنسى الغاشم يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ وتجنب التنديد بالاستعمار أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، وإذا قيل : إن جبران كان بعيداً عن السياسة فهو قول مردود ، لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثماني ، وكان من ألد أعداء العثمانيين ، لقد أراد جبران أن يكتب للإنسانية في عهد طاغور وبرناتشو وويلزورسل

فلم تكن الإنسانية في حاجة إلى قلمه في ذلك العهد ، بل كان وطنه العربي في أمس الحاجة إلى قلمه السيل .

ثانياً : سموم موزعة على أقلام كثيرة :

عندما تطالع صفحات الأدب العربي وكتابات ذلك الجيل الذي يسمونه الرائد نجد سموماً موزعه ، نجد الدكتور أحمد أبو شادي مؤسس جماعة أبولو يقول : سعيانا لتأسيس هيئة ثقافية ودية قوية النفوذ باسم الاتحاد الإنجليزي المصري The avglo Egyptian union لتوطيد الثقة وحسن التفاهم بين الشعبين ، فإن هذه المهمة تساوى في قيمتها العالمية جيشاً بأسره وليس من سارعوا إلى نفع عملنا هذا وكتابتنا في الصحف الإنجليزية والمصرية إلا واحمين ، حينما يتصورون أنها دعاية متأثر بالثقافة الإنجليزية يرتقى في أحضان الإنجليز . (مجلة أدبي عام ١٩٣٦)

في إبان للصداع السياسي بين مصر المحتلة وبريطانيا المستعمرة لمصر نجد هذه الدعوى وتجد صاحبها يقود فريقاً من الأدباء عن طريق الشعر وينشئ عدداً من المجلات .

٢ - وقرأ هذا النص أيضاً الذي نشرته كتب المطالعة للمدارس الثانوية عن قاسم أمين :

إن قاسم أمين لم يتقيد في قضائه ببراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادق هذا النص مكان الاقتناع منه ، وهذا مما جعله ميالاً للرافة في قضائه نافرأ أشد النفوذ من حكم الإعدام ، فقد كان يرى أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما ينفع لإصلاح المذنب ، وأن معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر ، وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هي أحسن ما يعالج به السوء ، ويفيد في إصلاح فاعله ، وأن الخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل لاستغرابه والحال الطبيعية اللازمة لعريضة الإنسان .

هذا الكلام ما معناه ؟ معناه إنكار الشريعة الإسلامية والجرى وراء مفاهيم الماسونية والصهيونية من أن المحرم لا ذنب له ، لأن أعصابه ليست

من صنعه أو أن المجتمع هو الذى دفعه إلى الخطأ وهو معارض لمفهوم القصاص الإسلامى حيث يقول الله تبارك وتعالى : « ولکم فی القصاص حياة... » .

٣ - وحين تمضى فى طريق التغريب تجد طه حسين ، ساطع الحصرى فى العراق فى وقت واحد ، والعمل واحد ، والغاية واحدة ، يقول السيد محب الدين الخطيب : دعوة ساطع الحصرى موبوءة بالجراثيم اللادينية المنتشرة فى تركيا ، واستفحل خطرهما أيام الاتحاد والترقى ، ثم تحولت إلى الكمالية . إن ساطع الحصرى هو (قلب) العصر العراقى مؤسس معارفه فى العشرين سنة الأخيرة ، جرّد ثقافة العراق العربية من روح الإسلام ، وطه حسين يدعو إلى التباعد عن العروبة إلى أوروبا وساطع الحصرى يرى العروبة بديلاً عن الإسلام (الفتح سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤١ م) .

٤ - ونجد الطريق ملغماً على طول الطريق :

سلامة موسى يلتقى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية بدعوى وجوب مساواة المرأة للرجل فى الإرث أينما كان مصدره ، بناء على أن الإسلام ظلمها بتفضيل الرجل عليها ، وقد تمكن من نشر هذه الدعاية فى مجلة الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨ وأخلفت ظنه جمعية الاتحاد النسوى المصرى ، إذ حاول إغوائها بإغرائها بالمطالبة بهذه المساواة ، فكتبت هدى شعراوى ، يومئذ رداً عليه صرحت فيه بأنه ليس من موضوع هذه النهضة النسائية الخروج على الشريعة .

ثم جاء محمود عزمى فأعاد هذه الدعاية فى مناظرة له فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية واستند فيها إلى شهادات عاطلة ، ودعاوى باطلة يتبين فسادها بالبرهان ، وأنكر الأمير عمر طوسون على الحكومة السماح للملاحدة بمثل هذا الجهر فى الطعن على الإسلام والدعوة إلى ترك نصوصه القطعية فى مدارسها الرسمية .

٥ - وننتقل إلى نص آخر ، الأستاذ محمد عبد الله عنان يكتب فى نوفمبر عام ١٩٥٨ بأنه قابل البابا ثلاث مرات ، البابا بيوس الثانى عشر ، عرفه قبل أن يرقى عرش البابوية (كان اسمه أوجينيو باتشيللى) ويوم أن كان وزيراً

للدولة في عهد سلفه البابا بيوس الحادى عشر وعرفه وهو يتشع بحلال البابوية في أعظم مناسبة للمجالس على عرش القديس بطرس وهو السنة المقدسة .

وأشار إلى معاهدة ليران (لآرانو) عام ١٩٣٠ التى انشئت بمقتضاها مدينة الفاتيكان واستردت البابوية نفوذها الدينى وسلطتها الزمنية على الدولة البابوية الجديدة (أعنى مدينة الفاتيكان) .

والمعروف أن معاهده ليران هى التى رسمت الخطة الواسعة الخطيرة التى عرفها المسلمون والبلاد العربية لحركة التبشير التى انتشرت في مصر وسوريا والعراق عام ١٩٣٢ وما بعده وكان لها دوراً كبيراً في تنصير كثير من المسلمين .

وقد عرف الدكتور محمود عزمى والأستاذ محمد عبد الله عنان بالدعاية للكيان اليهودى الذى كان ما يزال يتكون في فلسطين في هذه الفترة .

ثالثاً : تأييد الصهيونية :

ولقد كتب محمد عبد الله عنان في وقت باكر يؤيد الزحف الصهيونى على فلسطين حيث دعا إلى قبولهم ، ومال مع الصهيونية بكثير من الإشادة بذكورهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم في فلسطين ، وما وراءهم من قوة يهودية وغير يهودية في الخارج ، حتى كاد يلقى في فهم القارئ أن الصهيونية في طريق الفوز والنجاح نهائياً دون أن يتوجه إلى أهل فلسطين العرب بانصافهم في ما لهم من حق طبيعى في بلادهم ، بل من حق كامل في دفع الصهيونية دفعاً مشروعاً (وقد رد عليه باحث عربى مفصلاً) . قال الأستاذ عنان : إن الأساطير اليهودية تقول : إن (البراق) هو البقية الباقية من هيكل سليمان ، وترى فيه التقاليد اليهودية الدينية أثراً من أجل آثار إسرائيل ، وكان مأمولاً منه ألا يمر على الأساطير دون أن يضع إلى جانبها الحقيقة ، هذه الحقيقة تختص بعلماء الآثار ومهرة المماريين ، أكثر مما تختص بالأساطير ، فعلماء الآثار ليس منهم من يقول : بأن أى قسم من الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف يرجع في بنائه إلى زمن سليمان ، بل المتفق عليه قطعاً أن هذا الجدار بنى في زمن لاحق ومن الذين يذهبون إلى القطع بأن هذا الجدار ليس من بقية

المهيكل المستر جار شنج مدير دائرة الآثار في حكومة فلسطين سابقاً ، والمستر اشى الذى اشتغل في حكومة فلسطين أربع سنوات وهو من أكبر المعمارين الثقاة ، فرغم اليهود أن الجدار يعد بقية من الهيكل ساقط أساساً لأن علم الآثار والمعمارية ينفيان ذلك نفياً باتاً .

٢ - أن محل مؤاخذه الأستاذ عنان أنه في كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع في مقابلها الحركة العربية والثورة العربية في الحرب العامة وقطع الإنجليز العهد تلو العهد للعرب ، أنهم مستقلون بعد الحرب في ديارهم .

وقد كان العرب تسيل دماؤهم في أباطح الحجاز إلى مشارف الشام إلى سفاح جبال طوروس قبل أن جاء وعد بلفور ، فكيف وقف الأستاذ حيال الحركة اليهودية معجباً وهى ترمى إلى سلب بلاد من أهلها بمساعدة الدولة التى تأجرت بدماء أهل البلاد العربية .

٣ - ويقول عنان : إن بعض الغلاة ما زالوا يفكرون بعقلية العصور الوسطى ويحاولون الدعوة إلى نظريات ومشاريع خيالية مثل فكرة الجامعة العربية والجامعة الإسلامية .

والجواب : على هذا أن الجامعة الإسلامية يراها أربابها على الوجه الذى لا يراها به الأستاذ عنان ولهم في معناها في هذا العصر ما يقنع الأستاذ إذا أراد ذلك .

٤ - مهاجمة عنان في القومية الإقليمية بقوله : قومية سورية وقومية عراقية ، ذلك أنه إذا أريد حصر معنى القومية بكل إقليم على حدة كان ذلك كذباً على مفهوم القومية التى تحدد وحدة المصلحة للأمة الرابطة بعضها ببعض في بلاد معينة تربط اللغة والدين والثقافة ، وفوق كل ذلك - الجنس والعرق .

وكتب باحث تحت عنوان : هل عبد الله عنان يهودى صهيونى ؟

قالت : قرأت مقاله عن الصهيونية فلم يعترينى شك في أنه ليس يهودى فقط ، بل من غلاة الصهيونية . كنت أظنه مؤرخاً صادقاً يشرح وجهة نظر العرب في ناحية ، ووجهة الصهيونية في ناحية أخرى ثم يقضى على ذلك بالحقائق التاريخية والمكتسبة للعرب ، ولكنى وجدته خص نفسه بشرح

نظرية اليهود وأطرح أمر العرب وزاد الطين اتساعاً بدفاعه المستمر مرة ، والمنكشف مرة أخرى عن القضية اليهودية ، واعتقدت أنه إما معتنق مذهب الصهيونية يعطف عليها ويدافع عنها ، وإما ذو هوى في خدمة مصالح اليهود فراح يتهوس تحرقاً على قوميتهم ويؤسفني أن أخط هذا لأنى لست أفهم سر هذا الدفاع وينسى أو يتناسى . إن فكرة الوطن القومي اليهودى اشترت بأموال اليهود فى الحرب العظمى ، واستغلال ضعف العرب ، فأراد الصهونيون أن يغتصبوا أرضهم وأموالهم بدون مسوغ من القوانين الوضعية والحقوق الدولية .

وبينما فلسطين بحر من الدماء واليهود يتحرشون بأهل البلاد العزل من السلاح والعالم الإسلامى يصبح من هول المأساة ، إذ بهذا الكاتب وزمرته يقولون ما لا يعلمون ، وأشار إلى نقل النصوص من ناحية اليهود وحدهم وقال : أليس هذا التصوير الزائف يوهم القارئ أن العرب هم البادئون بالعدوان وأن اليهود أصحاب حق ، وأنت تعرف بإعنان اليهود متى تعرف كيف جمع اليهود من شذاذ الآفاق وأنصار البلاشفة ، وقيل لهم : تعالوا فى البحر الميت ماء من غسل مصفى ، فلم يجدوا وسيلة إلا أن يكونوا مغتالين ودعاة فتنة يهودية أو بلشفية فى هذه البلاد الإسلامية الآمنة ، هل الأستاذ عنان يعمى أو يتعمى عن أصل الصهيونية وطغيانها ؟ (نشرت هذه الكلمات فى جريدة السياسة الأسبوعية عام ١٩٣٣) .

رابعاً : العلمانية :

وفى هذا المجال نجد كثير من الإشارات :

١ - نجد إسماعيل مظهر يحاول أن يقدم نظرية دارون على نحو آخر مختلف بعد أن عجزت طريقة (شبلى شميل) ، فقال : إنه يحاول أن يقدم هذا المذهب المادى محاولاً أن يصرف عن الدعوة معارضة الدين وبعيداً عن مغالاة (بنجر) الذى ترجم عنه شميل وعنف شميل نفسه ، فكتب (ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء وأثره فى الانقلاب الفكرى الحديث) يقول : رأياه مخالفاً للدكتور شبلى شميل فى اتخاذ مذهب النشوء ذريعة لإثبات المذهب المادى . وقد حمل إسماعيل مظهر على هذه الطريقة وعد

أصحابها متعصبين لفكرهم وأورد من الإله ما يريد به أن يثبت أن مذهب النشوء برئ مما يصمون به وهو أنه يؤدي إلى تقرير المذهب المادى .

٢ - ويواصل دعاة العلمانية سموهم فنجد الدكتور محمد مندور يقول : إن الثقافة العربية مزيج من عنصر عبرى وعنصر فارسي وعنصر يوناني يقول : في القرآن وفي الإسلام ما لا يخص من مبادئ التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة الشرقية ، وفي الحضارة العباسية كثير من وسائل الحياة الفارسية ببذخها ومظاهرها المادية وتياراتها الأخلاقية والفكرية في بعض الأحيان ، أما اليونان فأظن أن تأثيرهم في الفلسفة الإسلامية والمنطق الإسلامي وعلم الكلام واللغة والنحو والبلاغة أوضح من أن يذكر .

هذا الذى قاله الدكتور مندور كذب وتضليل ، من أوله إلى آخره ، وهو ما يعلمونه لهم في أوروبا حيث يقعوا في أيدي المستشرقين الصهيونيين المتعصبين في فترة الثلاثينات حينما كان يوضع ذلك المخطط المسموم للغزو التلمودى للفكر الإسلامى بالإضافة إلى الغزو العربى المسيحى .

والحقيقة أن الفكر الإسلامى لم يتكون من عناصر عبرية أو فارسية أو يونانية ولكنه تكون من عنصر واحد هو القرآن الكريم كلام رب العالمين المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده مصدر الفكر الإسلامى الحقيقى ، وأن كل ما دخل إلى الفكر الإسلامى من مترجمات اليونان أو غيرها فإن الفكر الإسلامى بأصالته وذاتيته الخاصة كان قادراً على رد ما اختلط فيه بالوثنية وأساغ ما وجدده صالحاً وحوله إلى كيانه حين صنع منهجه الأصيل : المنهج العلمى التجريبي الذى لم يعرفه الفرس ولا الروم ولا اليونان ، ولا العبرانيين .

خامساً : الماركسية :

١ - ثم تأتى موجة الماركسية وتحاول أن تطغى على الفكر الإسلامى فنجد الماديين الذين يحاولون أن يصوروا منهج الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامى كله تصوراً مادياً ، ينكرون المعنويات وينكرون الغزائم والإيمان ، فتذهب قواد زكريا إلى القول : بأن ما حدث من نصر في رمضان لم يكن

إلا مادياً صرفاً وأن هذه القيم المعنوية النفسية ، وصيحة الله أكبر لا قيمة لها ولا تقدير في نظرهم ، والهدف من هذا هو فصل المسلمين في الحاضر عن قيمهم وتاريخهم وعقيدتهم مما يسمونه القديم أو التراث ، ويرون أن النظرة المستقبلية لا يمكن أن تكون إلا ماركسية وكذبوا فإن المسلمين لهم منهجهم الأصيل وقيمهم الربانية القرآنية التي بنوا عليها حياتهم في الماضي وسينون عليها حياتهم في الحاضر والمستقبل ، وهم يعرفون الفرق بين الميراث الذي هو الإسلام وبين التراث الذي هو التاريخ ، ويؤمنون بأن التاريخ ليس عبثاً وأنهم ليسوا منقادين له أو خاضعين ، وأن تطلعهم الحقيقى موجه نحو المنهج الإسلامى الأصيل مع أساليب العصر وعلومه .

ويحاول الماركسيون أن يقدموا تلك الصور الغربية عن بروميتوس ، ونيثشة وهكذا تكلم زرادشت وغيرها في محاولة لإقصاء الشباب المسلم عن التعرف على أصالته فكرة وظناً بأن هذا الذى يقدمونه سيحول شباب الإسلام إلى الغرب أو إلى الماركسية .

٢ - وبعد نكسة عام ١٩٦٧ ظهر كتاب عصريون غربيون يلبسون لباس الماركسية والمادية أمثال صادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الدينى)

وهو حين يتناول الدين في هذه المرحلة بالذات يعمل كما يقول دكتور كامل سفعان في إطار سياسى مرسوم يقصد به التشكيك والبلبله الفكرية وصولاً إلى تمزيق الوحدات الاجتماعية وإلى الشعور بالاغتراب وإلى الجفاف الروحى وإلى الفكر المادى ونحن نعرف هجوم الشيوعيين على الدين باعتباره القوة الوحيدة التى تقف في وجههم ، وتعرف حملتهم عليه ووصفه بكل الصفات الغاضبة السكرية ، وظنهم أن النكسة هى فرضتهم لتصفى البلاد العربية علاقاتها مع الإسلام وتستسلم للماركسية ، مع أن العكس هو الذى حدث ، وأن العرب والمسلمين تعلموا أن هذه التجربة التى قادها بعض الزعماء قد فشلت ، كما فشلت التجربة الليبرالية من قبل ، وأن الطريق الوحيد أمام المسلمين ليس سوى طريق الله الحق : الإسلام .

ومهما قالوا : من أن الإسلام يعزى القوى الرجعية والمتخلفة ،

أو المحافظة فإن هذا كله لم يعد يهز شعرة واحدة في النفوس التي آمنت به وخلعت كل ما كان يمر بها من إحساس بأن أى منهج آخر يستطيع أن يحقق للمسلمين مجتمعاً كريماً ، ومهما قالوا : بأن الآخرة رؤيا خيالية ، ومهما أنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب فإن هذه الصيحة أصبحت غريبة الآن في مجتمعات المسلمين ولم تجد غير السخرية من قابليتها .

وأن كل ما يحاولون لصقه بالإسلام هو من التحديات التي واجهت المسيحية في الغرب أبان النهضة والأمر هنا مختلف تماماً ، فالإسلام هو صانع الحضارة ومنشئ المنهج العلمى التجريبي وليس بينه وبين العلم أو الحضارة أى صراع يمكن أن يصور بأنه صراع الكرادلة أو الحكومة الثيوقراطية .

٣- ولا يكف الدكتور حسن صعب عن دعواه الممجوجة ، فهو واحد من دعاة التغريب يحاول ويؤازره آخرون الدعوة إلى صهر العقل العربى (الإسلامى الانتماء) فى العقل الغربى ، وكتابة تحديث العقل العربى يدعوا إلى تغريب الفكر الإسلامى ونقله من أصوله الأصيلة إلى مسيحية مقنعة .

وأن ما يحاوله حسن مصعب لن يؤدى إلى شىء ، شأنه فى ذلك شأن محاولة زكى نجيب محمود . إن هذه العقول المادية لن تستطيع أن تفهم الوحدة الجامعة فى الإسلام بين المادة والروح والعقل والقلب ، والعلم والدين .

سادساً : سموم المنهج الغربى :

وحيثما تتلفت تجد دعاة التغريب :

(عبد العزيز القوصى) فى محاولة هدم اللغة العربية وبيانها بواسطة طريقة (شرشر) المستوفية ، ودعوته إلى إذاعة مذهب ديوى المفرغ من الأخلاق والدين وفرضه على المدرسة العربية ، سواء فى مصر أم فى أى بلد عربى ذهب إليه .

وهذا الدكتور أحمد زكى قبل أن يرأس تحرير مجلة العربى فى هجومه

العاصف على العروبة ودعوته إلى الإقليمية وتشكيكه في وحدة العرب واللغة العربية ، تهديماً حتى لا ترتبط الأمة بالإسلام ولا ترقى ليتحدث عن الوحدة الإسلامية .

لقد صال في ذلك وجال في مقال طويل بجريدة المصري في ١٣/٥/١٩٥٠ تحت عنوان : ما العرب وما الفراعنة ؟ إنما نحن قوم مصريون ، ونجد الدكتور عبد الملك عودة في كتابه الكتلة الإسلامية الصادرة عام ١٩٥٥ ينقد بشدة إمام جامعة إسلامية على أساس مناقشة الفلسفة لدعوة الكتلة الإسلامية وإبراز أن الطريق هو :
(القومية - العلمانية - الديمقراطية) .

وتلك هي محاولات وراء محاولات ترمى إلى هدم الوحدة الإسلامية الجامعة ، وقد احتط لهم على عبد الرازق ، طه حسين الطريق فتخاضوا فيه .
سابعاً : الشعبوية :

وترى شعبوية القضيبي ، وخالد محمد خالد ، ومحمود الشرقاوى (الدين والضمير) في كتابات مرتبطة أخطرها دعوة الشرقاوى إلى ما أسماه الضمير بدلا من الدين حيث يرمى إلى نشر السموم التالية :
- ترك الصلاة والتكاليف الأخرى اكتفاء بالضمير .
- تأييد قول ابن الرشيد : إن الدين للعوام لا للخواص .
- قول ابن رشد : ما يوجد وراء الدين خرافة .
- قول الفلاسفة : إن الأنبياء جهلة ومضلون و . . .
- قول المعري :

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطره
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكذبوه
- الأفضل أن يكون الإنسان خيراً فاضلاً أصيل جوهر النفس ولو لم يلتزم ما أمرت به العقيدة .

ولا ريب أن هذا كله من كلام الباطنية وفلاسفة الجوس وأن محمود

الشرقاوى كان مكلفاً بهذه الدعوة ممن كتب عنهم كتباً كاملة من بعد ، فقد كان يسير فى ركاب سلامة موسى ، وكانوا يهدفون أن يذيعوا هذه السموم عن طريق قلم إسلامى فلم يجدوا غيره من الضالين المضلين .

وعلى طريقه مضى خالد محمد خالد فى كتاباته (فليحرثوا فى البحر) .

وكان عبد الله القضيبي هو قائد هذه المدرسة فى كتبه المتعددة وفى مقدمتها كتابه (هذه هى الأغلال) (١) وغيرها من الكتب التى تنموج بالأفكار العاصفة .

وفى مجال الأدب نجد المخربين أمثال نزار قباني ، ومحمود درويش ودعوة عريضة إلى إفساد الشعر العربى يحمل لوأها يوسف الخال داعياً فى صراحه إلى إخراج الشعر العربى عن إطاره وأسلوبه ومنهجه وذلك حين يكتبه من وجهة نظر مسيحية مباشرة وهذا ما لم يفعله أى شاعر عربى فى الماضى . وأبرز نموذج لشعره هذا : قصيده العشاء الأخير .

أصدر مجلة (شعر) فى يناير عام ١٩٥٧ وتخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت أما نزار قباني فشاعر هدام لا يحوى من الأفكار إلا ما هو ساقط وضار ، فهو إما تراه يتحدث عن المرأة والخدع ويردد أفكاراً تشجع على الرذيلة والانحطاط الخلقى ، وإما يروج لأفكار هدامة تشيع اليأس والقنوط فى نفوس الأمة (عبد الله بن إدريس) .

وهو يحمل مشاعر الجاهير فى شعر غير مقفى لإقناع الجاهير وإدخال هذا النوع عليهم من خلال مفاهيم يعجبون بها مع أن أمانته للتغريب أقوى من عرضه للوطنيات فى محاولة خادعة مأكرة .

ولقد حاول بعد نكسة عام ١٩٦٧ أن يصور نفسه بصورة البطل ، وهل يستطيع نزار قباني وهو صريع الشهوات أن يكون شاعراً وطنياً يوقظ الأمة بعد حوادث عام ١٩٦٧ ، وأنى له ذلك وهو من مصادر الهزيمة الحقيقية ، فقد كان شعره من علامات الانهيار والتدمير ، وكيف يمكن أن يوصف

(١) ناقشنا كتاب هذا الأغلال ، وكتاب الدين والضمير وكشفنا زيفهما فى كتابنا (الإسلام والثقافة العربية) .

نزار بأنه من الشعراء الغاضبين ، كما يحاول أن يصوره داعية من دعاة الانحلال والماركسية ، وكيف يمكن أن يكون نزار قباني من عوامل الهزيمة ثم يجيء ليهاجم المهزومين ، ويصور نفسه بطلا وهو من عناصر الهزيمة ، أنه ينتهر القصر للظهور في كل المناسبات فإذا كانت الحياة منطلقة على طبيعتها كشف عن ذيول الإباحيات ، وإن كانت الحروب وقف في صف الأبطال الكاذبين .

إن شعر نزار قباني السياسي لا يمكن أن ينفصل عن شعره الإباحي وهو وعاء لترويجه ، ولن يستطيع مثل هذا النموذج أن يكون إباحياً ووطنياً في وقت واحد (وإنما هي حيلة دعاة الشعورية من أمثال القصاصين والشعراء) وهل يقبل عقل أن يقارن رجاء النقاش بين نزار قباني وبين شكسبير أو المتنبي فأين من أين ، أو مقايسته بالمعري وغيره فيها إسراف كبير من جانب النقاش لقباني وكلاهما من رواد الحركة المسرحية في مصر في العصر الماضي .

أما محمود درويش فهو حامل العلم الشيوعي في المؤتمر الشيوعي في رومانيا ، وكتابات الشعرية مضحية ضالة ، لا تفصح عن وطنية ولا عن رجولة ، وهو خدام للفكر التغريبي تحت أى لواء .

أما مصطفى حسين فإنه ليس مفسداً في الكاريكاتير فقط ولكن في دعوته إلى العامة الرديئة المليئة بعبارات الصلف والسخافة ، فهذه حرب للغة العربية على نطاق يومي واسع في جريدة توزع مئات الألوف وقرأها الشبان والفتيات ويقلدون عباراتها .

إن مشكلة العامة ليست هي فقط في كتابة المحلات الهزلية وإنما هي في اختلاق ألوان جديدة من العبارات التي لا تطابق أسلوب العربية الفصحى .

ثامناً : التبعية :

ومن الظواهر العجيبة أن يخضع بعض الأزهرين إلى الفكر العلماني إرضاء للعلمانيين في الصحافة ورغبة في الحصول على المراكز الدنيوية الزائلة ، فيقول محمد فهمي عبد اللطيف : (ثم جاءت الأديان) بعد أن تحدث عن مصر القديمة ، فهل جاءت الأديان بعد أن صنع علماء مصر القديمة العلم

أم أن الدين هو الذي وجههم إلى فهم العوالم في تحركها وثباتها ؟ الحقيقة أن أول ما يتعلمه من درس في الأزهر أن الدين جاء مع أبينا آدم ، ثم مع نوح ومضى مع كل العصور حتى ختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الذين يقولون : (ثم جاءت الأديان) إنما هم العصريون المخدوعون بمفاهيم التلمود والصهيونية الذين يدعون أن اليهودية هي أول أديان التوحيد .

ويتحدث فهمي عبد اللطيف عما يسميه (أسبوع الآلام) ليرضى موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار وعباراته توحى بأنه يؤمن بصلب السيد المسيح وبذلك يكون قد خرج على حقيقة أساسية من حقائق الإسلام . فإن السيد المسيح لم يصلب وكل ما يقال عن أسبوع الآلام لا يقره الإسلام . يقول : يحلو لى دائماً أن أعيش أسبوع الآلام مع إخواننا الأقباط وفى أسبوع الآلام ترسم خطوات المسيح والآلام التى عاناها فى سبيل عقيدته ورسالته .

وفى العهد القديم كان كل المصريين المسيحيين منهم والمسلمين يعيشون أسبوع الآلام على صعيد واحد يستشعرون فى الألم الإنسانى الذى يشعرون بالحياة ويملاً نفوسهم بحب الإنسانية والعطف عليها ، خميس العهد الذى يملأون فيه إناء من ماء . . . إلخ ، فهل هذا كلام يقوله مسلم متخرج من الأزهر ؟ الحقيقة أن فهمي عبد اللطيف قد حاول إرضاء العلمانيين الذين يعمل ومعهم تكلف كثيراً على حساب عقيدته .

والنماذج كثيرة من هذا النوع ، وكلها توحى بهذا الانحراف نحو مفاهيم وافدة ، تنشر فى الصحف بين أيدي الشباب المسلم الذى يظن أنها حقائق ، وكان علينا أن نكشف عنها حتى نعرف المخططات التى يرسمها أعداء الإسلام .

أنور الجندي

هذا وبالله التوفيق .

فى متابعة هذه الدراسات :

- (+) الصحافة والأقلام المسمومة .
- (++) الشعوبية فى الأدب العربى المعاصر .
- (++) شخصيات اختلف فيها الراى .

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

الباب الأول

٥	مقدمة
٢٣	قضايا مثارة في ضوء الإسلام
٢٥	الفصل الأول : الشريعة الإسلامية (فتحي غاتم - روز اليوسف)
	الفصل الثاني : عقيدة ومناهج وحياة (محمد خلف الله - فؤاد
٣٣	زكريا - حسن حنفي)
٣٩	الفصل الثالث : مفهوم الإسلام للفن وقضاياها
	الفصل الرابع : المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية - عبد الحميد
٤٧	الكتاب : أخبار اليوم
٥٥	الفصل الخامس : كتاب الإسلام وأصول الحكم
٥٥	ليس من تأليف علي عبد الرازق بل من تأليف مرجليوث
٦٣	الفصل السادس : الذاتية الإسلامية ومعركة المحافظة عليها
	الفصل السابع : مصر عربية إسلامية - محاولة للقضاء على الانتماء
٦٩	العربي الإسلامي
	الفصل الثامن : استعلاء موجة الجنس في الأفلام والمسرحيات
٧٣	والمسلسلات
٨٠	الفصل التاسع : حقيقة القمم الشوامخ والعمالقة
	الفصل العاشر : خلفاء طه حسين وغلان المستشرقين زكي نجيب
X ١٥	محمود - توفيق الحكيم - حسين فوزي
٩٣	الفصل الحادي عشر : سقوط مذهب الوجودية

الفصل الثاني عشر : المؤامرة على الفصحى لغة القرآن - لويس عوض ٩٩

البسب الثاني

١٠٧	كتاب العصر
١٠٩	الفصل الأول : جيل الرواد
١١٠	رفاعة الطهطاوى
١١٣	لطفى السيد
١٢١	على عبد الرازق
١٢٦	أمين الخولى
١٣١	حسين فوزى
١٣٦	عباس محمود العقاد
١٣٩	محمد حسين هيكل
١٤٩	طه حسين
١٥٦	الفصل الثاني : كتاب لبنان المارون
١٥٨	فارس نمر
١٥٩	فرح أنطون
١٥٩	سليم سركيس
١٦١	يعقوب صنوع
١٦٢	شبل شميل
١٦٤	أديب إسحق
١٦٥	لويس صابوتجى
١٦٦	جبران خليل جبران (أدب المهجر)
١٦٩	جرجى زيدان (روايات الإسلام)
	الفصل الثالث : الفن والمسرح : نجيب الريحانى - زكى طليمات -
١٨١	يوسف وهبى

١٨٥	الفصل الرابع : دعاة التغريب
١٨٥	ساطع الحصرى (القوميّات)
١٨٧	سلامة موسى (التغريب)
١٩١	توفيق الحكيم (التغريب)
١٩٧	توفيق الحكيم - محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام
٢٠٢	لويس عوض (التغريب)
٢٠٩	الفصل الخامس : (نجوم الصحافة)
٢١٠	مصطفى أمين
٢١٨	إحسان عبد القدوس (القصة)
٢٢٤	أمينة السعيد (الصحافة النسوية)
٢٢٩	حسين مؤنس (التغريب)
٢٣٢	صلاح جاهين (العامية)
٢٣٤	يوسف إدريس (التغريب)
٢٣٧	أنيس منصور
٢٤١	الفصل السادس : دعاة الشعبوية
٢٤٣	مناهج التعليم : اتّباع ديوى (إسماعيل القباني - عبد العزيز القوصى)
٢٤٦	الدكتور محمد أحمد خلف الله (الشعبوية)
٢٤٩	عبد الرحمن بدوى (الفلسفة الوجودية)
٢٥١	غالى شكرى (التراث)
٢٥٨	زكى نجيب محمود (التغريب)
٢٦٣	عبد الرحمن الشرقاوى (التفسير المادى للتاريخ)
٢٦٨	عمر عبد العزيز أمين

٢٧٠ صلاح عبد الصبور (الشعر الحديث بلا شهادة ميلاد)

الفصل السابع : عصبة العلمانية أعداء الشريعة الإسلامية — خلفاء

٢٧٥ علي عبد الرازق

٢٧٧ خالد محمد خالد

٢٨٧ أحمد بهاء الدين

٢٩٤ محمد عمارة

٣٠٢ محمد أحمد خلف الله

٣٠٨ محمد سعيد عشاوي

الفصل الثامن : (إعادة النظر في كتابات التغريب) ٣١٣

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٥ / ٣١٥٨

الترقيم الدولي ٥-١٠٨ - ١٤٢ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

١٢ نشاوى - شبرا مصر